رواية الشعر العربي

من بداية القرن الرابع الهجرى حتى نهاية السابع

تأليف

الدكتور مصطفى حسين

كلية البنات بجامعة عين شمس

١٩٧٨

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت — القاهرة

دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبها: محمد عبد الرازق
١٩ كنيسة الأرمن ش الجيش
تليفون ٩٣٤٠٩٨

اهـــداء

إلى روح استـــاذى :

الأستاذ الدكتور عبد الحكيم بلبع

فى أكرم مثـــوى ..

مصطفى حســين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا بحث فى رواية الشعر العربى ، وهو خطوة موصولة بخطا سبقت ، وخطا تلحق : فقد أعددت قبله بحثاً آخر فى رواية الآثار الشعرية أيضاً ، منذ العصر الجاهلى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

ثم يأتى بحثنا هذا ليستكمل درس الرواية الشعرية ، منذ بداية القرن الرابع الهجرى ، حتى نهاية القرن السابع ومايزال هناك بحثان آخران : أحدهما يمتد برواية الشعر العربى ، حتى نهاية القرن العاشر الهجرى ، وربما تجاوز القرن العاشر .

وأما البحث الآخر ، فانه ينفرد براوية النثر العربى . أمثالا ، وقصصا ، ومقامات ، وأخباراً ، بل ويتعدى الظاهرة إلى « رواية الكتاب العربى وطرائق حفظه وتوثيقه » .

ولا أدعى — فيما كتبت — فضل السبق والريادة ، فالحديث عن الرواية ، تستفيض به أبحاث فى القديم والحديث ، ولكن لا أحسب دارساً قد تصدى لدراسة ظاهرة الرواية الشعرية فى بحث مستقل ، أو حاول فى دراسة موسعه متأنية أن يلم بالظاهرة فى جانبين : جانب التاريخ والتطور ، وجانب التقاليد والمبادىء .

كما أن محاولة الاهتمام برواية النثر — تعد أيضاً محاولة غير مسبوقة .

والهدف من هذا التصدى لدراسة الرواية الأدبية هو استجلاء ظاهرة حضارية لها مكانها فى الفكر الإسلامى ، والكشف عن الوسائل والمناهج التى تذرع بها أسلافنا للحفاظ على التراث وتوثيقه ، ثم أبطال وهم تسرب إلى أذهان البعض : حين زعموا أن الدراسات العربية مدينة للمستشرقين فى « منهج تحقيق وتحرير النصوص القديمة » فقد كان التحرى ، والتحقيق ، والاستيثاق ، وسائط هامة . لم يتخل أسلافنا عنها .

كما أن هذه المحاولة لدراسة الرواية الأدبية ـ وهى تنتسب إلى مدرسة التراث ، وتعتز بهذه النسبة تشكل دعوة عملية لمواصلة الجهد من أجل تراثنا ، بحثا فى ظواهره ، ونشرا لذخائره ، وعرضا له فى رؤيا جديدة مستنيرة .

إن الابتعاد عن التراث ـ بدعوى التحرر ـ يجسد فى حياتنا الفكرية المعاصره أزمة وجدان وفكر ، ويصم سلوكنا الفكرى والحضارى بفقدان التوازن ، لأن تحقيق هذا التوازن بين القديم التالد ، والطريف المستحدث أمر لابد منه .

وقد صنعت الأمة العربية ذلك مرتين ، مره فى العصر العباسى ، حين مزجت تراثها بثقافات اليونان والهند وفارس ، ومرة فى العصر الحديث ، حين مزجت تراثها بثقافات أوروبية واحدة . وكان لها فى الموقفين انتفاضة ، وبعث .

وبعد

فلا يفوتني أن أسطر بالوفاء والولاء ، إشادة أجيالنا بجهود الرواد الكبار في حقل التراث : أمثال أحمد تيمور ، والشنقيطي ، وأحمد زكي شيخ العروبة ، وأحمد شاكر .

كما أذكر بالإكبار والتقدير علّامة الهند الكبير : عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، والعلامة محمود شاكر والمنتسبين إلى مدرسته الكبيرة في التراث .

وأذكر بالتنويه والتقدير الدكتور ناصر الدين الأسد وكتابه « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » ، بما فتح أمامي من المغاليق .

والله الموفق ؟

مصطفى حسين

المعادي في { ٢ من ذوي القعدة ١٣٩٧
١٦ من أكتوبر ١٩٧٧ }

تمهيد

عرض معجمى :

عرضت المعاجم العربية فى مادة (روى) (١) للمعانى اللغوية لهذا اللفظ : ــ الرواية ٠

وقد أسهب ابن منظور وأطال ــ كعادته ــ فى عرض الدلالات المختلفة للفظ (الرواية) ٠ فالرواية عنده :

(١) تطلق على المزادة يحمل فيها الماء ، وهى القِرْبة ٠

(٢) وتطلق أيضا على ما يحمل تلك المزادة ، مثل البعير، أو البغل ، أو الحمار ٠

(٣) ويطلق هذا اللفظ أيضا على الرجل الذى يحمل الماء ويستقيه ٠

فإذا كانت حرفته الاستقاء بالرواية قيل له : ــ الرّوّاء ٠

(٤) كما يطلق على السحاب : روايا البلاد ، كما ورد فى حديث شريف ٠

(٥) ويطلق أيضا على سيد القبيلة ، الذى يحمل عنها دفع الديات ومنه قول الراعى النميرى :

إذا ندبت روايا الثقل يوما
كفينا المضلعات لمن يلننا

أراد بروايا الثقل : حوامل الدّيات

والمضْلِعات : التى تُثقل من حملها ، والمعنى :
إذا نُدِب للديات المضلِعة حمّالوها ، كنا نحن المجيبين لحملها عمن يلينا من دوننا ٠

---

(١) لسان العرب (ط بيروت) مادة روى ١٥٠/١٤٦ وما بعدها ٠

وهكذا نلاحظ من العرض السابق أن لفظ (رواية) فى أصله اللغوى يفيد معنى الحمل ، سواء كان هذا الحمل ماديا ، للماء وشبهه ، أو معنويا لديات القتلى ·

ومن هنا يكون إطلاق (الراوية) على حامل الأثر وراوية ، هو إطلاقٌ له من اللغة سنده ، وأن (الرواية) بمعنى (حامل الأثر) قد انحدر من أصل ماديٍ حسيٍ ، ثم انشعب الى دلالاتٍ أخرى معنوية ·

هذا بالنسبة للفظ (رواية) ·

فاذا استعرضنا الدلالات المختلفة للفعل (روى) وجدناها تتصرف الى :

١ — روى ، بمعنى استقى الماء

٢ — روى الحبل ، أى فتله ومن هنا كان (الروّاء) بمعنى الحبل ·

٣ — وَرَوى على الرجل ، أى شدّه بالرواء ، الذى هو الحبل ، لئلا يسقط عن البعير من النوم ·

٤ — ورَوى الحديثَ والشعرَ يرويه وتروّاه · ويقال : رَوّى فلانٌ فلانا شعرا ، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه ·

وقد أفادنا ابن منظور — بمزيد إيضاح — حين نقلَ عن الجوهرى — فى صحاحه — قوله :

(رويتُ الحديثَ والشعرَ روايةً ، فأنا راوٍ : فى الماء والشعْر) ·

والفائدة التى نظفر بها من عرض الجوهرى هى فى كونه جعل الرواية فى الماء وفى الشعر ، فأشار بذلك الى الاشتراك بين دلالتين : إحداهما مادية ، وهى لحمل الماء ، والأخرى معنوية ، وهى لحفظ الآثار ونقلها ·

إلا أنه لاتفوتنا الإشارة إلى دلالات أخرى للفظ (روى)

وهو الفتل والإحكام ، حتى أُطلِقَ على الحبل ذاته لفظ الرواء . فالرواية هى (فتل الحبل وإحكامه) وكذلك (شد الشيء وربطه بالحبل) منعاً لتفرقه او سقوطه . وكلاهما تعنى (التقوية والإحكام والمحافظة) وتلك جميعا دلالات عبّرت عنها الرواية بمفهومها الاصطلاحى ، حين اضطلعت بدور المحافظة على التراث وإحكام أمره ، حتى لا يسلمه عامل الزمن ، أو عامل الهوى والزيغ أو عامل السهو والنسيان إلى عوارض البدد والفناء .

وهكذا حين نستعرض مادة (رَوَى) فى سائر المعاجم الأخرى نجدها توافينا بشروح مفيدة لدلالات (الرواية) : أصلية واصطلاحية ، كما يفصح لنا هذا العرض المعجمى عن وشائج القربى بين اللفظ لغة واللفظ اصطلاحا .

وحين عرض المعجميون الدلالة الاصطلاحية للرواية حملوا الرواية على الاستظهار والحفظ ، وقد نقل ذلك ابن منظور عن الجوهرى فقال (وتقول أنشده القصيدة ياهذا ، ولا تقل اروها إلا أن تأمره بروايتها أى باستظهارها) (١) وينقل عن الصحاح شارح القاموس المحيط العبارة ذاتها . (١)

وهذه الدلالة الاصطلاحية للرواية عند اللغويين هى التى شاعت بين فريق من الباحثين المعاصرين كما أسلفنا القول . فلم تعد الرواية إلا مجرد الاستظهار والاستعانة بالذاكرة .

والواقع أن الرواية قد مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وهى تلقائية بسيطة تقتصر فى الأعم الأغلب على معنى الاستظهار للآثار الشعرية .

---

(١) لسان العرب مادة روى

(٢) الزبيدى : تاج العروس (المطبعية البهية) مادة روى .

بغيـة المحافظة عليها من جهـة · واكتساب الدُّربة على قول الشعر من جهة أخرى ·

وهذه المرحلة قد امتدت ما بين العصر الجاهلى ، وأواخر القرن الثانى الهجـرى ، ولم تكن ثمة تقاليد علميـة فى تلك الفترة وإنمـا كان هنـاك تهيؤ للتقاليد العلمية الراسخـة والمحددة ومحاولات لبنائها ·

المرحلة الثانية : وهى مرحلة النضج العلمى ، وقد بدأت مع حـركة التدوين العلمى المنظم المصاحب لحـركة التأليف والتصنيف ، أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل الثالث ·

وفى هذه المرحلة استحكمت (التقاليد العلمية) وتأكدت ، وتطورت الرواية لتغدو بذورها مع مراحل النماء والازدهار ظاهرة علمية متكاملة الجوانب ، بيّنة الشّيات والملامح ·

وتتميز مرحلة النُّضج العلمى لرواية الأدب بظواهر هامة نوجزها فيما يلى : —

١ — الاتساع فى التدوين ، مع اصطباغ التدوين بصبغة علمية ،فقد وُجدت مصنفات تضمّ الآثار الأدبية القابلة للتداول والانتشار ولم يعد الأمر — كما كان — مجرد مدوّنات خاصـة بالأديب أو العـالم ، أو نقوش ومدونات أثرية كتلك التى عثر حمّاد الراوية على قدر منها ·

وقد كان من أهم ما ظهـر من تلك (المدونات العلميـة) اختيارات الضبى ، والأصمعى ، وحماسة أبى تمام ، هذا الى ما ضـمته كتب الدراسة بين تضاعيفهـا مـن الآثـار ككتب البلاغة التى ظهرت على يد ابن سلام صاحب الطبقات ، وابن قتيبة مصنف الشعـر والشعراء والجاحـظ مؤلف البيـان والتبيين· ولقد مضى ذلك كله مفصلا فى بحثنا للماجستير(١)·

(١) مخطوط بمكتبة دار العلوم ص ١٤٥ وما بعدها ·

٢ — ظهور الدواوين الشعرية ، حيث انصرفت عناية الرواة إلى صنع هذه الدواوين ، وكانت تلك العناية شاهدا على نضج الوعى بأهمية تجميع هذه الآثار فى دواوين تغدو بين أيدى الدارسين مصادر موثّقة .

٣ — كان أيضا من سمات مرحلة النضج العلمى ظهور أئمة الرواة الذين تأكدت بفضل جهودهم ملامح الرواية الأدبية وارتدت ثوبا من الجلال جعلها فى عداد الظواهر العلمية العامة فى تاريخ الفكر الاسلامى .

ونعنى — هنا بأئمة الرواة ، أولئك الرواة الأوائل ممن اضطلعوا بعبء الريادة لخطا اللاحقين بهم .

ومن هؤلاء الأئمة : المفضل الضبى ، والأصمعى وأبو عبيدة وغيرهم ، أولئك الذين جمعوا ووثّقوا ووضعوا التقاليد ورسموا الدروب .

٤ — فى هذه المرحلة ، ظهرت — بصورة علمية تقاليد الرواية من سماع وتدوين وحفظ وإسناد ، كما ظهر مبدأ التحقيق العلمى الذى صاحَب مرحلة الجمع والتوثيق ، وكان لابد منه لنفى الزائف ، وإثبات الصحيح .

٥ — كذلك — برزت قضية الانتحال مصاحبة لنشاط الرواة جمعاً للتراث وتوثيقاً لمادته واقترن ظهورها بجمع الشعر الجاهلى ، حيث وُجّهت تهمٌ إلى فريق من الرواة على رأسهم حماد وخلف الأحمر بتزييفهم وتزيدهم فى أشعار أهل الجاهلية .

على أن الاتصال لم يكن منقطعا بين الرواية فى مرحلة النشأة والتلقائية وبينها فى مرحلة النضج .

فإن المرحلة الأولى كانت تمهيداً وبداية الطريق بالنسبة للمرحلة الثانية .

وقد عرفت الرواية — سلوكا أدبيا — خلال العصر الجاهلى والقرن الأول الهجرى ، والثانى إلى أواخره عرفت فى الشعر أول ما عرفت حين كان الشاعر يتخذ له رواة مصاحبين له ، يختصــون بإذاعة شعــره ونشــره ، ثم يتلقاه ســائر الرواة فيتخرجون به ، ويكتسبون بحفظه واستظهاره دُرْبة على قول الشعر وصقل ملكاتهم الإبداعية ·

كما كان حرص العربى — منذ الجاهلية — على استظهار الآثار الأدبية من جهــة ، ونقلها وتداولها من جهة أخــرى ، أساسا هاما ، قدّموه للأجيال بعدهم ثم غدا هذا الأساس بين أيدى الرواة العلماء ليقيموا عليه صَرحَ الرواية وينوّعوا فى طرائق النقل والأخذ ، ويدعّموا الحفظ بالتدوين ، ثم يتخذوا من التدوين الموثق مصدراً للتأليف ·

لكن · ما العلاقة بين رواية الأدب ورواية الحديث ؟

والجواب فى أوجــز عبارة : أنها علاقة أخذ واعطــاء · فرواة الأدب قد قدموا لرواة الحديث تقاليد بسيطة ساذجة كالحفظ ومحاولات التدوين ، ثم انتفع حَمَلةُ الحديث ونَقَلتُهُ بتلك التقاليد البسيطــة ، فكان دورُهم التقاط تلك التقاليــد الساذجة وتطويرَها وتحويلَها إلى ظاهرة علمية تنعم بتقاليدَ مؤكَّــدةٍ واضحة ·

فرواةُ الأدب قــد طرحوا فى حقل الفكــر بذورا ، تعهّدها رواةُ الحديث ، ثم عاد رواةُ الأدب فانتفعوا بغرس أهل الحديث وجَناهم ·

ولم تقف الرواية الأدبية عند أعتاب الجاهليــة وصــدر الإسلام بل ظلت كائنا فكريا حيا فى وجوده وامتداده الزمنى ومقدرته على التفاعل ، تأثرا بالظواهــر الحضارية وتأثيرا فيها ، وظل هذا الكائن الفكــرى طوال أكثر مــن سبعة قرون يحافظ على التراث تدوينا وتوثيقا وتحقيقا ، ثم ضعف عــن

أداء تلك المهمة ، لكنــه مع ضعفــه ظل تأثيره قائما ممتدا فى ميادين أخرى ، غير ميدان الحفاظ على التراث ، ومنها ميدان التعــليم ٠

ثمة سؤال آخر يطرح نفسه ، وهو :

هل اقتصرت الرواية على العرب ، دون غيرهم من الأمم الأخــرى ؟

والجواب أن الرواية على النحو العلمى الدقيق فى تركيبه كما عرفها الفكــر الانسانى عنــد المسلمين ، كانت ظاهــرة مقصــورة على المسلمين دون غيرهم مــن الأمم الأخــرى ٠ والفضل فى ذلك كما تكررت الإشارة ، يرجع الى أهل الحديث الذين منحــوا الرواية شكلها العلمى المتكامل ، وجوهرهــا الفكرى الأصيل ودافعهم إلى ذلك دينىٌ بحت وهو المحافظــة على الأثر النبوى من الضياع وعبث الواضعين وأهل الغفلة ٠

الرواية — إذن — نشأت عند العرب ، واكتملت فى حجــر الفكر الإسلامى ، ووجدان التدين ٠

وبالنسبة للآثار الأدبيــة ، فقــد كان الدافــع إلى روايتها وجمعها فى بداية الأمر دافعاً دينياً هدفه الحفاظ على اللغــة وتوثيقها لفهم كتاب الله وحديث نبيه ٠

وقد حفزهم ما تقدم على جمع الأشعار جاهليها وإسلاميها ثم صار سلوكهم العلمى نهجاً مرعياً من ســائر الأجيال التى جاءت بعــد ذلك ٠

ومن الحق أن نقرر بأن ثمــة ظواهر مشتركة بين العــرب والأمم فى أسلوب حفظ الآثار ، ونأخذ اليونان نموذجا نتجــه إليــه بالمقارنة ٠

فقــد عــرف اليونان (الرواية الشفويــة) أى استخدام الذاكرة فى حفظ الآثار ونقلها ، وليس لدينا تفاصيل تاريخية

دقيقة حول هذا الموضـوع لكن الشتات القليل مما نعثر عليه فى تضاعيف المراجع ، قد يعطينا ولو جزءا من الحقيقة ·

فقد عرف اليونان ــ منذ أقدم العصور ــ ظاهرة الشعراء الجـوّالين؛أولئك الذين كانـوا ينتقلـون من بلد إلى آخـر ، وبشأنهم يقول سارتون : (ومن الممكن أن نفترض أن أكثـر الشعـراء المتجولين لم يختلفوا عـن الموسيقيين الحاليين ، الذين يتنقلون فى العصر الحاضر من مكان الى آخر ، يؤدون مقطوعات حفظوها ، وإن أضافوا إليها شيئا ، فهو قليل) (١)·

وقد اعتمـد فن أولئك الشـعراء المتجولين على الذاكرة الحافظة والأداء الجيد (٢) ·

إلا أن بعض هؤلاء ــ وهم قلة ــ قـد حاولوا أن يتصرفوا فى مروياتهم من الآثـار الشعـرية ، فيضيفـون ويحورون ويبتكرون قصائد جديدة يضمونها إلى ما رووه من القصائد ·

وهنا نشير الى ملاحظتين :

الملاحظة الأولى :

أن الرواية الشفوية ــ عند اليونان ــ قد أعانت على إيجاد (مواهب ابتكارية) ·

تماما كما صنعت الرواية الشفوية للأشعار عند العـرب، حيث ظلوا يعتبرونها الوسيلة لصقل المواهب والعون على الابتكار والابتداع ·

الملاحظة الثانية :

أن أهل الغناء عند أمة اليونان قد أشبهوا أهل الغناء عند

---

(١) سارتون : تاريخ العلم (ط دار المعارف) ترجمة محمد خلف الله أحمد وآخـرين ١/٢٨٩ ·

(٢) نفس المرجع والصفحة ·

العرب من التصرف فيما وعته ذواكرهم من الأشعار. وكذلك كان صنيع المغنى العربى أحيانا ، إذ سمح لنفسه بقدر من التصرف فى مروياته الشعرية التى لحنها وأداها غناء، فأدخل آثار شاعر فى قصيدة شاعر آخر إرضاءً لحاسته الفنية . وكان أبو الفرج الأصفهانى من أوائل من نبّهوا إلى تلك الظاهرة (١).

ولقد كان الشاعر هو ميروس صاحبُ الإلياذه الشهيرُ من أولئك الشعراء المغنين الذين احترفوا الغناء المتجول ، وأعانتهم الرواية الشفوية لآثار الشاعر على الابتكار ، وليست ملحمته - التى ذاعت شهرتها فى الآداب العالمية - إلا صورة للابتكار المستمد من الرواية والحفظ (٢) . وفى هذا الصدد يقول سارتون : (والشاعر الذى اصطلحنا على تسميته هو ميروس ، كان أكثر هؤلاء الشعراء المتجولين نجاحا . ومع أنه من المحال أن نعرف مقدار مبتكراته ولكن يمكن أن نفترض - ونحن مطمئنون - أنه مهما كانت كمية هذه المبتكرات، فإنه ورث أكثر منها عن أسلافه ، وأنه أعان على تخليد أحسن ما ألف السالفون .

ومن المحتمل أنه كان ناشرا عبقريا ، جمع أفضل ما وصل إليه من قصائد ، وصقلها بماله من مقدرة فنية ، فجعل منها وحدة واحدة . وهذا الفرض يساعدنا على شرح وحدة الإلياذة ، كما يعلل أيضا سقطاتها التى تطالعنا بين حين وآخر من أمثال التكرار ، الذى لا تدعو إليه ضرورة ، وأمثال الانتقال بطريقة غير سليمة (١) .

وكما كان هو ميروس نموذجا للراوية الحافظ ، والراوية المبتكر فى الوقت ذاته ، فإن من خلفه من الرواة قد لعبوا دورا

---

(١) أنظر - مثلا - الاغانى ٩/٧٥،١٣/٢٢٥،١٦/١٤٩ .
(٢) تاريخ العلم لسارتون ١/٢٩٠.)
(٣) تاريخ العلم لسارتون ١/٢٩٠

كبيرا فى حفظ ورواية آثار ذلك الشاعر العظيم ، الذى نقلت الينا الآداب العالمية آثاره وأخباره عن طريق المصادر المختلفة ٠

إن هؤلاء الرواة الذين خلفوا هوميروس (كانوا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى — حفظة الروايات التى يتناقلها الناس عن هوميروس واتسع انتشار النص الرسمى لأشعار هوميروس بين الناس ورسخت (١) شهرة هوميروس بين أبناء جنسه فى القرن الخامس) ٠

وكما كان العرب يروون الأشعار لاكتساب الفضائل من شجاعة وكرم وعفة ومروءة (٢) فكذلك شاع بين اليونان — وبخاصة فى القرن الخامس قبل الميلاد — حث الآباء أبناءهم على حفظ آثار هوميروس حتى ينتموا إلى أهل الفضل (٣) ٠

وكما شاع الجدل بين جمهرة الباحثين حول قضية (التدوين الأدبى) لدى الجاهليين فقد طرح الموضوع ذاته ضمن مباحث المتخصصين فى الدراسات الإغريقية القديمة) بل تكاد تكون الصورة متطابقة بين الفريق الأول والفريق الثانى ٠

فمن الباحثين العرب من أيد قيام (تدوين أدبى) فى الجاهلية ، من هؤلاء قديما ابن رشيق (٤) ، وحديثا الدكتور ناصر الدين الأسد (٥) ٠

ومنهم من رفض هذه الفكرة ، كالجاحظ فى القديم (٦) ،

---

(١) نفسه ١/٢٩٦ ٠

(٢) من ذلك ما ورد من قول عائشة (ترووا شعر حجيه بن المضرب فانه يعين على البر) لسان العرب (مادة روى) ٠

(٣) تاريخ العلم لسارتون : ١/٢٩٦ ٠

(٤) العمدة (ط هندية) ١/٢٦١ ٠

(٥) مصادر الشعر الجاهلى ١١٥،١١٦

(٦) الحيوان (بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٣٨) ١٠٥

والدكتور شوقى ضيف فى الحديث (١) ·

فأما فى ميدان الدراسات اليونانية القديمة فيقول سارتون : (الحضارة الإيجية عرفت الكتابة · · · لكن استخدامها اقتصر على النقوش والمدونات القانونية أو السحرية والقوائم الحسابية ، وغيرها من المتون الفنية القصيرة ، دون أن يدور بخلد شاعر متجول أن يستعملها فى الأغراض الأدبية)(٢) ·

وتفيدنا ملاحظات سارتون فائدة جمّة فيما احتوته من الحقائق الهامة المتعلقة بدراسة السلوك الحضارى لدى الإنسان بصفة عامة وذلك حين يقرر بأن تأخر استخدام الكتابة على نطاق واسع بعد اكتشافها هو (حقيقة لا تقتصر على بلاد اليونان فحسب ، بل هى حقيقة هامة أجمع عليها باحثون فى علم الانسان ، وفى علم فقه اللغة المقارن)(٣) ·

(والواقع أن مرحلة من الزمان تمتد أحيانا الى عدة قرون تكون بين اختراع الكتابة ، وبين انتشار استخدامها)(٤) ·

كما يفيدنا مايقرره أيضا من أن هوميروس لم يعن بتدوين آثاره الأدبية ، بل لم يكن يدور بخلده ذلك والسبب هو عدم (اختراع أدوات الكتابة ولم تكن أوراق البردى ميسورة فى بلاد اليونان حتى بداية الأسرة السادسة والعشرين المصرية أسرة صا الحجر)(٥) أى ابتداء حكم بسماتيك الأول)(٦) ·

ومن الملاحظات الهامة التى تمدنا بها ملاحظات سارتون ما أبداه بخصوص ظاهرة (الرواية الشفوية) إذ يقول :

---

(١) تاريخ العلم ١/٢٩٣ ·
(٢) تاريخ العلم ١/٢٩٣ ،
(٣) تاريخ العلم ١/٢٩٢
(٤) تاريخ العلم ١/٢٩٣ ·
(٥) تاريخ العلم لسارتون ١/٢٩٢ ،
(٦) تاريخ الأدب العربى (ط دار المعارف) ١/١٥٨ ·

(من الصعب علينا إلى حد ما أن نفهم الرواية الشفوية تمام الفهم ، لأنها مقدرة على استذكار قصائد طويلة ، وهى ملكة كاد الانسان يفقدها فى العصر الحديث فقدانا تاما ، غير أن هذه الملكة توافرت لبعض الأفراد فى العصور القديمة الى درجة تكاد لا تصدق لو لم تكن لدينا أدلة كثيرة عليها (١) ٠

وهذه الملاحظة تهدنا فى موقفنا ازاء ما تقرره الأخبار من سعة مرويات الرواة الأوائل ، تلك السعة التى اتخذها بعض الباحثين (٢) دليل إدانة ضد صحة الآثار الجاهلية ، فاعتبرها سببا من أسباب الانتحال للأشعار الجاهلية وشاهدا عليها ٠

تلك لمحات موجزة عن (رواية الأدب عند اليونان) — من خلال باحث مؤرخ فى الفكر العالمى ، ويتبين من بحثه وتاريخه أن قدرا مشتركا من القضايا المتعلقة بالرواية قد قام فى الأدبين العربى واليونانى وأثاره الدارسون للأدبين ، وأبرز هذه القضايا المثارة : الرواية الشفوية والتدوين الأدبى قبل انتشار الكتابة وتقدم وسائلها ، والحفظ ودوره فى تنمية الملكات الأدبية ، وظهور الابتكار الأدبى ، ودور الحفظ أيضا فى غرس الفضائل النفسية وتهذيب السلوك الخلقى ٠

ونحن نتوقع أن تكون مثل هذه القضايا بمثابة الظواهر المشتركة لا بين الأدب العربى واليونانى فحسب ، بل بين الأدب العربى وسائر الآداب العالمية ، فهى إذن نوع من السلوك الفكرى المفروض ، والبديهى ، ما وجد أدب لأمة ، وتراث فكرى لها ٠

---

(١) نفس المرجع ٠

(٢) طه حسين : فى الأدب الجاهلى (ط دار المعارف) ص ٧١ ، ٧٢ وانظر أيضا :
مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب (ط التجارية) ١٧٩

ولكن هناك حقيقة جديرة بالتسجيل : وهى أن قيام هــذه الظواهــر ، لا يعنى بلوغها مبلغ (الظاهرة العلمية الدقيقــة المعقــدة) التى بلغتها الرواية عنــد المسلمين ، حتى تحولت التقاليد البسيطة إلى منهج علمى متكامل ، وأســلوب فكرى راســخ ·

اذا كان ثمــة ما يجب إضــافته من الحقائق هنــا : فهــو ضرورة اتجاه الدارسين فى التراث العربى إلى مجالين :

أولا : دراسة أساليب وطرائق الأمم ــ قديما ــ فى حفظ تراثها الأدبى على نحو أكثر اتساعا وعمقا ·

الثانى : دراسة أساليب وطرائق الجماعات البسيطة فى حفظ ونقل الآثار الشعبية ، وبخاصة تلك الجماعات المستقرة فى القــرى والبوادى فإن ذلك جدير بأن يضعنا أمام واقــع الرواية فى نشأتهــا البسيطة وتقليدها الساذجة وأن يوقفنا على الكثير من ظواهرها ، كالحفظ والتدوين ، ودور الرواية فى تنشيط (الملكات الابتكارية) ·

ولقد أتيح لكاتب هــذا البحث أن يعيش أطرافا من تجربة انتقال التراث الشعبى وروايته فى بعض بوادى ليبيا ، وعلى وجه التحديد فى بادية سِرْت (١) ، ولمست بنفسى مدى ما يتمتع به الإنسان البدوى من صفاء الذاكــرة والمقدرة الفــذة على حفظ الآثار الشعرية لغيره ولنفسه أيضا ، ثم كيف أعانه هذا الحفظ على الارتجال لمــا يبتكــره من القصــائد بديهة دون سابق إعداد أو تنقيح ·

وقد لمس كاتب هذا البحث ظاهــرة (الرواة المصاحبين)

---

(١) وتقع سِرت على الساحل الليبى مطلة على خليج سرت بين بنغازى شرقا وطرابلس الغرب من جهة الغرب ومن بواديها بادية (أبو هــادى) التى تبتعد عن الساحل الى الجنوب لمسافة ٢٢ كم وبادية النوفلية شرق سرت بمسافة ١٤٠ كم تقريبا بعيدة عن الطريق الساحلى لمسافة ١٢ كم تقريبا ،

للشاعر ، وهم فى الغالب أقاربه وذوو رحمه ، وكيف أن هؤلاء الروة المصاحبين له يتخرجون بالرواية ويستعينون بها على تقويم ملكاتهم ·

وإذا كان (تاريخ الدراسات اليونانية) يوقفنا على دور الغناء فى رواية الأشعار وإذاعة الآثار فيما عرفناه عند الشعراء المغنين والتروبادور ، ومما عرفناه لدى هوميروس بالذات ، فإن اقتران الغناء بالرواية ، ودور المغنين فى رواية وإذاعة الآثار كان أمرا قائما بالنسبة للآثار الشعبية الشعرية فى بعض بوادى ليبيا ، إن الغناء يلعب دورا هاما فى رواية ، وأن الكثير مما يبتكرونه كان ملحنا منغما بقصد التغنى به فى حفلات العرس وغير العرس من المناسبات ·

وفى هذا البحث نبدأ مع بداية القرن الرابع الهجرى الذى اتصلت أسانيده بالقرن الثالث وما قبله ، وورث عنه مصادره وتقاليد الرواية ناضجة ، وكان شيوخ الرواية فى القرن الرابع تلاميذ رواة القرن الثالث ·

لكن رواية الأدب فى القرن الرابعقد تجاوزت مرحلة النضج إلى مرحلة الازدهار ، يتمثل هذا الازدهار فيما يلى :

١ ـ اتساع حركة التأليف وازدهارها ، وهى حركة قامت فيما قامت ـ على الرواية ·

٢ ـ تأكيد الالتزام بأسلوب التوثيق المتعارف عليه لدى جمهور الرواة ، وهو الإسناد ، ذلك التأكيد الذى تمثل فى شدة العناية بالإسناد باعتباره تقليدا هاما لتوثيق الآثار ·

٣ ـ ظهور مصادر اتسمت بالاتساع والشمول ، وجمع ما تفرق من الآثار على مدى القرون السابقة قبل القرن الرابع وأثناءه ، وكان كتاب الأغانى أوضح مثل لذلك ·

٤ ـ التوسع والتخصص فى مقاومة التحريف الذى دب

إلى الآثار ، وتمثل ذلك فى ظهور مجموعة من الكتب توافرت على شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، بعد أن كان رواة ماقبل القرن الرابع يكتفون بإشارات ، يضمنونها كتبهم، أو يتداولونها فى مجالسهم ، وقد ظهر فى ذلك كتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لأبى أحمد العسكرى ، وكتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) لحمزة الأصفهانى ، وكتاب التنبيهات على أغاليط الرواة) لعلى بن حمزة البصرى .

٥ ــ كان من مظاهر الازدهار للرواية خلال القرن الرابع أيضا ما نلاحظه من الاهتمام بآثار الشعراء المحدثين ، ومحاولة من الرواة المتحمسين لهذه الآثار ، باقناع الذوق العام بقبولها وسوغها ، بما احتوته من صيغ جديدة ، ومعان جديدة ٠

وفى القرن الخامس نهض الثعالبى بعبء الرواية لآثار المحدثين ، ممن عاشوا عصره، كتابا وشعراء ، وصنف الثعالبى أول مصدر موسّع فى هذا المجال ، وهو كتاب (يتيمة الدهر) وتفنن فى تبويبه ، وجمع مواده ، وتحرير عبارته منحى خاصا ، أحله مكانا خاصا ، وجعله ــ فيما بعد ــ قدوة أهل التصانيف والرواية بعده ، كالباخرزى والعماد الأصبهانى ، وسجّل آثارا مشرقية ، وأخرى أندلسية ، واعتمد الرواية ــ مصدرا من أهم مصادره ، وأثار فى تضاعيف كتابه قضية الانتحال المتعلقة بالسرى الرفاء، وكشاجم، والخالديين حيث عمد السرى الرفاء إلى دس أشعار الخالديين فى ديوان كشاجم ، كما سرق الخالديان من السرى أشعارا ، ولم يكتف الثعالبى بعرض القضية ، بل قطع فيها برأى ، وأدلى بحجة ٠

وقد آثرنا أن نسمى هذه الحقبة التى ظهر فيها مصنف الثعالبى (عصر اليتيمة) ، وألحقنا بها القرن السادس ، لظهور

طائفة من المؤلفات ، حذت حذو الثعالبى ، وانتسبت إلى طريقته فى الرواية والتصنيف ٠

فإذا اتجهنا صوب القرن السابع : لاحظنا كثرة التآلف فى السير والتراجم ، معتمدة على الرواية ، زاخرة بالآثار الأدبية على تفاوت فى أبعاد العناية بين أصحاب تلك السير ، من قضاة ، وأدباء ومؤرخين وأندلسيين ٠

ولهذ كان من المناسب أن نطلق على القرن السابع (عصر التراجم) ونخصه مع سائر القرون بكتاب مستقل ٠

أما القرن الثامن ، فهو الذى شهد بدايات الضعف فى رواية الأدب ، وقد أثبتنا ذلك بجملة من النصوص قامت من دعوانا مقام الشاهد والدليل يراها القارىء فى كتابنا المتقدم ٠

وخلال القرنين التاسع والعاشر ، تحولت الرواية الأدبية تحولا ملحوظا نحو (التعليم) ، ولا يعنى ذلك أن الرواية قد انفصلت عن التعليم فى أى عصر ، فقد اقترنت به دائما ، ومنذ النشأة ، لكن لوحظ أن الرواية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، قد اقتصرت على التعليم ، وتحولت عن وظيفتها الأساسية ، وهى (حفظ ونقل وتوثيق التراث) ٠

وبذلك تكون رواية الأدب ، قد مرت بمراحل نجملها فيمايلى :

١ — مرحلة النشوء : وتمتد من العصر الجاهلى ، إلى أواخر القرن الثانى الهجرى ٠

٢ — مرحلة النضج : وتمتد مابين أواخر القرن الثانى وأواخر الثالث ٠

٣ — مرحلة الازدهار : وتشمل القرن الرابع الهجرى على امتداده ٠

٤ — عصر اليتيمة : ويضم القرنين الخامس والسادس الهجريين ٠

٥ — عصر التراجم : وتقصد به القرن السابع ، وقد تميز بالتأليف العلمى فى سير العلماء والرواة ، واعتمد (الرواية) مصدرا أساسيا له (١) ٠

٦ — بدايات الضعف : حيث قلّت العناية بالرواية ، وبدأ الاتجاه بها نحو التعليم ، وذلك خلال القرن الثامن ٠

٧ — المرحلة التعليمية : وهى امتداد للمرحلة السابقة ، لكن بدأ التعليم فيهـا ، أكثر وضوحا فى الرواية ، وتخلفت الرواية عن هدفها فى حفظ التراث ٠

وتمتد تلك المرحلةخلال القرنينالتاسع والعاشر الهجريين٠

وتعد — من وجهة نظرنا — النهاية الحقيقية للرواية الأدبية٠

على أن الرواية بالمفهوم الذى تبناه هذا البحث ، وتصدى لعرضه ، ليس ذلك المفهوم الضيق ، الذى شـاع بين جمهور الباحثين ، وهو مجرد الاعتماد على الحفظ والاستظهار ، بل الرواية التى قصدناها هى (ذلك المنهج العلمى النشط الذى وجّه جوانب النشاط العلمى عند المسلمين فى مجالات أربع)

الأول : جمع التراث وحفظه ٠

الثانى : تناقله واذاعته على امتداد الزمان والمكان ٠

الثالث : تحقيق التراث وتوثيقه ٠

الرابع : تعليمه وتحصيله من أجـل الحفاظ على مواصلة الإنتاج الفكرى ٠

وبهـذا المفهوم ، كانت الرواية منهج الفكـر السـائد فى شتى مجالات المعـرفة الإنسانية لدى المسلمين ، سـواء فى السُنّة الشريفة ، وهى فى الذروة من الاهتمام ، أو فى الأدب،

---

(١) هذا العصر وما بعده ينشر فى كتاب مستقل باذن الله ٠

بل وفى غير الأدب من المعارف الفلسفية والطب والعلوم ، بل إن إقراء قواعد الرياضيات وحقائقها ، وتناقلها كان بطريق الرواية (١)

ولقد وجّهت الرواية كل سلوك يستهدف المعرفة وطبعته بطابع خاص وحاطته بسياج من التقاليد ، والذرائع التى تجعله يعمل وينشط داخل إطار محدد ، فوضعت للتعليم نهجه وللتصوف نهجه ، وللوراقة نهجها ، كما قدمت للعلماء معايير وموازين لضبط ما ينقلونه عن الآخرين ، ثم لحفظ ما ينتجونه هم ، أو يقدمون من المعارف المختلفة ٠

ذلك فى تصورنا مفهوم الرواية ، الذى استهدفنا عرضه ، وحشدنا — فى حدود اجتهادنا — شتى الظواهر والشواهد التى توضحه وترسم أبعاده وملامحه وعند الدخول فى التفاصيل يتضح ما مهدنا به من الإجمال والتفصيل ٠

يبقى بعد هذا أن نثبت هنا حقيقتين نلتقى بهما مع قارىء هذا البحث :

الحقيقة الأولى : أن الرواية لاتقف عن حدودها الضيقة ، التى هى مجرد الحفظ والمشافهة بل أنها ذلك المنهج العلمى المتكامل القائم على تقاليد وأصول ، الذى يهدف إلى جمع وحماية الآثار وتوثيقها عبر الأزمنة ٠

الحقيقة الثانية : أن الأدب الذى عنينا بدراسة روايته ، هو الأدب بالمعنى الخاص ، أى الآثار الفنية شعرا ، ونثرا (٢) وإذا كانت هذه الدراسة قد اتجهت صوب الآثار العلمية ، فإن ذلك لم يكن الا فى حدود ضيقة ، وبالقدر الذى يكشف عن طبيعة العلاقة بين الآثار الفنية ، والآثار العلمية ، وهى

---

(١) انظر — مثلا — بغية الوعاة للسيوطى (تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم) ٢ : ٢٩

علاقة لا مفر من تجلية أبعادها إذا وضعنا في اعتبارنا أن الرواية ظاهرة علمية عامة متداخلة الحدود ، متشابكة الأجزاء ، ومن هنـا يتعذر الفصـل بين رواية الآثار العلميـة ، من حديث وتاريخ ولغة وفقه ، ورواية الآثار الفنية من شعر ونثر فني ٠

إذن : كان لابد من الاقتصار هنا على رواية الآثار الفنية ، مع التعرض ـ أحيـانا ـ للآثار العلمية ، بالقـدر الذي يهم دراستنا ٠ والآن نحـاول أن نمضي إلى المباحث الأسـاسية للكتـاب ، التي يشـكل التمهيد مدخلا لها ، بادئين بدراسـة للأصول وتقاليد ٠

الباب الأول

في الأصول والتقاليد

الفصل الأول

الإسـناد

الإسناد سمة علمية هامة من سمات العلوم عند المسلمين وتقليد من تقاليد الرواية لديهم ، اختصوا به دون سائر الأمم ، حتى قال ابن كثير « ليس أمة من الأمم يمكنها أن تسند عن نبيها إسنادا متصلا غير هذه الأمة » (١) ٠

كما جاء في معرض حديث صاحب « الباعث الحثيث » عن الإسناد قوله : « خُصَّت الأمة الاسلامية بالأسانيد والمحافظة عليها حفظا للوارد من دينها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست هذه بالميزة عند أحد من الأمم السابقة» (٢) ٠

والأسناد ــ في السنة ــ أساس قوى لضمان توثيق آثارها المروية ، وحمايتها من التزييف ، ومن هنا كان قول الزمخشرى (والأسانيد قوائم الحديث) (٣) ٠

ومعنى هذا أن الإسناد ــ وهو أصل من أصول الرواية ــ إنما هو وليد رواية الحديث ، اقتبسه من المحدثين رواة الأدب كما اقتبسه رواة العلوم الإسلامية الأخرى وبخاصة علماء القراءات ٠

وقد عَرف رواة الأدب هذا التقليد ، منذ بدأت حركة التدوين العلمى ، والتأليف في آثار وعلوم الأدب خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين على يد :

---

(١) ابن كثير : اختصار علوم الحديث ص ١٥٩ (ط صبيح) ٠
(٢) العلامة أحمد شاكر : (**الباعث الحثيث**) **وهو** شرح المرجع السابق ص ١٥٩

« أمثال أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضَّبِّىّ ، وحمّاد ثم على يد أمثال أبى عُبَيدة والأصمعى وابن قتيبة وابن سلام والجاحظ » (١) .

وقد لوحظ أن رواة القرن الثالث الهجرى قد تفاوتت — فيما بينهم درجة التزامهم بتقليد الإسناد .

فالجاحظ وابن قتيبة كانا أقل التزاما للإسناد من ابن سلام وهما أيضا ، ويضاف إليهما المبرّد ، فى اواخر القرن الثالث الهجرى ، كانوا أقل التزاما أيضا من ابن المعتز أواخر القرن الثالث الهجرى أيضا وذلك فى كتابه (طبقات الشعراء (٢) .

أما القرن الرابع ، فإن التزام تقليد الإسناد بين رواته كان أوضح مما كان عليه فيما قبل القرن الرابع والدليل بين أيدينا من المصادر الأدبية التى تركها رواة هذا القرن وعلماؤه وبخاصة أمالى القالى ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وهما أكبر المصادر الأدبية فى تلك الحقبة ، ثم فى عديد من المصادر الأخرى كالموشّح للمرزُبانى ، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى .

ولعل السر فى هذا الاهتمام من جانب رواة القرن الرابع يقابله اهتمام أقل من رواة القرنين الثانى والثالث يرجع الى أمرين :

الأمر الأول: أن رواة القرنين الثانى والثالث قد اعتمدوا على الثقة بهم ، واستفاضة هذه الثقة بين جمهور المتأدبين ، فمن هنا كان تجاوز الكثيرين منهم عن الاسناد بينما كان رواة القرن الرابع مفتقرين الى ضرورة توثيق مروياتهم ، بحكم البعد الزمنى الذى يفصلهم عن الرواة الأوائل ، ثم حاجتهم الى الارتباط بهؤلاء الرواة الأوائل .

(١) فصلنا ذلك فى بحث الماجستير .

(٢) انظر ذلك مفصلا فى موضعه من رسالتنا للماجستير ، مع حديث مفصل عن ابن سلام وعنايته الخاصة بالاسناد ودراسة دوافعه وتقاليده .

الأمر الثاني : أن القــرن الرابع هــو العصــر الذهبي الذى نضجت فيه علوم الحديث وبالتالي تأكدت تقاليد المحدثين، ومن ألزمها الاسناد ، ومعنى هذا أن رواة الحديث قد تركوا وعيــا بتقاليد الرواية انعكس اثره عند رواة الآثار الأدبية . وأول ما يلاحظ على الأسانيد فى القــرن الرابع ، أنها تتصل بعمدة الرواة الذين يمثلون عنصر الوصل بين هذا القرن وما قبله ، مثل ابن دريد ، وابن الأنبارى ، وأبى بكر الصولى ، ونفطويه والأخفش .

ملاحظــة أخــرى : أن رواة القــرن الرابع قد تحــققت لأسانيدهم صفة الاتصال بالشعراء الإسلاميين . وكان هذا الاتصال هو السمة الغالبة ، وكان الفضل فى ذلك يرجع الى اتصـــال أســـانيدهم بمن تقــدم ذكرهم ، ممن أطلقنــا عليهم اصطلاحا ـ (عمــدة الرواة) ، ثم تجــاوزهــم إلى الجيــل الأول من الرواة ، أمثــال المفضــل الضبى ، والأصمعى وأبى عبيــدة .

ونتيجــة للاهتمــام بالاســناد ، والوعى بالتزام تقــاليد الرواية فى القــرن الرابع ، بدأ العلمــاء يســتخدمون فى نقدهم للنصــوص ما يطلق عليه عند المعــاصرين (النقد الخارجى) :

فيقبلون النص ، أو يرفضــونه على ضوء ما عــرف به الراوية له مــن عدالة ، أو ما رمى به مــن التجــريح وهــذا ما نلاحظه لدى ابى الفرج بالذات ، ونوليه مزيد تفصيل فى موضــعه (١) .

---

(١) انظر على سبيل المثـال الأغانى : ٥/١٢،٢٨٤/د ، ١٥/٢٣٦ ، وانظر أيضا أمالى القالى : ٢ / ٤٠ ـ ٤٩ ، ٥٠ ـ ٦١

ومعنى هذا ان الإســناد صار عنصرا أســاسيا فى رفض الأثر أو قبوله . وقد اكتسـب الرواة الاربة على التحقيق والتمحيص من اشتغالهم بالحـديث منهجه ، ثم لما أثارته المناقشات الحارة حول قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، وما تواتر الحديث عنه بشأن اتهام حمــاد وخلف الأحمر وتكذيبهمــا ، وهو جدل عرضت فى ساحاته مقاييس هامة ، ومعــايير بالغة الخطورة صــارت تراثا يصــدر عنه أهل الرواية والتحــقيق .

ويفيدنا الإسناد أيضا فى إلقاء الضوء على بعض رجاله، من حيث صــفاتهم او طبيعــة عــلاقاتهم بالروايــة ، او عن مكــان ، أو زمان الرواية مما يضيف حــقائق هامة الى طبيعة الآثار المروية .

ولتوضــيح ذلك نقول : إن الراوية أحيانا كان فى ســياق سرده للأسانيد يصف من روى عنــه الأثر ، كقول أبى بكــر الصولى فى معرض بعض اسانيده : (وقد كان ابن مهروية هذا يسمع معنا من المغيرة بن محمد المهلبى وغيره بالبصرة، ولم أسمع منه شيئا عن الحمدى (١) ـــ الأصمعى)

أو قول الأصفهانى فى الأغانى أثناء روايته عن اسماعيل بن يونس (حدثنى اسماعيل بن يونس الشيعى) (٢)

على أننا فى القرن الخامس الهجرى ـ وقد حــافظ كثير من الرواة على أســانيد رواياتهم ، نلاحظ أن من الرواة من يصف لنا زمان ومكــان أخذه كقول (القــارى) فى بعض أسانيد كتابه : مصارع العشاق : (أخبرنا أبو بكر محمد محمد بن احمد الأردستانى بقراءتى عليه بمكة فى المسجد الحرام بباب الندوة فى عام ٤٤٦ هـ (٣) أو قوله (.. بمصر)

(١) الصولى : اخبار أبى تمام ٢٦٣/٢
(٢) ١٢٤/٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ١٧٣ ، ٢٠٤
(٣) مصارع العشاق ١ / ١٢

(١) (... بالشــــام ..) (٢) أو (.. بالكـــوفة ..)
(٣) أو (ما بين تيمـــاء ووادى القرى) أو (بالكوفة ..)
صـــادرا من مكة) ، (فرأيت صخرة عظيمة ملساء ، فيهـا تربيع بقدر ما يجلس عليها النفر كالدكة ، فقـــال بعض من كان معنـــا من العرب ــ وأظنه جهنيـــا ــ هذا مجلس جميل وبثينه فاعـــرفه)(٤) ٠

وأهمية هذه الصفات والتحديدات تتمثل فى كونها تطلعنا على طبيعة المصادر التى نقل الراوية عنها وطبيعة الأصقاع التى تنقل خلالها فى رحلة روايته ، والتطور الزمنى لنشاطه العلمى مما ينبغى أن يوضع فى الاعتبار عند أى محاولة لدراسة آثاره الفكرية ٠

فــراوية أبى الفــرج ــ مثــلا ــ (اســماعيل بن يونس الشيعى) تعطينا فكرة عن حرص الأصفهانى على توثيق الشــيعة ورواتهم ، لانهم يمثلونه مذهبا ومشــربا ، اذ كان شيعيا أمويا ٠

وأوصاف (القارى) لأماكن روايته توقفنا على الأماكن التى انتقل خــلالها ، والحــرص على معــاينة الأماكن ذات الصلة بطبيعة مروياته كما لاحظنا فى إسناده الأخير بشأن المكان الذى كان يجلس فيه جميل وبثينة ٠

ولقد تأكد خلال القرن الخامس وما بعده ، حرص الرواة على توثيق المرويات بالأسانيد حتى كان العالم إذا ما روى أثرا من الآثار طالبه الآخذون عنه بســند ما روى لتوثيق تلك

---

(١) نفسه ١ / ٢٣
(٢) نفسه ١ / ١٠٣
(٣) نفسه ١٩٩/١ ــ ٢٠٠
(٤) نفسه ٢٠٧/١ القارى = هو جعفر بن أحمد المعروف بالسراج القارى اللغوى ت ٥٠٢ ــ وانظر بغية الوعاة ٤٨٥/١

ـ أي تلاميذ المعري ـ

المرويات . فالقفطى ـ مثلا ـ يخبرنا بأنه شاهد على ظهر نسخة من كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت يقرب أن يكون بخط المعـــريين (أن الخطيب التبريزى قرأه على أبى العلاء المعري وطالبه بسنده متصلا . فقـــال له : إن أردت الدراية فخـــذ عنى ولا تتعد ، وإن قصدت الرواية ، فعليـــك بما عند غيرى) كما يذكر القفطى أيضا أن أبا الفرج البصرى طلب من شـــيخه ابن بشران (ت ٤٦٢ هـ) إســـناد كتـــاب (الحماسة) بعد أن رواه عنه (٢) .

وإزاء هـــذا التقليد الذى تأكد خـــلال القـــرنين الرابع والخامس وما بعدهمـــا ، فقد كان ما يُرمى به الرواة عنـــد تجريحهم ، وإلحاق الظِّنة بهم هو (تلفيقهم للأسانيد) ، فابن القطاع الصقلى (ت ٥١٥ هـ) وأحد رواة الأدب فى القـــرن الســـادس الهجرى ، اتهمه البعض بأنه عندما دخل مصر ورأى رغبة المصـــريين فى الاشـــتغال بكتاب الصِّحَـــاح للجَوهرى (ت ٣٥٠ هـ) ركّب لهم إســـنادا ورواه (٣) ، حتى قيل عنه : فى معرض التشهير به (لهذا كان نقاد المصريين ينسبونه إلى التساهل) (٤) .

وحرصا من الرواة على الأســـانيد ، توثيقا لمروياتهم ، اتجهـــوا الى تصنيف فهارس تضم مروياتهم . كل على حـــده مدعمة بالسند المتصل ، المذكور فى أثنائه طرق الرواية ، مع الموازنة بين الطرق المختلفة قوة وضـــعفا ، فعل ذلك علمـــاء

---

(١) انباه الرواة ١/٦٩ وانظر أيضا : ٢١٦٢ والمراد بالمعريين تلاميذ أبى العلاء من بينهم التبريزى أبو زكريا شارح القصائد العشر المتوفى عام ٥٠٢ وسوف يرد حديث مفصل عن نشاطه العلمى

(٢) انباه الرواة ١ / ١٩٧

(٣) بغية الوعاء ٢ / ١٥٣

وابن القطـــاع الصقلى هو على بن جعفر أحد علمـــاء صقلية . نزل بمصر وأقرأ بها اللغة والادب ولد ٤٢٣ هـ ومات بمصر عام ٥١٥ هـ .

(٤) نفسه .

السُّنَّة ، ورواة الأدب ، والفلسفة ، وغيرهم من العلماء فى مختلف العلوم والفنون ٠

فابن سيناء الفقيه وقد يصنع لنفسه هذا المعجم لمروياته ومشايخه، وممن صنع ذلك أبو طاهر السِّلَفى (ت ٥٧٦ هـ) (١) فى القرن السادس الهجرى ٠ كما قام تلميذه ابن بشكوال (ت ٥٧٧ هـ) بصنع فهرس يضم مرويات ذلك الشيخ الذى يعد من أهم الرواة الذين شهدهم القرن السادس الهجرى ٠

وممن صنع الفهارس لمروياته شاعر الأندلس الملقب بالأعمى (ت ٦٥٩ هـ) ،

ولقد تميز رواة الأندلس –على وجه الخصوص – بعناية ملحوظة بتقليد (الإسناد) ويظهر ذلك فيما يلى :

١ – التزامهم بالأسانيد فى الأعم الاغلب من مروياتهم ٠ ويتضح ذلك لمن ينظر فى كتبهم ، وبخاصة تلك التى ظهرت خلال القرن السادس ،وما بعده ٠

٢ – أن بعض رواة الأندلس وشيوخه حرصا منهم على الالتزام بأسانيد مروياتهم ، يذكرون فى مقدمات كتبهم ، أسانيد مروياتهم ، حتى لا يضطروا إلى تكرارها فى أثناء الكتاب ، وحتى لا يعنّوا القارىء بهذا التكرار ٠

فعل ذلك ابن العربى فى كتابه (محاضرات الأبرار ومسامرات الأخبار) وابن الأبّار فى (الحُلة السِّيَراء) ، حيث يقول فى مقدمة الحُلة : (والذين استضأت بشعاعهم

---

(١) هو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصفهانى ، أحد الحفاظ الرواة فى القرن السادس الهجرى ، رحل فى طلب العلم ثم استقر بمدينة الاسكندرية ، ومات بها عام ٥٧٦ هـ ٠

وانظر وفيات الأعيان ٣١/١/ ، وشذرات الذهب ٢٣٤/٢ وانظر أيضا التكملة ٣٢/١

واستشهد من أوضاعهم ،أتيت بالأسانيد إليهم بدءا ،ورأيت أن أضع من عناء تكرارها عبثا وكثير ممن أفاد القليل قد أحذفهم لئلا أطيل (١) ٠

٣ - عُنى شيوخ الأندلس أيضا بذكر أكثر من طريق فى إسناد الأثر الواحد ، والمقارنة بين الطرق المختلفة ، كما فعل ابن الأبّار فى ذكره لأسانيد روايته لكتاب (أدب الكتاب) لابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ) (٢)

وإذا كان الاهتمام بالأسانيد صفةً ملحوظةً لدى جمهور كبير من الرواة فى القرن الرابع وما بعده ، فإن ذلك لم يمنع البعض من إهمالها ، لكنه ينبّه على سّر إهماله لها ، وتركها لشأنها، بما يشعرنا بأنه ملتفت إلى هذا التقليد ، وأنه يتوقع أن يواجّه بنقد من العلماء بعد إذ سار ذلك دأبا لهم وعادةً ٠

ويأتى هذا الحذف على صورتين :

الأولى : أن يقصد الراوية عدمَ الإثقال على قارىء كتابه ، ويغريه بذلك ويشجّعه ، أن بعض رواة السُّنّة كانوا يحذفون الإسناد فى رواياتهم للأحاديث النبوية الشريفة ٠

وممن فعل ذلك ابن عبد ربه فى (العقد الفريد) وقد نبّه إلى ذلك فى مقدمة كتابه المذكور (٣)

ثانيا : أن يكتفى بالإسناد إلى من نقل عنه ، دون سرد سلسلة السَّنَد اعتمادا على ما يتمتع به المنقول من ثقة وعدالة كما نجد عند راوية مثل (حمزة الأصفهانى) (٤)

---

(١) ابن عربى : محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار ١٢/١

(٢) التكملة لكتاب الصلة : المقدمة ٠

(٣) العقد الفريد : ٤/١ ٠

(٤) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ١٢١ ٠

بقى بعد هـذا رأيان نعقب على كل منهما منفردا ، الأول للرافعى ، والثانى لجورجى زيدان : فأما الرافعى فيرى أنه بعد القرن الخامس الهجرى صار أمر الإسناد مقصورا على تلقى الكتب العلمية وروايتها بالسند عن مؤلفيها ، لأن العلم كان قد نضـج ، وكملت فنونه ، ثم كان لسـان العـرب قد أخل ، وكان أمرهم قد اختل ، فلم تعد الرواية عنهم تُجْـدِى شيئا ··· وكان سماعُ الكتب وروايتُها عن مؤلفيها معروفا من أول عهد التأليف · ولكن لم يكن يتباهى به إلا منذ بدأت الرواية تضعف فى القرن الرابع ، وحين كثرت الكتب) (١)

وهذا الرأى يشـير إلى نقطتين :

الأولى : أن الإسناد بعد القرن الخامس قد اقتصر على الكتب وروايتها · الثانية: أن الرواية الأدبية بدأت تضعف فى القرن الرابع بسبب حركة التأليف العلمى ·

والنقطتان تتضمنان حكمين يفتقران إلى دقة الاستقصاء لأمر الرواية الأدبية فى القرن الرابع ثم فيمـا بعد القـرن الرابع ·

فالإسناد بعد القرن الخامس لم يقتصر على رواية الكتب وإنما ظـل ملتزما فى مجـال الآثار الشـعرية على وجـه الخصوص ودليلنا فيما بين أيدينا من كتب المؤلفين فيما بعد القرن الخامس · إذ نرى هذه الكتب زاخـرة بمرويات مسندة لأصحابها · من هذه الكتب (إنباه الرواة) للقفطى (ت ٨٤٨ هـ) (٢) والطـالع السـعيد للإدفوى المصـرى (ت ٨٤٨ هـ (٣) وإنبـاه الغمر بأنباه العمر) لابن حجـر

---

(١) تاريخ اداب العرب ٣٠٨/١

(٢) ٢٥/٢ ، ١٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ – ٢٩٠ – ٢٩٣ ٣٤٣ – ٣٤٩ – ٣٨٥ – ٤٢٠

(٢) الطالع السعيد : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ومواضع أخرى ·

العسقلانى (٨٥٢ هـ) (١) وفى غير ما ذكرنا نجد أسانيد للمقرى الجد متصلةً إلى ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) فى (نفح الطيب) (٢) ٠

كما نجد ظاهرة الأسانيد فى رواية الأشعار والأخبار فى نهاية القرن التاسع ، وحتى نهاية القرن العاشر ، ففى نهاية القرن التاسع نعثر على أسانيد تفوق الحصر فى كتاب (الضوء اللامع) للسخاوى (ت٩٠٢)(٣) ٠ وأواخر العاشر نلتقى بأسانيد فى طبقات الشعرانى (ت ٩٨٢ هـ) (٤) ٠

كما نعثر على آثار شعرية لرجال الصوفية ، يرويها عنهم المريدون بالسّند المتصل إليهم ، ~~مما سوف نوفيه حقه من التفصيل والعناية فى موضعه~~: فالبدر الغَزّى مثلا (ت٩٨٣هـ) كان يروى قصيدة لمحمد بن عراق أحد ائمة الصوفية فى القرن العاشر الهجرى ، وقد كان تلاميذ ذلك الشيخ يروون تلك القصيدة بالسند المتصل إلى قائلها بعد أن أذِن لهم الغَزّى بروايتها (٥) ٠

هذا بالنسبة لرأى الرافعى فيما يتعلق ٠ بالإسناد أما عن رأيه بشأن ضعف الرواية فى القرن الرابع ـ فضلاً عما بعده من القرون ـ فموضعه عند الحديث عن أبعاد نشاط الرواية خلال القرن الرابع وما بعده ، ففى رأينا أن الرواية الأدبية قد ظلت قائمة ، وان عرضت لها أسباب الضعف فى بلدٍ دون بلد ، أو عصرٍ دون عصر ، أو فنٍ دون فن مما سوف نفصله عند التأريخ لظاهرة الرواية بصفة عامة فى بحثٍ مقبل إن شاء الله ٠

---

(١) ١/٣٢ ـ ٥٢ ـ ٩٣ ومواضع أخرى ٠
(٢) نفح الطيب : ٧/١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ومواضع أخرى ٠
(٣) ١/٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣١ ـ ٣٨ ـ ٤٤ ـ ٥٢ ـ ١٠٨ ـ ١٢١ ـ ٢/٧٢ ـ ١٢٨ ـ ٥٠ او مواضع أخرى
(٤) شذرات الذهب ٨/١٩٩ وانظر ١٧١ ، ١٢١ ٠
(٥) شذرات الذهب : ٨/١٢١ ٠

وأما فيمــا يتعلق بجورجى زيدان ، فأنه قد اتهــم رواة المســلمين بأنهم كانوا يقبلون رواية الأثر دون تمحــيص له ما دام مسبوقا بالإسناد .

ففى رأى جورجى زيدان أنهم كانوا (على الغالب يوردون روايات بأسانيدها ولو كانت متناقضة ولا يبدون فيها رأيا ، وانما يكتفون بايرادها للقارىء على اختلاف رواتها ... تلك هى طريقة الطبرى فى تاريخه ، والبلاذرى فى فتوحه ، والأغانى فى رواياته) (١)

والواقــع أن فى هــذا الرأى حــكما جـائرا على مسلك رواة المسلمين ومؤرخيهم . وسوف يرد حديث مفصّل بشأن (النقد العلمى) عند أبى الفــرج الأصفهانى ، والمــعايير العلمية النقدية التى يمكن استخلاصها من تتبع رواياته فى كتاب (الأغانى) باعتباره أحد أئمة رواة الآثار الأدبية .

فأما عن الطبرى – مثلا ، فقد كان يهدف إلى جمع شتات مفرق من الأخبار والآثار التاريخية . حتى يقدّم للدارسين مصدرا حافلا بالمادة التاريخية التى يوجهون إليها بالدراسة والاســتقراء .

ولقد كان شأن الطبرى – وأمثاله – فى منهجه ، شــأن رواة الحديث، يروى الأثر الواحد من طرق مختلفة، وبأسانيد متبــاينة ، حتى يعطى القــارىء فرصة النقــد والتمحيص والاختيار . وحسبه أنه أدّى الرواية كما وقعت له ، وأسندها إلى من تلقاها عنهم ، فأبرأ بذلك ذمته . يقول الطبرى فى مقــدمته :

(وليعلمْ الناظرُ فى كتابنا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه – مما شرطت أنى راسمه فيه – إنما هو على ماروّيت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مســندها

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ١٦١/٣

إلى رواتها ، دون ما أدرك بحجج المعقول واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بأخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أتى فى ناقليه إلينا ، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا)(١)

على أنه ينبغى الا نغفل عن جهود أمثال ابن خلدون والسخاوى من مؤرخى المسلمين ممن عنوا بوضع معايير للنقد العلمى أعانتهم على القبول أو الرفض للأثر وأعانت سواهم من المشتغلين بالتحقيق — على التمحيص وعمق النظر (٢)

وفى سبيل ذلك راح ابن خلدون يسدى التوجيه لمن يتصدى للرواية بقوله (فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك ، وتأمل الأخبار ، واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه)(٣) ٠

---

(١) تاريخ الطبرى ١/٧،٨ بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم (ط المعارف)

(٢) انظر فى مقدمة ابن خلدون ، فصل (فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شىء من أسبابها)

والاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ بتحقيق روزنتال ضمن كتابه علم التاريخ عند المسلمين ط بيروت ١/٢٨١

(٣) أنظر المقدمة فصل (علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شىء من أسبابها) ٠

الفصل الثانى

الحفــــظ

ظل الحفــظ تقليدا هاما من تقاليد الرواية ــ ســواء فى الأدب أو الحديث ، حتى صار ــ فى تصور بعض الباحثين ــ مرادفا لكلمة (رواية) (١) ، وصار التدوين مقابلا لها (٢) ٠

وقد نشأ ذلك التقليد منــذ دأب العــرب فى جاهليتهم على رواية آثارهم عن طريق الاستظهار لافتقارهم إلى من يكتبون بحكم انتشار الأمية ، وافتقارهم أيضا إلى وسائل التدوين ، ثم حاجتهم إلى الحفظ والرواية الشفوية ، تدريبا على النظم، وصقلا للمواهب ٠

ثم جاء الإسلام فأكّــد هذا التقليد عن طــريق الحث على حفظ كتاب الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ الآثار الأدبية ، اما تهذيبا للأخلاق، أو صقلا للملكات، أو الاستعانة بالأشعار فى تفسير القرآن والغوص على معانى غرائبــه (٣) ٠

وبالرغم من تقدم وسائل التدوين للآثار الدينية والأدبية ، وبزوغ فجر التأليف ، ثم استفاضة الكتب ، فى أواخر القرن الثانى ، وأثناء القرن الثالث إلى منتهاه فقد ظل الحفظ تقليدا مؤكدا لم يضعف منه (حركة التدوين العلمى) بل ظل يقوم

---

(١) انظر ضحى الاسلام ٣٣٩/١ والعمدة لابن رشيق ٠

(٢) نفس المرجع ٠

(٣) انظــر : بحثنا للماجســـتير ٦ ــ ١٢ ٠ (مخطوطة بمكتبــة كلية دار العلوم) ٠

من الرواية مقام أحد جناحى الطائر ، ليس بمستطيع أن يحلق إلا بجناحين معا : فوجدنا أئمة الرواة من أمثال الأصمعى وأبى عبيدة — يحفظون ، بل ويستحثون على الحفظ (١) ·

وانحدر إلى القرن الرابع ميراث السابقين ، ممثلا فى تقاليدهم ، تمثله فى أثارهم ، وكان من هذه التقاليد المرعية تقليد (الحفظ) · وأوائل هذا القرن تطالعنا أخبار عالمين استفاضت شهرتهما فى المقدرة الفذة على الحفظ والاستظهار أحدهما ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ·

والثانى ابن الانبارى (ت ٣٢٣ هـ)

فأما ابن دريد ، فكان — كما وصفه مترجموه (من أحفظ الناس ، وأوسعهم علما وأقدرهم على الشعر وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابن دريد) (٢) ·

كما وصفه آخرون بأنه كان (واسع الحفظ جدا تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو اكثرها فيسابق إلى إكمالها ويحفظها)(٣) ·

وأما ابن الأنبارى · فإنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر شاهدا فى القرآن·(٤) ولقد سُئل ابن الأنبارى ذات مرة : قد أكثر الناس فى حفظك ، فكم تحفظ فقال : ثلاثة عشر صندوقا) (٥) ·

---

(١) (مخطوط بمكتبة دار العلوم) باشراف الاستاذ الدكتور / أحمد هيكل ·
(٢) بغية الوعاء ١ / ٢١٢
(٣) تاريخ بغداد ٢ / ١٩٦ وانظر : مراتب النحويين ٨٣ ·
(٤) بغية الوعاء : ١ /٠٧٦
(٥) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٠٧ ·

ويمكن القول بأن هذين العالمين هما رأس مدرسة اعتمدت في أماليها للآثار الأدبية ، وتصنيفها للكتب التي قامت على رواية تلك الآثار .

فابن الأنباري - مثلا - كان يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار ، كل ذلك من حفظه ، وابن دريد أملى كتابه (الجمهرة) في بلاد فارس والبصرة وبغداد من حفظه أيضا (١) .

وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ، وهو تلميذ في المدرسة ، قد نهج نهجهما في مبدأ الاملاء من الذاكرة ، والاعتماد على (الاستظهار) في التأليف ومجالس الرواية والمباحثة العلمية:

ومن تصانيفه التي أملاها من حفظه عن ظهر قلب أماليه المشهورة والنوادر ، وكأن القالي قد أملاهما بالأخمسة في جامع الزهراء بقرطبة (٢) .

وقد ظل الحفظ سنة الرواة فيما بعد القرن الرابع ، إذ نجد أن ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (العمدة) يشير في ثنايا كتابه ، إلى ما يدل على اعتماده الحفظ والذاكرة مصدرا لمروياته التي ساقها مساق الشواهد، فيقول في أحد الأبواب: (وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي مَن أخذه حفظي وبَلَغَتْه روايتي على شريطة الاختصار والتلخيص) (٣) .

كما عرف أبو القاسم الخوارزمي (ت ٥٢١ هـ) في القرن السادس (٤) بقوة الذاكرة حتى لقبه الزمخشري بالجاحظ الثاني لحفظه وفصاحته .

---

(١) بغية الوعاة ١/٧٧ وانظر : معجم الأدباء ١٨ / ١٣١ ، ١٣٢
(٢) انباه الرواة ١ / ٢٠٧
(٣) العمدة : ١ / ١٧٩
(٤) بغية الوعاة : ٢ / ٢٧٩

وفى القرن الخامس أيضا نعثر على أسماء الكثيرين من الرواة ظلوا ملتزمين الحفظ ، معتمدين اياه مصدرا لنشاطهم العلمى · ومن الملاحظ أن علماء المغرب والأندلس قد ظهر منهم خلال القرن الخامس علماء أفذاذ فى قدرتهم على الاستظهار، من بينهم ابن حـزم (ت ٤٥٦ هـ) الذى ذكـره الإمام الغزالى فقال (وجدت فى أسماء الله كتابا لأبى محمد بن حزم ، يدل على حفظه وسيلان ذهنه)(١) ·

كما نلتقى بأمثال ابن سيده ، عـالم الأندلس اللغـوى الذى كان العلماء – فى الأندلس يستدعونه فى مجالس العلم ليقرأ من حفظه ما يريدون شـرحه ودرسـه من الكتب ، كالغريب المصنّف لأبى عبيدة (٢) ·

فلقد غدا الحفظ وسيلة أعانت العلماء على التأليف فلعبت الذاكـرة – اذن – دورها فى دفـع حـركة التأليف العلمى ، وتنشيطها ، وقد ذكرنا فى القرن الرابع بعض الأمثلة ونضيف هنا نموذجـــا آخر هو الحميـــدى (ت ٤٨٨ هـ) · الـذى ألف كتـــابه (جذوة المقتبس فى ذكر علماء الأندلس) ، من حفظه ، كما ذكـر فى مقدمته ، وكان ذلك أثناء وجـوده بالعراق ، وأشار البعض عليه بأن يجمع لهم مايحضره من أسماء رواة الحديث بالأندلس · وأهل الفقـه والأدب وذوى النباهة أو الشعر (٣) ·

ولقد أعان الحميدى على إنجاز مصنّفه هذا أنه استعان بذاكرته فتغلّب على عقبة ذكرها فى مقدمته وهى بُعده عـن

---

(١) الذهبى : العبر ٣ / ٢٣٩

(٢) ابن عربى : محاضرات الابرار ٣/٢٤٣ وانظر تفاصيل ذلك فى انباه الرواة ٢ / ٢٢٧ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٥١

(٣) مقدمة الجذوة : ص ١

مراجعة مظانه فى الأندلس (١) .

ويظل الحفظ سنة الرواة والعلماء إلى نهاية القرن العاشر سواء فى المشرق أو فى المغرب ، ونستثنى من ذلك الأندلس المسلم الذى ظل الحفظ دأب رواته إلى حين زوال الوجــود الإسلامى من شبه الجزيرة : أواخر القرن التاسع .

الا أنه يمر بمرحلتين :

المرحلة الأولى ، وتبدأ مع القرن الرابع وحتى أواخر القرن السابع : وتميزت هــذه المرحلة بالإقبال على حفــظ الآثــار الأدبية ، وأمهات كتب اللغة ، والأدب . فكان الاتجاه أكثــر إلى الآثار الأدبية واللغوية إذن .

أما المرحلة الثانية ، وهى تبــدأ من القــرن الثامن وحتى نهاية العاشر ، فكان الحفــظ موجّها فى الاغلب إلى المتــون والشروح ، والمنظومات العلمية ، والمختصرات ، سواء فى الفقه ، أو الحــديث والنحو ، أو التصــوف ، على حين قل حفظ الآثار الأدبية .

ومعنى هذا أن الحفظ قد تحول بصورة ظاهرة الى الوجهة التعليمية ، وصار وسيلة لإعداد الفقهاء والمحدثين والنّحاة ، واللغويين ، وأيضرابهم .

وكان ذلك التحول فى (الحفظ) مرده الى التحول العام فى الروايــة جــملة حيث فتــرت الاهتمامات بالأدب – فنــا وإبداعا – واتجهت الى الأدب – علما ودراسة ، كما كان ذلك راجعا أيضا إلى طبيعة العصر : إذ أن الحــركة الأدبيــة فى المجال الإبداعى قد مالت بشكل ظاهر الى الضعف والتهافت بحكم عوامل سياســية وفكرية نُفَصّلها فى موضعها ، وجنح العصر إلى (النشاط الموّجه للعلوم) والأدب بمعناه العام .

---

(١) نفســه

ودليلنا على ذلك نستقيه من الواقع العلمي ذاته :

١ — فعندما نستعرض كتب التراجم في هذه المرحلة نجد أن انصراف العلماء موجه غالبا إلى علوم الشريعة واللسان، ووسيلتهم هو الحفظ لما كان بين ظهراني الحفظة من كتب ، غلبت عليها صبغة العلم ، واتخذت شكل المختصرات أو المنظومات حتى تعين أهل الأدب على استظهارها ·

فابن تمية (ت٧٢٨هـ) مثلا يصفه ابن العماد في معرض ترجمته بأنه (أمده الله بكثرة الكتب ، وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم · وبطء النسيان) (١) ·

فقد قال غير واحد : (إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه) (٢) ··· (وكان يورد في المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر) كما وصف بأنه (برع في الأحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزوّا إلى أصوله وصحابته ··) (٤) وبأنه (كان يستوعب السنن والآثار حفظا) (٥) وابن كثير المحدث والمفسر (ت ٧٧٤ هـ) قد (حفظ التنبيه وعرضه عام ٧١٨ هـ، وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم)(٦)

فاذا ما استعرضنا السنين — في كتب التراجم — وجدنا أننا حتى نهاية القرن العاشر نلتقي بمثل قولهم في معرض الترجمة للعالم :·

(كان يحفظ الشواهد) (٧) ·

---

(١) شذرات الذهب : ٥ / ٨١
(٢) نفسه
(٣) نفسه
(٤) نفسه
(٥) نفسه ٥ / ٨٢
(٦) شذرات الذهب : ٥ / ٢١٩ عام ٧٧١ هـ ·
(٧) شذرات الذهب : ٦/١٢٩ عام ٧٧١ هـ ·

(كان حافظا للمتون) (١) ٠

(له محفوظات فى الفقه والأصول والعربية) (٢) ٠

(أكثر استحضارا للموتون) (٣) ٠

(حفظ القرآن ، والتنبيه والألفية ومختصر ابن الحاجب) (٤) ٠

(يروى ألفية الحديث والقاموس عن مؤلفيهما ، وتلخيص المفتاح ٠٠) (٦) ٠

(كان المشاهير من كبار التفاسير مركوزة فى صحيفة خاطره)(٦) ٠

٢ - دليل ثان يؤيد ماذهبنا إليه من أن الحفظ ظل ممتدا على مدى القرون إلى نهاية القرن العاشر ، وأنه بعد القرن السابع قد انصرف فى الأعم الأغلب الى المواد العلمية ، وبخاصة المختصرات ، والمتون ، وصار أسلوب تعليم ٠

وهذا الدليل نعثر عليه لدى ابن خلدون علامة المغرب ، إذ يقول فى مقدمته الشهيرة :

(ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء فى العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا فى كل عام يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ (٧) ٠

---

(١) شذرات الذهب : ٦ / ٣٢٤ عام ٧٩٢ هـ ٠

(٢) شذرات الذهب : ٦ / ٣٢٦ عام ٧٩٢ هـ ٠

(٣) شذرات الذهب : ٧ /٥٦ عام ٨٠٦ هـ ٠

(٤) شذرات الذهب : ٧ / ١٩٠ عام ٨٢٩ هـ ٠

(٥) شذرات الذهب : ٨ / ٢٧٢ عام ٩٧٣ هـ ٠

(٦) شذرات الذهب : ٨ / ٣٨٥ عام ٩٧٧ هـ ٠

وانظر مواضع أخرى من الجزء السادس الى الجزء الثامن زاخرة بمثل الاشارات المتقدمة وانظر أيضا : **الضوء اللامع للسخاوى** ١/٧٧/ ٣١٧ - ١٢/٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ٢٥١ ومواضع أخرى ٠

(٧) مقدمة ابن خلدون (ط التجارية) ص ٥٣٢ ٠

كما يؤكد ابن خلدون ذلك فيقول (وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة فى الفنون للتفسير والبيان ، فاختصروها ، تقريبا للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب ، فى الفقه وابن مالك فى العربية والخونجى فى المنطق وأمثالهم) (١) ٠

ويبدى علامة المغرب شكواه المريرة من سوء هذا المسلك العلمى ، فيقول (وهو فساد فى التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل)(٢) ٠
كما يوضح فى موضع آخر أثر هذا الأسلوب فى عُقْم المَلَكات العلمية وانصراف اهل الطلب عن التجديد والأصالة ، فيقول فى وصف الطالب على عصره (فنجد الطالب منهم ، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية ، سكوتا لا ينطقون ، ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم) (٣) ٠

٣ — دليل ثالث على ما قدمنا ، نستقيه هذه المرة من أواخر القرن العاشر ، يوافينا به أحد علماء هذا القرن وهو (العلوى) المتوفى عام ٩٨١ هـ اذ يطالعنا كتابه (٤) بحديث ضاف عن (الحفظ) وأهميته ، ويبذل النصائح التى تعين عليه ، ويحذر من النسيان ويوجه النظر الى أسبابه وعوامل وقوعه ٠

ومعنى ذلك أن الحفظ :

أولا : ظل مسلكا علميا الى القرن العاشر على الأقل ٠

ثانيا : أنه قد اتجه الى العلوم — لا سيما المختصرات وما

---

(١) نفس المرجع والصفحة ٠
(٢) نفس المرجع والصفحة ٠
(٣) نفس المرجع ص ٤٣٢
(٤) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد (ط دمشق) ص ٣٨ وما بعدها ٠

فى مستواها · وذلك فى الأعم الأغلب ، وقل اتجاه الحفاظ إلى الآثار الأدبية ، وبخاصة تلك التى أنتجتها قرائح أهل الأدب فى عصور الازدهار الأدبى خلال القرون الأربعة الأولى ·

ثالثا : أن الحفظ قد تحول من أسلوب للرواية الى أسلوب للتعليم ، لكنــه ظل برغم ذلك محوطا بتقاليد أهــل الرواية ، الذين صبغوا (التعليم والتربية) بصبغة خاصة وحاطوهما بمناهجهم كما سوف نورد ذلك مفصــلا عند الحــديث عن (التعليم والرواية) فى بحث مستقل ·

وفى سبيل رعاية تقليد الحفظ ، سواء فى مرحلة الرواية الخالصة أو فى مرحلة التحصيل · استفاضت أبحاث الرواة والعلماء متوافرة على دراسة موضوع (التذكر والنسيان): نجد ذلك عند القابسى (١) فى القرن الرابع ، والبغدادى فى القرن الخامس (٢) ، والزرنوجى أواخر القرن السادس(٣) أولئك الذين ألفوا فى آداب الرواية وشــرائطها · كما نجــد ذلك عند الأدباء ، كأبى العلاء المعري (٤) ، وذلك فيما أورده على لسان الجنى ، وهو يباهى بنى آدم بمقدرته الفــذة على الحفظ وبُعد طبيعته عن السهو والنسيان ·

وإذا كان ثمة فارق بين (رواة الأدب) ممن اتجهوا الى حفظ الاشــعار وفنون الأدب وبين (رواة العــلم) الذين استهدفوا حفظ العلوم · فإن الفارق يحدّده هدف كل فريق · فرواة الأدب كان هدفهم المحافظة على (التراث الأدبى) من جهة ، ثم تقويم الملكات الأدبية وصقلها · أما (رواة العلم)

---

(١) القابسى : الرسالة المفصلة ص ٢٨٣ ومابعدها (ط عيسى الحلبى القاهرة عــام ١٩٥٥ م ·

(٢) تقييد العلم ص ٧١ (ط دمشق) ·

(٣)تعليم المتعلم طريق التعليم ص ٣٠ وما بعدها (ط مصطفى الحلبى القاهرة ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م) ·

(٤) رســالة الغفــران (ط دار المعارف ١٩٥٠ م) بتحقيق الدكتورة

فكان هدفهم الحفاظ على التراث العلمى ، الى جانب تخريج العلماء فى ميادين شتى من المعارف : فى الحديث والفقه ، واللغة وسائر الدراسات الإسلامية والعربية · بخاصة ·

ومعنى هذا أن (رواة الأدب) قد ظلوا ملتزمين بالهدف ذاته والذى نشأ مع البداية الأولى للرواية الأدبية ·

ولهذا عقد ابن رشيق فصلا (١) فيما يجب أن يأخذ به الشعراء والمتأدبون أنفسهم بالحفظ جريا منهم على سنة المتقدمين اذ كان (الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة على قوم من الشعراء ،فيقولون : (فلان شاعر رواية) يريدون انه إذا كان راوية عرف المقاصد،وسهل عليه مآخذ الكلام،ولم يضق به المذهب ، وإذا كان مطبوعا لا علم له ولا راوية ، ضل واهتدى من حيث لايعلم · وربما طلب المعنى ، فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته (٢) ·

ولكن يبقى الحفظ تقليدا مرعى الجانب عند أهل الرواية فقد حاطوه بضمانات خاصة تتمثل فيما يلى :

(١) التدوين ·
(٢) العرض على العلماء ·
(٣) اختبار الحفاظ ·
(٤) الأمانة عند النقل من الذاكرة ·

١ ـ فأما التدوين ، فيكاد يكون تقليدا ملازما للحفظ

عائشة عبد الرحمن ٢ / ٢٨٤ · وانظر ايضا ابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله) ١/٣ وما بعدها (ط الرحمانية)

(١) العمدة : (ط هندية بمصر) ١ / ٧٨

(٢) العمدة : ١ / ٧٨

تمام الملازمة فمنذ غلبت (الرواية الشفوية) على الشعراء في الجاهلية (١) ، قام التدوين ، وان لم تتوافر له وسائل الاتساع والنضج ، ثم أخذ ينمو تدريجيا ، مع ازدياد تعلم القراءة والكتابة وانمحاء الأمية ، وتقدّم صناعة المواد المستخدمة في الكتابة كالورق ، والمداد ، والأقلام ، فكان أبو عمرو ابن العلاء في القرن الثاني يدوّن الشعر الجاهلي .

٢ ـ أما العَرض على العلماء ، فكان مسلكا يهدف إلى أمرين : الأول تصحيح المرويّ ، والثاني توثيقه ، وكانت عملية العرض هذه تسبق الحفظ ، أو تتبعه . فبالنسبة للحالة الأولى ، كان الراوية يدفع إلى شيخه من المدوّنات ـ كتبا أو مايقوم مقامها فيعتمده ، ويقره عليه ، ثم يسمح له بالحفظ بعد سماعه عليه (٢) .

وأما الحالة الثانية ، فكان الراوية يحفظ مايراه أولا ، ثم يعرض ما حفظ على الشيخ التماسا للتصحيح والتوثيق ، والإذن في روايته .(٣)

٣ ـ كذلك دأب علماء الأدب على اختبار الراوية فيما ادّعى حفظه من المرويات ، فإذا اجتاز الاختبار بنجاح ، حاز الثقة الواجبة واطمأن الرواة عنه إلى عدالته : فابن سمعان الوايلي البكري (ت ٧٧٠ هـ) ، كان يستحضر الكتب في شتى المعارف ، وقد عُقِد له مجلس يحضره أعيان العلماء في دمشق ، وامتُحِن فيما كان يحفظ من الكتب ، والتي من بينها : (الفائق للزمخشري ، والصّحاح والجمهرة ، وغريب أبي عبيد ، والمنتهى في اللغة البرمكي ، وهو أكثر من ٣٠ جزءاً (٤) .

---

(١) انظر تفاصيل قيمة حول هذا الموضوع في : مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد (ط دار المعارف) ص ١٠٩ ومابعدها .
(٢) ابن خير الاشبيلي (فهرست مروياته) ١/ ٢٠ (ط بيروت) .
(٣) شذرات الذهب : ٨ / ١٥ عام ٩٠٢ هـ ، ٥١ عام ٩١١ هـ .
(٤) شذرات الذهب : ٦ / ٢١٨ .

كما كان الراوية — فى زمان أخذه — يتعرض لاختبارات مستمرة ، للاستيثاق من محفوظه ، أو تدريب ذاكرته على الاستظهار ، كما حدثنا ابن الأبّار عن نفسه (ت ٦٥٨ هـ) اذ كان أبوه من العلماء الرواة ، فكان يستظهر عليه مرارا أيام اخذه على الشيوخ ،وكان ابوه (يمتحن بذلك حفظه) (١)

٤ — أما عن مبدأ الأمانة ، فالمراد به أن يشير الراوية عند روايته الأثر الى ماقد يعرض له من النسيان ، او روايته الأثر بالمعنى دون النص ، لقصوره عن الرواية باللفظ ·

وللرواة فى سوق المرويات التى ضعفت ذاكرتهم عن الوفاء برواياتها على الوجه الدقيق · أقول : لهم فى ذلك صيغ تفى — بحق — بمقتضيات الأمانة التى عرف بها رواة الآثار ·

من هذه الصيغ :

(أو قال كلاما هذا معناه · فأنى كتبته من حفظى) (٢)

وابن رشيق فى احد فصول كتابه العمدة، يعتذر عن عدم ثقته بحفظه ، فيقول : (قد كنت أردت ذكر هذا الفصل ، فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له ، فلم أثق بحفظى فيه حتى صححته ، فأثبته بمكانه من هذا الباب (٣) ·

ومن الصيغ أيضا :

(فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه) (٤) ·

(·· وبينهما بيت ثالث ذهب من حفظى) (٥)

(هذا معنى لفظ ياقوت ، فإنى كتبته مـ نحفظى) (٦) ·

---

(١) الحلة السيراء : ١ / ١٤ ، وانظر أيضا الخبر بنصه فى كتابه : التكملة لكتاب الصلة : ٢ / ٨٨٨ ·

(٢) انباه الرواة : ١ / ٢٤٤

(٣) انباه الرواة ٣ / ٤١ ، وانظر صيغا مماثلة فى الأغانى : ١١٣/٤ ، ١٢٨/٥ والتكملة لابن الأبار : ١ — ١٩٠ ، ويتيمة الدهر : ١ / ١٣٨ ومواضع أخرى فى الأمالى مثل ١ / ١٥١ وذيله ص ٦٥ ·

(٤) الحلة السيراء : ٢ / ٢٦٥

(٥) العمدة : ١ / ٥٧

(٦) العمدة : ٢ / ٩٢

الفصل الثالث
لقاء العلماء

أولا : الأخذ من أفواه الرجال

كان الأخذ من أفواه الرجال تقليداً حرص عليه رجال الحديث والآثار الأدبية على السواء . ودوافعهم إلى ذلك هو الاحتراز عن التصحيف والتحريف ، وبخاصة في الألفاظ والأسماء المشكلة ، التي تتشابه في صور الخط ، كأسماء الشعراء والقبائل وأيام العرب ، وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها، وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الأشكال.

وقد ظل هذا التقليد ملتزما مرعيّ الجانب عند رواة الحديث خاصةً إلى القرن العاشر ، أما بالنسبة للآثار الأدبية ، فقد ضعف بعد القرن السابع بالذات على تفاوت في درجة الضعف في مختلف القرون .

فإلى جانب رواة القرن الرابع أمثال أبي الفرج الأصفهاني والقالي والمرزباني والآمدي ، نلاحظ وجود رواة آخرين قد وصلوا بالتزامهم إلى حد التشدّد وإنكار كل محاولة للاكتفاء بالكتب دون السماع .

نسوق مثلا لهؤلاء (الأزهري) (١) ، اذ سجّلت مقدمته نقدا قاسيا للخارزنجي (٢) . لأنه في مقدمة كتابه (التكملة

---

(١) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي . ولد بهراة ٢٨٢ هـ ومات بها ٣٧٠ وهو صاحب معجم (تهذيب اللغة) .

(٢) أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي ، وله كتاب التكملة لكتاب العين . توفي عام ٤٠٨ هـ .

لكتاب العين) قد صـرح باعتماده على الكتاب دون الأخـذ من أفواه الرجال (٢) ٠

وفى أخريات القـرن الرابع أيضـا يصـرح التنوخى فى مقدمة كتابه (نشوار المحاضرة) بما يؤكد أخـذه والتزامه بمبدأ السماع ، دون الاعتماد على الصّحف ٠ فيقول التنوخى (هذه ألفاظ تلقّطتُها مـن أفواه الرجال ، وما دار بينهم فى المجالس) (٢) ٠

كما يصرح فى موضع آخر من مقدمته بقوله (وأنا إنما تلقّفتُها من الافواه دون الأوراق) (٣) ٠

ولعل العبارة الثانية أصـرحُ فى الدلالة على الأخـذ من الأفواه ، بل هى أدلّ على كون هذا المصـدر ، هو المصـدر الأول وقد حذا حذو التنوخى فيما بعد القرن الرابع عالم آخر هو ابن النجار ، وكتابه الذى نحا بـه منحى التنوخى هـو (نزهة الطرف فى أخبار أهل الظرف) (٤) ٠

فإذا استعرضنا (يتيمة الدهر) للثعالبى ، وجدنا فيها ما يشير إلى أخذه من افواه الرجال ، كقوله :

(وإنما تطرّفته من أفواه الرجال ٠٠)

وعند عقده فصلا (فى مُلَح أهل الشام ومصر والمغرب) صـدّره بقوله (هذا باب كثرته على غرر تلقّفتُهـا من أفواه الرجـال ٠٠) ٠

وفى القـرن السادس ، يستلفت انتباهَنـا محاولةُ لأحـد علمائه حاول الاعتمـاد على الكتب دون الأخـذ من الأفواه ،

---

(١) تهذيب اللغة ١ / ١٩ وما بعدها ٠

(٢) نشوار المحاضرة ١ / ١ (المقدمة) (ط بغـداد بتحقيق عبود الشـالجى) ٠

(٣) نشوار المحاضرة : ١ / ١٢

(٤) فـوات الوفيـات : ٢ / ٥٢٢ وابـن النجـار هـو محب الدين محمد بن محمود البغدادى ٠

فتصدى له معاصروه من الرواة . هذا العالم هو ابن قائد الخطيب[١] ، وندع السيوطى يسرد هذا الموقف بعبارته، يقول السيوطى : (. وأكبّ على علم النحو فبلغ منه الغاية . . ولم يكن أخذه عن إمام ، إنما كان يحل مشكله بنفسه ، ويراجع غامضه بصادق حسه ، حتى جرى بينه وبين عمر بن الشِّحنة مناظرة ، فظهر موفق الدين هذا ، فلم يكن لابن الشحنة قرار إلا أن قال : إنه صَحفى فلحِق موفق الدين بمكى بن ريّان ، فقرأ عليه أصول ابن السراج ، وكثيراً من كتاب سيبويه)[٢] .

وبعد أن ينقل السيوطى هذا الخبر ، يعلق عليه بقوله : (ولم يفعل ذلك حاجة به إلى إفهام وإنما أراد أن ينتمى على عادتهم فى ذلك إلى إمام)[٣] .

فإذا كنا فى القرن السابع الهجرى رأينا كثرة من الرواة يعتمدون المصدر ذاته ، ويحافظون عليه . فياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) يؤكده فى مقدمتى كتابيه (معجم البلدان) ، و (معجم الأدباء) وكذلك ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) فى مقدمة (وفيات الأعيان) ، وسوف نكشف بالدراسة المفصلة أبعاد ذلك لدى ياقوت وابن خلكان وسواهما حين نعرض لذلك فى موضعه .

ولا تتوقف هذه العادة بعد القرن السابع وإنما تضعف نسبياً ، وإن اختلفت أبعاد ذلك الضعف بين قرن وآخر ، وبين

---

(١) محمد بن يوسف بن قائد الخطيب النحوى كان اماماً فى العربية توفى عام ٥٨٠ هـ .

(٢) بغية الوعاة : ١/ ٢٨٦ .

(٣) نفس المرجع .

المشرق والمغرب[1] .

ولقد انعكس أثر هذا التقليد بوضوح على المصادر المدونة . فاعتبر الأخذ منها ، أو النقل عنها رواية إذا سمعت هذه المصادر أو أذن في روايتها على نحو من الأنحاء : سواء بقراءة الشيخ ، أو بقراءة التلميذ على الشيخ أو بعرضها عليه ، أو مقابلتها بمثيلاتها من النسخ المعتمدة من أهل الرواية والسماع .

ولهذا يمكن القول بأن حركة التدوين والتأليف قد غدت — عند المسلمين — رواية معتمدة ، إذ التزمت بتقليد أهل الرواية ، وسوف نجلو هذا الأمر عند الحديث عن التدوين وعن رواية الكتب .

كما أن الرجال الذين كان الرواة يلقفون من أفواههم مروياتهم ، كانوا على ضروب شتى ، أهمها :

١ — أن يكونوا أدباء منشئين للآثار الشعرية والنثرية ومهمة الراوية هنا هو التعرف على آثارهم وجمع النصيب الوافر منها بقصد الحفظ والنشر .

٢ — أن يكونوا نقلة مصاحبين للأدباء ، أو أقارب لهم ، أو ممن لقوهم بطريقة ما من اللقيا ، فصار هؤلاء النقلة مصدراً لأديب أو أكثر ، يلقاهم الرواة ويأخذون من أفواههم .

٣ — أو علماء محققين ، يحملون شتى الآثار ، وليسوا مجرد نقلة ؛ بل هم يوجهون مروياتهم وجهة التحقيق العلمي الدقيق ، فيناقشون مع غيرهم من الشيوخ أو التلاميذ قضايا الرواية ، في النسبة واختلاف النص ، وتحقيق تواريخ الرجال ويختبرون من يلقونهم قبل الأخذ عنهم ، ويحتفظون لأنفسهم بمدونات تأخذ شكل الكتب أو شكل المذكرات الخاصة .

(١) سيرد ذلك مفصلا في تأريخنا لظاهرة الرواية بصفة عامة .

وفى حديثنا - فى مواضع مقبلة - ما يزيد الأمر وضوحا حين نفصله ، ونلتمس له الشاهد والدليل ٠

ثانيا : الرحلة : دواعى

تمثل الرحلة تقليدا من تقاليد الرواية عند علماء المسلمين فهى مظهر للنشاط العلمى المتحرك الذى يؤمن بمبدأ المبادلة الفكرية ، وينقل النشاط العلمى نقلا يتيح له سعة انتشار ، فيكتسب من نواعى الخصوبة ، والتجديد الدائم ما ينتشله من وهدة العزلة ، فلا يبقى حبيسا محصورا ٠

وقد عرف علماء المسلمين الرحلة ، وكان لرجال الحديث الفضل فى تقريرها كما كان سائر أهل الرواية والعلم يوجبونها ، حتى قال : ابن خلدون (فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال) وكان مما يمتدح الراوية به - فى معرض توثيقه - وصفه بصفات تدل على مبلغ الاهتمام بالرحلة من مثل قولهم: (الطويل الهجرة) (١) ٠

(سمع هذه الرحالة فأكثروا) (٢)
(رحل إليه الناس من الآفاق) (٣)
(معتنيا بلقاء الرجال) (٤)
(وإليه كانت الرحلة) (٥)
(٠٠ الرحّالة ٠٠) (٦)

ولقد عرف رواة الآثار الأدبية تقليد الرحلة قبل القرن

---

(١) نفح الطيب : ٢ / ٢٦٦ ٠
(٢) شذرات الذهب : ٧ / ٨٣ عام ٨١٦ هـ ٠
(٣) شذرات الذهب : ٧ / ٨١ عام ٨١٥ هـ ٠
(٤) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠ ٠
(٥) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠
(٦) التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٤٠

الرابع وقد عرفوها الى البادية ، كما عرفوها إلى الأمصار والأصقاع النائية . وأقدم من عرفناه ممن رحلوا إلى البادية هو : يونس بن حبيب (ت ١٨٠ هـ) والخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وأبو زيد الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) ، وكان أبو زيد الأنصارى أكثر أهل هذه الطبقة أخذا عن البادية وكانت له بذلك ميزة على صاحبيه الأصمعى ،وأبى عبيدة(١)

واستمروا يرحلون إلى البادية إلى أواخر القرن الرابع ثم فسدت سلائق العرب . وبذلك انقطعت مادة الرواية عن أهل البادية ،واكتفى الناس بآثار أسلافهم التى حوتها الكتب (٢).

وإنما كان العلماء بعد ذلك يسألون بعض الأعراب المتوسمين بشىء من جفاء البادية ممن لم تنسخ فيهم الفطرة نسخا ، وكانوا يستريحون الى ذلك ، ولا يأخذون به وبقى هذا الأمر إلىمنتصف القرن السادس، ونقلوا عن الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) بعض كلمات مما سألهم فيه ، ولكن لم ينقل أن أحدا اعتد هذا وأمثاله من اللغة وأجراه مجرى الرواية)(٣).

أما عن الرحلة إلى الأمصار ، فقد نشطت فى مجال رواية الأدب قبل القرن الرابع الهجرى : فيذكر لنا الزبيدى أن عباس بن ناصح الأندلسى (ت بعد عام ٢٣٠ هـ) رحل مع أبيه إلى مصر ، وتردد فى الحجاز طالبا للغة العرب ، وأنه قد لقى الأصمعى وغيره بالعراق ، واجتمع بأبى نواس ، وأذعن له بالفضل على نفسه ، ثم انصرف بعد هذه الرحلة إلى الأندلس (٤) .

---

(١) الرافعى : تاريخ آداب الرافعى : ١ / ٢٤٢

(٢) نفسه : ١ / ٣٤٥

(٣) نفسه : ١ / ٣٤٥ وانظر خبرا هاما بشأن التعامل مع أهل البادية فى ترجمة محمد بن أحمد الغندجانى فى معجم الأدباء : ١٧/١٥٩ - ١٦٤ ، وبغية الوعاة : ١ / ٥٢ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين : ٢٨٤ ، ٢٨٦

كما عَرف القرن الثالث أيضا أمثال : محمد بن عبدالسلام الأندلسى (ت ٢٨٦ هـ) حيث رحَل إلى بغداد، فسمع بها بعض العلماء ، وأدخل الأندلس كثيرا من حديث الأئمة ، وكثيرا من كتب اللغة والشعر الجاهلى (١) ·

كما رحل من الأندلس أيضا (أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيبانى الأندلس) المتوفى عـام ٢٩٨ هـ ، وكان له أيضـا سماع فى بغداد وقد لقى الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ، ولقى من الشعراء أبا تمام ودعبلا وابن الجهم ·

وقد عَقـد المقّـرى فصلين فى (نفح الطيب) ، فيمن دخل الأندلس من المشارقة، ومن رحل الى المشرق من أهل الأندلس· وتدل الأخبار التى جمعها فى الفصلين المتقدمين على نشاط الرحلة ، وعلى اجتهاد العلماء فى التحصيل مهما كلفهم ذلك من عناء السفر ، ووعثاء الطريق ·

أما فى القرن الرابع ، وما بعده ، فقد عرف المشرق وفود الرحالة من أبناء الغرب المسلم ، يفدون إليه كثيرا بقصد أداء فريضة الحج ، وفى طريق الذهاب ، والعودة ، يسعَون إلى لقاء العلماء ، والأخذ عنهم وكثيرا ما يعدلون عـن مسارهم فى رحلة الحج ، فيقصِدون أقطارا أخـرى بعيدة كالشـام ، والعـراق ·

ولا نمر بترجمةِ عالِم من علماء القرن الرابع ، وحتى نهاية العاشـر على الأقل — إلا ونجـد الرحلة جـزءا لا يتجزأ من نشاطه العلمى ، سواء فى مراحل الطلب ، حين يرحل الطالب للرواية ، أو بعد أن تكتمل له أسباب النضج ، فيصبح مقصِدَ الرحّالة ، أو يشدّ هو الرحال طالبا للمزيد ·

---

(١) بغيـة الوعاة : ١ / ١٦٠ ، وانظر : الفرضى : تاريخ علمـاء الأندلس : ٢ / ١٦ ·

(٢) نفح الطيب : ٤ / ٢١٤ ·

ففى القرن الـرابع ، نلتقى بمثل أبى عبـد الله بن منـده (ت ٣٩٥ هـ) الذى بقى فى الرحلة بضعا وثلاثين سنة ، حتى لقبوه بالجوال .

وابن جبير الأندلسى فى القرن السادس الهجرى ، رحل الى دمشق ثم المغرب ، ثم رحل ثانية الى المشرق عام ٥٨٥ ، وثالثة عام ٦٠١ هـ وجاور بمكة والقدس .

والفيروزابادى فى القـرن التاسـع رحل إلى اليمن والعراق فالقاهرة، وجال فى البلاد الشرقية والشامية وبلاد الروم والهند، فيلقى جمعا (من الفضلاء حمل عنهم شيئاكثيرا) كما يحدثنا السيوطى أحد علماء القرن العاشر والمتوفى عام ٩١١ هـ فيقول (سـافرت بحمـد الله تعالى الى بلاد الشـام والحجـاز واليمن والهنـد والمغـرب والتكـرور ..) (١) ونتيجة لذلك بلغ عدد مشايخه مائة وخمسين شيخا وهكذا ـ لو استمر مانسوقه من النماذج ـ نجد حركة الرواية تمتـد إلى نهاية القرن العاشر (٢) ، وإن تجاوزته بعد ذلك تجاوزا تشير إليه بعض المظان الأخرى البعيدة عن حيز بحثنا هذا(٣).

أما عن الأقطار المسلمة التى شهدت الرحلة ومراكز الرحلة فيها ، فأهمها مايلى :

١ ـ العـراق :

وقد شهدت نشاطا كبيرا للرحالة الوافدين عليها الطارئين على حاضرتها (بغداد) ، حيث رحل إلى بغداد أهل العـراق نفسه من أطراف شتى ، وأهل الأندلس ، كما سبق أن أشرنا

---

(١) شذرات الذهب : انظر : ٨ / ٣٨٥ عام ٩٧٧ هـ . ٨ / ٤١٧ عـام ٩٨٩ هـ .

(٢) نفســه .

(٣) انظـر ـ مثلا ـ التـاج العروسى للزبيدى جـ ١٠ (نهايته) فى ترجمة شارح القـاموس .

وسـائر الأصقاع الاسلامية ، ولقد سـئل ابن العميد - فى القرن الرابع عن بغداد ، فقال : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العبـاد (١) ثم تضاعفت اهميتها حين أقيم بها المدرسـة النِّظامية عام ٤٥٩ (٥) ٠

ولقد ظلت الرحلة إلى بغداد حتى انحسر ظلها بسقوطها على يـد التتار عام ٦٥٦ هـ أى فى منتصف القـرن السادس الهجرى ، فكان أن انتقل النشاط العلمى من أرض الرافدين إلى كل من الشام ومصـر ٠

٢ - الشـام :

وأشهـر مراكـزها دمشق ، التى شـهدت ذروة مجدها العلمى فى ظل بنى أمية خلال القرنين الأول والثانى ٠

على أن دمشق قد تميزت - خلال القرن السادس الهجرى بوجود أبى طاهر الخشوعى (٣) (ت ٥٤٠هـ) الذى سيرد التعريف به مفصـلا وكان مبعث شهـرته آنذاك هو اشتهاره برواية مقامات الحريرى ، ومن هنا قصده العلماء لسماعها عليه ، كما أن الخشوعى ذاته كان من شعراء الزهد ، ومـن هنـا قويت همة الرحـالة فى الرواية عنه وحمل آثاره. وعدا دمشق نلتقى بحلب التى ، ضاعف من أهميتها وجـود آل العديم بها خلال القرن السادس وما قبله (٥) ٠

كما زادت أهمية (معرة النعمان) بعـد عودة أبى العـلاء المعـرى (ت ٤٤٩ هـ) إليها وحيث (سـار إليـه الطلبة من

---

(١) شـذرات الذهب : ٣ / ٣٠ ٠
(٢) السيوطى : حسن المحاضرة : ١ / ٢٥٥ ٠
(٣) التكملة لكتاب الصلة : ٢ / ٥٩٨ ٠
(٤) نفس المرجـع ٠
(٥) معجم الادباء : ١٦ / ٥ - ٥٦ ٠

الآفاق) (١) وظلت بلاد الشام مثابة الرحالة من أهل الراوية حتى القرن العاشر ٠ فخلال القـرن التاسـع اجتذبت إليها الرحالة للسماع من عائشة بنت محمد الصالحية (ت ٨١٦ هـ) التى كانت فى آخر عمرها أسند أهل زمانها مكثرة سـماعا وشيوخا حتى سمع منها الرحالة فأكثروا)(٢) ٠

٣ ـ وأكثر ما اشتهرت به رواية الآثار الدينية ، وبخاصة الحديث فى مكة والمدينة ٠ وقد كان لمكة ـ بحكم منزلتهـا الدينية ـ أهمية خاصة من أهل الرواية ٠ وفى القرن الخامس عـرف الرحالة بها سيدة اشتهرت بإقـراء صحيح البخارى هى كريمة المروزية (ت ٤٦٣ هـ) (٣)،ويبدو من بعض الأخبار أن مكة قد عـرف أهلهـا وقصّادُها بمزاولة نشـاط ملحوظ فى الرواية ، حتى قيـل إن ابن عبد الكافى البكرى المتوفى عام ٨٠١ هـ ، كان سبب كثرة مروياته وشيوخه أنه (كان إذا قدم الركب مكة طاف على الناس فى رحالهم ومنازلهم يسأل من له راوية أو حظ من علم ، فيأخذ منه ما استطاع (٤) ٠

٤ ـ مصـر :

وقد اجتذب الرحالة الى مصـر عوامل كثيرة : من بينها أنها كانت زاخرة بالنشاط العلمى ووفود الرحالة ، منذ وقت مبكر ٠ بعدما استقر بها العرب الفاتحون لها أوائل القـرن الأول،وعرفت الحياة الأدبيةبها خلال القرنين الثانى والثالث

---

(١) انباه الرواة : ١ / ٦٣ ٠
(٢) شـذرات الذهب : ٧ / ٣٧٠ ٠
(٣) الذهبى : العبر فى أخبار من غبر ٣/٢٥٤ وانظر شذرات الذهب : ٣ / ٣١٤ ٠
(٤) شذرات الذهب : ٧ / ١١ ٠

بعض الوافدين اليها من أئمة الشعراء كأبى تمام (١) (ت ٢٣١ هـ) وأبى نواس (٢) ، كما وفد عليها خلال القرن الثالث الهجرى ولم ابن قتيبة (٥) : (ت ٢٧٦ هـ) · كما وفد اليها أبو الطيب المتنبى خلال القرن الرابع الهجرى (٣) · وهؤلاء جميعا أحدثوا نشاطا علميا وأدبيا خاصا فقصدهم الكثيرون لرواية آثارهم ومروياتهم كما كان لوجود جامع عمرو بن العاص أهمية خاصة بما زخرت به جنباته من حلقات العلم والرواية ·

كما تميزت مصر بوجود علماء مقيمين بها كالإمام الشافعى خلال القرن الثالث الهجرى ، وكان الى جانب فقهه وروايته الحديث من رواة الأشعار المعتد بروايتهم ، كان مختصا بآثار هذيل، كما عُرفت بأمثال ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) وأبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) من علماء اللغة والنحو ورواة الآثار الأدبية الشراح ، هذا إلى جانب الموقع الجغرافى الذى تميزت مصر به كحلقة اتصال بين المشرق والمغرب ، ومعبرا هاما لوفود الحجيج القاصدين بيت الله ، وبخاصة من المغرب والأندلس ·

وقد ازدادت أهمية مصر بعد ما سقطت بغداد وقبلها كان سقوط صقلية وخراب القيروان ، ثم بعد ما تعهدها الأيوبيون بضروب من الرعاية ، كان فى مقدمتها إنشاء المدارس (٤)

---

(١) قدم الى مصر فى شبابه . فلما لم ينل حظه عاد الى دمشق · وانظر بروكلمان : ٢ / ٧١

(٢) انظر ديوانه ص ٣٩٩ حيث مدح الخصيب الذى كان المتولى خراج مصر ، وسرد رحلته من بغداد الى الفسطاط · وانظر : بروكلمان ٢ / ٢٥

(٣) قدم الى مصر عام ٣٤٦ هـ قاصدا كافورا الاخشيدى، ومدحه . ثم فسد ما بينهما فهرب المتنبى من مصر ٣٥٠ هـ ، بروكلمان : ٢ / ٨٢ ·

(٤) انظر حسن المحاضرة : ٢/٢٥٥ وما بعدها ·

وعرفت الحيــاة الأدبية ثلاثة مراكز ، نشطت فيها الحياة الأدبية فى مصــر ، وبالتالى نشطت الرحلة إليها ، والرواية فى ربوعها : وهــذه المراكــز هى : الإسكندرية فى أقصى الشمال ، والقاهرة فى الوسط ، وقوص فى الصعيد الأقصى . ويأتى توزع هذه المراكز على ذلك النمط الجغرافى ، دليلا على النماء الفكرى مع امتداد وادى النيل .

١ - فأما الإسكندرية ، فهى واجهة مصــر الشمالية ، ومثابة الرحالة الوافدين على مصر من المغرب والأندلس فى مختلف العصور ، وبخاصة فى القرن السادس الهجرى بفضل وجود أبى طاهر السلفى (ت ٥٧٦ هـ) (١) ذلك الراوية الذائع الصيت فى زمانه : علما ورواية ورحلة [illegible] ، مما سوف نفصل فيه القول فى موضعه ، كما عرفت الإسكندرية خلال القرن السابع أيضا عالما آخر هو ابن المنير (ت ٦٨٣ هـ)(٢) وكان إماما فى النحو والأدب والأصول والتفسير (٣) كما وصــفه السيوطى بأنــه كان (له يـد طولى فى علم البيــان والإنشاء) (٤) وهو الذى عناه ابن الحاجب بقوله :

لقد سئمتْ حياتى البحثَ لولا
مبــاحثُ ساكن الإســكندرية (٥)

وكانت مراكز تجمع الرحالة فى الاسكندرية ، نفس المراكــز المعهودة فى غيرها من الرحلة: نعنى بها المدارس والمساجد .

وعرفتْ الإسكندرية مركزين للتجمع يتمثلان فى : مدرسة الحــافظ السِّــلفى التى أنشــأها له ابن سَــلَّار ، والجــامع الجيــوشى (٦) الذى كان يدرس فيه عالم آخر من علمــاء

---

(١) انظر ابن خلكان ١ / ٣١ .
(٢) أحمد بن محمد الاسكندرانى المالكى .
(٣) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٤) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٥) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .
(٦) بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .

مصر ، هو : ابن المنيّر (ت ٦٨٣ هـ)[1] .

٢ — وأما القاهرة[2] ، فقد شهدت نشاطاً ملحوظاً منذ القرن الأول الهجرى بفضل وجود جامع عمرو بن العاص[3] فى الفسطاط ، منذ القرن الأول ، والجامع الأزهر فى العهد الفاطمى ، وجوامع أخرى تخلق فيها الرواة والتلاميذ فى مجالس العلم[4] .

٣ — وأما قوص ، فهى تقع شمالى أسوان على الضفة الشرقية للنيل وقد بدت أهميتها بسبب كونها طريق وفود الحجيج ، وبخاصة من أهل المغرب الإسلامى ، وتضاعفت تلك الأهمية بعد أن تحولت إلى مكان آمن لجأ إليه الكثيرون فراراً من غارات الصليبيين التى كانت مركزة على المنصورة والاسكندرية بالذات ، أو دمياط ورشيد ، أما الوجه القبلى — بصفة عامة ، فقد ساده الهدوء والأمان ، كما أن قوص — خلال القرن السابع الهجرى — حيث تضاعف فيها نشاط الرواة وأهل الرحلة — كانت قاعدة لنشر مذهب أهل السنة ومقاومة المذهب الشيعى الذى كان سائداً فى أكثر بقاع الصعيد الأقصى . وكان لصلاح الدين الأيوبى دور كبير فى تأكيد مذهب أهل السنة والجماعة فى مصر .

ولم تكن قوص تقل كثيراً عن القاهرة من حيث وفرة رجال العلوم الدينية واللغوية . كما كثرت بها المدارس ودور الحديث

---

(١) ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجزامى الاسكندرى كان إماماً فى النحو والأدب والعلوم الدينية . وكان بينه وبين ابن دقيق العيد صلات علمية وانظر بغية الوعاة : ١ / ٣٨٤ .

(٢) ونعنى بالقاهرة هنا المدينة المصطلح عليها بهذا الاسم فى عصرنا الحديث .

(٣) حسن المحاضرة : ٢ / ٢٤٥

(٤) انظر حسن المحاضرة : ٢/٢٥٣ وما بعدها وانظر بغية الوعاة : ١/١٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ ، ٢ / ١١٥ ومواضع أخرى .

ومن بينها دار الحديث التى كانت بيتا لابن دقيق العيد (٧٠٢ هـ)[1] .

على أن قوص فى صعيد مصر الأقصى قد عرفت نوعا من التحاور الفكرى بينها ، وبين مدينة الاسكندرية فى أقصى الشمال ، وقد سبق ما ذكرناه من الصلات بين ابن المنيّر عالم الإسكندرية وابن دقيق العيد أشهر عالم شهده صعيد مصر خلال القرن السابع الهجرى ، ومن ثم كثر الرحيل إليه لتلقى الحديث والأدب ، كما أنه هو نفسه كان يقوم بمباحثة رحالة الأندلس وإسماعهم من أدبائهم ، ويروى عنهم ما حملوه من الآثار . فكان وجوده عاملا هاماً من عوامل نقل الآثار الأندلسية إلى مصر . ونقل الآثار المصرية - فى الأدب والعلوم - إلى الغرب المسلم[2] وكان وضعه فى ذلك شبيها تمام الشبه بوضع أبى طاهر السِّلَفى فى الإسكندرية خلال القرن السادس الهجرى ، حيث كان عاملا هاماً فى نقل آثار الأندلس ، كما كان ابن دقيق العيد معاصراً لابن المنيّر فى الإسكندرية وكان يقال : (إن مصر تفتخر برجلين فى طرفيها : ابن المنيّر بالإسكندرية ، وابن دقيق العيد بقوص)[3] .

وإذا كان صعيد مصر قد شهد رحلات أهل الرواية من الأندلس ، فقد شهدت الأندلس أيضاً رحلات مماثلة من رواة وادى النيل ، ذكر ابن بشكوال منهم (أبو اسحاق الذكرانى - ت ٦٩٨ هـ)[4] بل أن صعيد مصر قد شهد رواة أندلسيين عاشوا على أرضه إلى أن وافتهم المنية ، فضمهم ثراه من

---

(١) ابن دقيق العيد حياته وشعره الدكتور على صافى حسين (ط دار المعارف ١٩٦٠) ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) انظر تفاصيل هامة فى . نفح الطيب ٧ / ٢٩٠ .

(٣) نفح الطيب : ٦ / ١٣٢ .

(٤) ابن بشكوال = التكملة لكتاب الصلة ١ / ١٧٧

بينهم أحمـــد بن علي الأنصاري ـ (ت ٦٤٦ هـ) أحد شيوخ ابن الأبّار (١) ومن بينهم أيضـــا ابن ســـعيد المغربي وابن القطـــاع الصقلي وابن خلدون

ولم تكن هذه البقاع ـ في مصر ـ هي كل مراكز الرحالة ووجهة أهل الرواية ٠

بل شهدت مصر بقاعا أخرى ، كان منها (قفط) في صعيد مصر المشهورة بجامعها الذي كان يضم مكتبة حوت ذخائر ثمينة ، وطالما يشير (القفطي ـ ت ٦٦٤ هـ) أحد ابنائها الى هذا الجامع والمكتبة (٢) ٠

كما كانت (بلبيس) خلال القرن السابع أيضا أحدى البقاع المصرية التي قصدها الرحالة من العلماء (٣) ٠

ويبقى بعد هـــذا أن نوضـــح النتائج الهامة المترتبة على (تقليد الرحلة) عند رواة المسلمين ٠

ومن أهم هذه النتائج انتقال المعارف المختلفة عبر الاقاليم الاسلامية المختلفـــة دون أن تجـد العوائق والسـدود ، لأن العلماء أنفسهم في رحلاتهم لم تواجههم إلا مشقة الطريق ٠ وفيما عدا ذلك كانوا يجدون الترحيب بقدومهم ، وتطيب لهم أسباب الأقامة والقرار ، فيحيط الطلاب بهم للرواية عنهم ، أو يفسح لهم العلماء في مجالســهم ليفتحـــوا امامهم باب الرواية والتحصيل ٠

ومـــع هـــذه المعارف المتنوعة؛ أدبا ولغة وحديثا وفقها ، عبرت أيضا شتى المذاهب مع جموع الراحلين ، فانتقل مذهب الشـــافعي ـ مثلا ـ الى مصر مع رحلته إليها ، وانتقل مذهب

---

(١) ابن بشكوال = التكملة لكتاب الصلة ١ / ٦٢ ٠

(٢) انباه الرواة : ١ / ٣٥٣ ، ٢؟ / ٤٧ ، ٢ / ٧٣ ، ٢ / ٨٤، ٣ / ٦٧ ومواضع أخرى ٠

(٣) انظر تفصيل ذلك في : نفح الطيب : ١ / ٢٥١ وبلبيس الآن مركز يتبع محافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية ٠

مالك إلى المغرب والأندلس مع رحلات أهل الأندلس والمغرب بين الحجاز والمغرب المسلم . يقول ابن خلدون :(وأما مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، كما أن رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم ، والمدينة ـ يومئذ ـ دار العلم ، ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق طريقهم، فاقتصروا على الاخذ من علماء المدينة وشيخهم وإمامهم مالك ، وشيوخه من قبله ، وتلاميذه من بعده ، فرجع اليه أهل المغرب والأندلس ، وقلدوه ـ دون غيره ـ ممن لم تصل الينا طريقته) (١) .

ومع انتقال المعارف والمذاهب ، انتقلت الكتب ، وهذه الكتب : إما أنها كانت من مقتنيات الراوية يحملها معه فى رحلته ينسخها من المكتبات أو من مقتنيات أقرانه من الشيوخ. فمن النوع الأول ، نسوق على سبيل المثال ما حمله معه أبو على القالى من مقتنياته الخاصة ، مما ذكره ابن خير الإشبيلى فى (فهرست مروياته) (٢) .

وأما ماكان ينسخه الرواة فى رحلاتهم ، فإن من أمثلته ما قيل فى ترجمة ابن الدهان البغدادى (ت ٥٩٤ هـ) من أنه (رحل إلى أصبهان) وأنه (استفاد من خزائن وقوفها ، وكتب الكثير من كتب الأدب بخطه وعاد إلى بغداد .) (٣) .

وأخيرا ، فقد كانت الرحلة للعالم هى السبيل إلى ثراء فكره ووفرة حفظه ، ومقتنياته من الدواوين ، وتوثيق

---

(١) المقدمة : ص ٢٩٢ . وانظر فى دخول مذهب مالك الى المغرب والاندلس : نفح الطيب : ٤ / ٢١٤ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن خير الاشبيلى الاندلسى توفى ٥٧٥ هـ والفهرست المشار اليه حققه ميخائيل عواد ونشره المكتب التجارى فى بيروت.

(٣) انباه الرواة : ٢ / ٤٧ وابن الدهان هو سعيد بن المبارك البغدادى ، وصفه القفطى بأنه عالم فاضل كيس نبيه له معرفة بالنحو ويد باسطة فى الشعر (انباه / ٢ / ٤٧)

علاقاته بأقرانه من العلماء، ومن هم دونه من التلاميذ، ومع كثرة ثقافته ، وطول ارتحاله ، يأتى التنوع والتعرف على المناهج والأنماط الفكرية المتباينة ، ولذا كان العالم يعاب ويفقد الكثير من تقدير الآخرين ، ويتعرض لانتقادهم إذا لم يشد الرحال (١) .

أما بالنسبة للعالم الاسلامى ، فان تلاقى علمائه من أصقاعه المتباعدة كان أدعى الى تقريب الآماد الشاسعة ، وبالتالى حفظت الرحلة للعالم الاسلامى وحدة فكره ومشاعره ، وأبقت على تراثه ، وفى الوقت نفسه دفعت به إلى حلبة السباق الفكرى عبر التاريخ ، فنشطت حركة التجديد ، وتزايدت ثمار القرائح ؛ مناهج ومؤلفات .

ولقد كان مما يسر على العالم سبيل الارتحال ، أن المسلم كان يستطيع أن يرتحل فى داخل حدود هذه المملكة فى ظل دينه .. وكان يوجد قانون يضمن للمسلم حق المواطن بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية (٢) .

يقول : آدم ميتز (وقد طوف ناصر خسرو فى البلاد كلها فى القرن الخامس الهجرى _ الحادى عشر الميلادى _ دون أن يلاقى من المضايقات ما كان يلاقيه الألمانى ، الذى كان ينتقل فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر بعد ميلاد المسيح عليه السلام) (٣) .

---

(١) نزهة الألبا فى طبقات الأدبا : ٣٦٣

(٢) المقدمة : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ط ليدن ١٨٧٧) ص٦٤

(٣) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة محمد عبدالهادى أبى ريدة (ط ثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١/ص ٤

الفصل الرابع

الانتحـــال

ونحله القول ، كمنعه ، نسبه اليه (١) ٠

في القاموس : انتحله وتنحله ادعاه لنفسه ، وهو لغيره .
فهذا التعـــريف اللغوى يفرق بين اصطلاحين ينتميان ــ لغويا الى أصـــل واحـــــد :

الأول هو الانتحال ، وهو أن يدعى الأديب نســـبة الأثر إليه ، وينسب إلى نفسه تأليفه ، وهو ليس له ٠

الثاني : هو النَّحل ، والمراد به نسبة القول ، أي الأثر ، لغير صاحبه ٠ وهذه الدراسة تحاول أن تتناول قضية الانتحال بجانبيها ، سواء كان السـطو ، أو الخطأ في نســبة الأثر لغيـــر صاحبه ٠

وقضية الانتحال هى احدى القضايا الهامة وثيقة الصلة بموضـــوع الرواية ، ولهــذا كانت أكثر المسائل الشــائكة التى دار حولها بحث العلماء عند مناقشاتهم لقضية رواية الشعر الجاهلى ــ بخاصة ــ والأدب الجاهلى نثرا وشعرا بصفة عـــامة (٢) ٠

وقد ثارت قضية الانتحال منذ اشــتغال حماد الراوية ،

---

(١) القاموس المحيط (مادة نحل) الجزء الرابع ٠

(٢) انظر : ابن سلام « طبقات فحول الشعراء » و (مصادر الشعر الجاهلى) (ط دار المعـــارف) للدكتـــور ناصـــر الدين الأسد ففيه تفاصـــيل جيـــدة حول الموضوع ، وذكر الكثير من المصادر والمراجع ٠

وخلف الأحمر بالرواية ، ثم لحقهما ظنون أهل التحقيق ، وتجريحاتهم ، وظل ذلك شأن الكثيرين ممن عرضوا بحديث لهذين الراويين ، ومنهم أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه (الأغانى) خلال القرن الرابع ، والشريف المرتضى فى أماليه فى القرن الخامس الهجرى ٠

وبالنظر الى الاهتمام الملحوظ بقضية (انتحال الشعر الجاهلى) ظل اتجاه الدارسين موجها فى أغلبه إلى هذه القضية بالذات ، وكان لهذا الاهتمام العريض من جانب الباحثين لقضية الانتحال فى الشعر الجاهلى ، أثره فى قصور اهتمامهم عن تتبع الانتحال فيما عدا الشعر من الآثار الأخرى ، وإن كان سبب هذا الاهتمام مرده إلى أهمية الشعر الجاهلى فى ميادين الثقافة الإسلامية ومجالاتها المتعددة : فى التفسير ، والحديث والنحو واللغة وغير ذلك ٠

غير أنه من الحق أن يقال : بأن الإثارة الجادة الواسعة لقضية انتحال الشعر الجاهلى، قد أفادت الرواة،والدارسين بما أمدتهم به من مقاييس نقدية ومعايير تاريخية لكشف الزائف من الصحيح من تراثنا الأدبى ، ولتأكيد الاتجاه الأساسى فى الرواية وهو الحفاظ على التراث من جهة ، وتوثيقه من جهة أخرى ٠

وقضية الانتحال قسيم مشترك بين البلاغيين ، ومؤرخى الأدب : فأما البلاغيون ، فأدرجوها تحت موضوع من ألصق الموضوعات بمباحثهم ، وهو موضوع (السرقات الشعرية) حيث اتجهت أبحاثهم فى ظاهرة السرقة- فى الأعم الأغلب - إلى الآثار الشعرية ، وقد أفردوا لموضوع السرقات كتبا ، أو قصروه على فصول فى تضاعيف مصنفاتهم ٠

فمن كتبهــم (١) :

١ – مثــالب أبى نواس : لأحمــد بــن عبــد الله الثقفى (ت ٣١٤ هـ) وقد أثبت فيه سرقات أبى نواس ٠

٢ – رسالة فى مساوىء وسرقات أبى نواس : لابن عمار ٠

٣ – ســرقات أبى تمــام : لأبى على محمد بن العــلاء السجستانى ٠

٤ – فرق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعر : للآمدى (ت ٣٧٠ هـ) ٠

٥ – سرقات أبى نواس : لمهلهل بن يموت بن المزرع (١) ٠

وقد حفل القــرن الرابــع الهجــرى بالذات بمؤلفات صنفها البلاغيون فى موضوع السرقات الشعرية ٠ ولا أدل على هذا من النموذج المتقدم للكتب التى عالجت هذا الموضوع ٠

أما بلاغيو القرن الرابع ، ممن أدرجوا موضوع السرقات فى ثنــايا كتبهــم دون اختصــاصها بكتب ، فإن من بينهــم المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) صاحب الموشح (٢) ٠ لكن الملاحظ أن المؤرخين للأدب قد أسهموا بجهود أكبر فى موضوع الانتحال ، ومن دلائل ذلك فى القرن الرابع بالذات الآمدى (ت ٣٧٠ هـ) فى كتابه (المؤتلف والمختلف) والذى جمع فيه أسماء الشعراء الذين تتشابه أسماؤهم بصورة تدعو إلى اللبس ، وتؤدى – تبعا لذلك – إلى الخطأ فى نسبة الآثار الشعرية فينحل الرواة شاعرا ما آثار سواه غلطا منهم ٠

---

(١) أنظر ثبتنا بهذه الكتب فى كتاب :
مهلهل بن يموت بن المزرع : سرقات أبى نواس – مقدمة الناشر الدكتور محمد مصطفى هدارة (دار الفكر العربى بالقاهرة عام ١٩٥٧) ص ٨ وما بعدها وانظر محاولات الناشر الفاضل فى تحقيق ترجمة مهلهل ٠

(٢) انظر على سبيل المثــال : ١٦٧ – ١٦٨ – ١٧١ – ١٧٢ – ١٧٥ – ١٧٦ – ٢٤٤ – ٣٤٣ – ٤٤٨ ٠ والنسخة التى رجعنا اليها بتحقيق الأستاذ : على محمد البجاوى (ط نهضة مصر بالقاهرة) ٠

فهنـــاك عشـرة من الشـعراء يحمـل كل منهم اسـم (امرؤ القيس) منهم: امرؤ القيس عابس ، وهو شـاعر أدرك النبى صلى الله عليه وسلم — ووفد عليه وأسلم ، ومنهم امرؤ القيس بن بكر ، ثم امرؤ القيس بن عمرو ، غير ذلك (١)٠ هذا إلى كثرةٍ ممن يحملون لقبَ الأعشى (٢) ٠

وهذا النوع الدقيق من المعـــرفة يتطلب بصرا واسـعا بأخبار الشـعراء وأنسابهم وبلدانهم وقبائلهم ، ثم الماما واسعا أيضا برواية آثار كل شـاعر على حدة ، حتى يمكن تصـويب النسبة فى الآثار ٠

وقد نضج فى القرن الرابع الهجرى نتيجة للاتسـاع فى التأليف ، واكتمـال علم مصطلح الحـديث الذى جعل باب المؤتلف والمختلف أحد موضوعاته الهامة، وإن كان قد اتجه فيه إلى المتشابهين فى أسمائهم أو ألقابهم من رواة الحديث ٠

ونلاحظ أن موضوع المؤتلف والمختلف ، لم يكن فيما قبل القرن الرابع الهجرى ، على هذا المستوى من النضج الذى وصـــل إليـه على أيدى رواة الأدب فى القـرن الرابـع الهجـــرى (٣) ٠

وفى القرن الخامس يستمر الاهتمام بموضوع السرقات الشعرية ، فيعقد ابن رشيق بابا فى (السرقات وماشاكلها) يقدم له بقوله : (وهذا باب متسع جدا لايقدر أحد من الشعراء

---

(١) الآمدى : المؤتلف والمختلف (بتحقيق عبد الستار فراج) ط عيسى الحلبى — ص ٥ : ٩

(٢) نفس المرجع : ١٠ ، ٢١

(٣) وانظر فصلا فى (المؤتلف والمختلف) فى : أبو أحمد العسكرى : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٠

أن يدعى السلامة منه • وفيه أيضا أشياء غامضة إلا على البصير الحاذق بالصناعة ، وأُخَر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل) (١) •

وعرض ابن رشيق قضية (السرقات الشعرية) عرضا زاد ارتباطها بقضية (الانتحال) ، وعاب على الحاتمى فى كتابه (حلية المحاضرة) محاولاته لوضع أقسام وأصناف للسرقة كالاستراف والاجتلاب والانتحال والاهتدام والاغارة والمرافده والاستلحاق ، واعتبر صاحب العمدة كل هذه المصطلحات ألقابا (إذا تدبرتها فليس لها محصول إذا حققت) واعتبرها (كلها قريبا من قريب قد استعمل بعضها فى مكان بعض) (٢) •

كما عرض ابن رشيق لمصطلح (الانتحال) ، حيث (لا يقال منتحل الا لمن ادعى شعرا لغيره ، وهو يقول الشعر وأما إن كان لا يقول الشعر ، فهو مدَّعٍ غير منتحل) (٣) •

وشهد فى القرن الخامس أيضا جهدا آخر فى سبيل معالجة قضية (الانتحال) يتمثل فى بعض إشارات فى تضاعيف (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى ، مع محاولات لتصحيح النسبة •

من هذا على سبيل المثال :

أ - ما ورد على لسان أعشى قيس فى نفيه نسبة أبيات نسبها الرواة اليه ، مثل قوله (ما هذه مما صدر عنى ، وانك منذ اليوم لمولع بالمنحولات) (٤) •

---

(١) العمدة : ٢/٢١٥ (ط هندية) •
(٢) العمدة : ٢/٢١٥ •
(٣) العمدة : ٢/٢١٦ •
(٤) رسالة الغفران : ص ٢٠٤ •

ب - بشأن بيت تداوله النحاة على سبيل الشاهد : وردت هذه العبارة (وزعم بعض المتأخرين من أهل العلم أنه مصنوع ، وما أجدره بذلك) (١) ٠

جـ - ما ورد بشأن سؤال وُجِّه إلى امرىء القيس فى أبيات نسبها الرواة إليه ، فيرد امرؤ القيس مجيبا (لا والله ما سمعت هذا قط ٠٠٠ وإن الكذب لكثير ، وأحسب هذا لبعض شعراء الإسلام ولقد ظلمنى وأساء الى ٠٠) (٢) ٠

وهكذا تكثر مثل هذه الإشارات التحقيقية على ألسنة أبطال (رسالة الغفران) الذين صنعتهم مخيلة شيخ المعرة ، ثم تأتى هذه الاشارات دليلا على النزعة التحقيقية لديه ، وعلى اهتمامه الملحوظ بموضوع (الانتحال) ٠

إلا أنه من الإنصاف أن نقول : إن المعرى قد وقف عند حد التصحيحات ، بينما تجاوز ابن رشيق ذلك الى أمور أشمل ، حين عرض لمصطلحات تتعلق بالسرقات الشعرية ، وعرّف الانتحال ٠

واذا كان ثمة فارق بين تناول البلاغيين لقضية الانتحال ، وتناول مؤرخى الأدب ، فإن هذا الفارق يتمثل فى أن البلاغيين ٠٠٠ قد أدرجوا الانتحال تحت مصطلح (السرقات الشعرية) وهو مصطلح يتجاوز الانتحال إلى حدود أخرى : فالسرقات الشعرية تتعلق بكل تشابه وقع بين الآثار

---

(١) رسالة الغفران : ص ٢١١ ٠

(٢) رسالة الغفران : ص ٣١١ ٠
وانظر : ٢٠٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٥٠٧ وغيرها ٠

الشعرية سواء كان هذا التشابه وليد التوارد فى الخواطر أو كان ضربا من السطو المتعمد .

كما أن السرقات تشمل المعنى فقط أو اللفظ فقط أوهما معا بينما يتجه الانتحال إلى النص .

كما أن السرقات تكون فى البيت أو بعض البيت ، أما الانتحال فهو — فى الغالب — يقع فى البيت كله أو فى جملة من الأبيات تصل إلى قصيدة كاملة ، او حتى عدة قصائد .

ولن نكون مبالغين حين نقول : ان ظاهرة الانتحـــال مواكبة لظاهرة الإبداع الأد بى ذاته ، فما دام هناك نتاج القرائح ، فهناك أيضا احتمالات السطو والانتحال .

لهذا فإن استقراءنا لشتى المراجع يضع أيدينا على عديد من الشـــواهد فى موضوع الانتحـــال نختار من بينها هذا الشاهد الذى نعثر فى أواخر القرن الســـابع الهجرى . فقد روى ابن شاكر الكتبى هذا الخبر :

اتفق ان نجم الدين بن إسرائيل حج ، فرأى ورقة ملقاة فيها قصيدة لابن الخيمى (١) ، فادّعاها ، فاحتكم الشاعران إلى ابن الفارض (٢) ليحكم بينهما فى القصيدة المتنـــازع عليها ، فأشار على كل منهما بأن ينظم قصـــيدة على وزن البيت الأول ورويّه .

---

(١) فوات الوفيات (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) ٢/٤٥٥ — ٤٥٩ وابن الخيمى هو شهاب الدين محمد بن عبد المنعم الخيمى أحد شـــعراء مصر فى القرن السابع (ت ٦٨٥ هـ) وانظر ترجمته فى (فوات الوفيات : ٢/٤٥٥ . وأما ابن الفارض فهو أحد الشعراء المتصرفة فى مصر (ت ٦٣٢ هـ) .

(٢) انظر : التكملة لكتاب الصلة : ١/٨٠ .

فنظم كل من الشاعرين قصيدة على نحو ما طلب ابن الفارض ، ثم اطّلع ابن الفارض على القصيدتين مع مقارنتهما بالقصيدة المتنازع عليها ، ثم حكم بهذه القصيدة لابى الخيمى ٠

ومع هذا فإن بعض الحاضرين فى المجلس قد استجاد أبيات ابن اسرائيل الذى لم يحكم ابن الفارض لصالحه ، وبسبب استجادة الحاضرين لقصيدة ابن اسرائيل قالوا : (مَنْ نَظَمَ مثلَ هذه ٠ ما الحاجةُ له إلى ادّعاء ما ليس له ؟ فابتدرهم ابن الخيمى بقوله : « هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة » ٠ ولهذه الواقعة الأدبية أهمية خاصة من حيث ٠

١ ـ أنها تجسّد نوعاً من الإثارة الجادّة للانتحال الأدبى ٠

٢ ـ أنها تعكس الاهتمام بما يمكن أن نطلق عليه (المحاكمة الأدبية) والوسائل التى كان يلجأ إليها المحكمون لإصدار الحكم ٠

٣ ـ هناك بعد هذا قول ابن الخيمى الذى يستوقفنا ، وهو أن (هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة) ٠ ويوضح لنا القول أحد الدوافع الهامة والخفية وراء الانتحال ٠

ولعل من أوضح الصور الصارخة للسرقة ، أن يشتهر بها شاعر ، حتى يلقبه معاصروه باللص ، كما هو الحال بالنسبة لأبى العباس أحمد بن على الكذانى الأندلسى (ت ٧٠٥) ٠

ـ لكن هل اقتصر أمر الانتحال على الشعر ؟

ـ الواقع التاريخى يرفض ذلك ، والواقع المنطقى يؤكد هذا الرفض ويسانده ٠

فقد أثير موضوع الانتحال حول بعض الآثار النثرية ،

وان لم تبلغ الآثار فى النثر مبلغها فى الشعر ٠

فهناك انتحال الكتب - من بينها - مثلا اشارة لأبى بكر الصولى يتهم فيها أبا موسى الحامض بانتحاله لنفسه بعض مؤلفـــاته (١) ٠

ولعل من أشهر صور (الانتحال) فى النثر ما نسب الى الامام على بن أبى طالب من آثار نثرية (٢) ، لكن أوضـح هذه الصــور ما قيل حول نسبة كتاب (نهج البلاغة) الى الامام كرم الله وجهه ٠ ويأخذ الأمر صورة أكثر تعقيدا حين يكون الخلاف حول من جمع نصوص الكتاب ٠ أم

ثم حول النصوص ذاتها ، أهى حقا للإمام؟ أم أنها دخيلة عليه منحـولة له؟٠

فحول جامع الكتاب يثور جدل حاد ، يقف منه ابن خلكان موقفا غير حاســم إذ يقول : (وقد اختلف النــاس هل هو جَمْعُه (يعنى الشريف المرتضى) أم جَمْعُ أخيه الرضىّ) (٣) ، كما يقف ابن خلكان الموقف ذاتهفى حديثه عن نسبة النصوص التى جمعها كتاب (نهج البلاغة) بين دفتيه (٤) ٠

وكما أثار ابن خلكان فى القرن الســابع هذه القضية ،

---

(١) أخبار أبى تمام للصولى (بتحقيق الدكتور عبده عزام) مقـدمة المؤلف ص ١٣ ٠

(٢) انظر (رسالة الغفران) حيث نفى المعـرى ما نسب الى الامام من قوله (تهلك البصـــرة بالزنج) لأنه لم يكن على عليه الســلام ولا غيره ممن يكشف له علم الغيب) ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ ٠

(٣) وفيات الأعيان : ٤١٦/٣ ٠

(٤) المرجع السابق ٠

أثرها أيضا الإمام الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) فى القرن الثامن فوقف موقفا أكثر حسما ، وأدلى بدلوه غير متوقف ولا ساكت كما صنع سلفه ابن خلكان ، فقال بعد أن جزم بأن واضع الكتاب انما هو الشريف المرتضى (وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة) (١) ، (ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه) (٢) ٠

ومع ما زخرت به كتب الأدب والتاريخ من إشارات حول الانتحال ، فلا نكاد نعثر على مبحث تفصيلى يلم شتات هذه الظاهرة على أساس العرض لمظاهرها ، ودراسة أسبابها واستخلاص لنتائجها ، الا أنه باستقراء الشتات المتناثر فى مطاوى الكتب يمكننا أن نخلص إلى حصر أسباب الانتحال فى أمور أهمها ما يلى :

أولا : أسباب مدارها الخطأ لا سوء النية ٠

ثانيا : أسباب مدارها سوء النية ، والدس المتعمد ٠

---

(١) ميزان الاعتدال : ٣/١٢٤ ٠

(٢) نفس المرجع ، وانظر آراء أخرى فى شرح ابن أبى الحديد (ط الحلبى) ١/٢٠٥

وانظر مقالا علميا مفصلا فى مجلة « ثقافة الهند » عدد ديسمبر ١٩٥٧ تعريب عامر الأنصارى ٠

يردد اليافعى فى مرآة الجنان (٥٥١٣) ، ابن العماد فى الشذرات (٣/٢٥٧) كلام ابن خلكان والذهبى فى ميزان الاعتدال (٢/٢٠١) وابن حجر فى لسان الميزان (٤/٢٢٣) أنه للمرتضى ٠ وقد ذهب النجاشى (ت ٤٥٠ هـ) فى كتاب الرجال الى أنه للشريف الرضى ٠ وهذا صحيح بشهادة الرضى نفسه ٠ فقد ذكر فى الجزء الخامس من تفسيره المسمى (: حقائق التنزيل (ط النجف ص ١٦٧) أنه هو الذى ألفه ووسمه بنهج البلاغة ، ثم ذكر ذلك فى كتابه (مجازات الآثار النبوية ــ ط بغداد) ص ٢٢ ، ٤١ ٠

وكذلك ابن أبى الحديد (ت ٦٥٥ هـ) فى شرحه للكتاب يعترف بأن خطبته من عمل الشريف الرضى ، وكذلك ابن ميثم البحرانى فى شرحه للنهج يذهب الى أن مؤلفه هو الشريف الرضى ٠

أولا : ما يتعلق بالخطأ

١ - وأول هـذه الدواعى تشـابه الأغراض وتماثلها بين أثرين أو أكثر . لهذا - مثلا - كثر الخلط فى الغزليات التى قيلت فى ليـلى وبين تلـك التى قيلـت فى لبنى ، حتى قـال أبو الفرج الأصفهانى نقلا عن الجاحظ (ما ترك الناس شعرا مجهول القائل فى ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شـعرا هذا سبيله ، قيل فى لبنى ، إلا نسبوه لقيس) (١) .

بل أن بعض آثار المجنون قد شكك أبو الفرج الأصـفهانى فى نسـبتها اليه فقال :

ان حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بنى أمية كان يهوى ابنة عم له (٢) .

وكما نسب الكثير من آثار الغزلين إلى المجنون غلطا ، كذلك نسب الى أبى نواس - غلطا أيضا - بعض الخمريات ، حتى قال مهلهل بن يموت ... (وحتى انهم لا يسمعون بوصف خمر ولا ذكر آنية فى شعر الا أقسموا جهد أيمانهم أن ذلك لأبى نواس ..) (٣) .

كما شكا الصولى فى مقدمة ديوان أبى نواس الذى صنعه أن أهل اللهو والبطالة ينسـبون كل شعر فى الخمريات أو

---

(١) الأغانى : ١/٤١٧ .
(٢) الأغانى : ٢/٤ .
(٣) سرقات أبى نواس : ٣٢ .

غزل المذكـــر الى أبى نواس (١) ، وأن أخص ما ضم الى أبى نواس ، أشـــعار لأبى بحر عبد الرحمن بن أبى الهداهد والحســين بن الضحاك (٢) ٠

٢ - ومن دواعى الخلط أيضـــا فى نسبة الآثار الأدبية التشابه بين الشعراء فى الاسم أو اللقب أو الكنية ، وفيما ذكرناه بشـــأن كتاب (المؤتلف والمختلف) للآمدى ما يلقى الضوء على هذه الظاهرة ، ونضيف هنا اشـــارات مماثلة أوردهـــا أبو أحمد العســكرى فى الفصل الذى عقـــده عن (المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء) من كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) (٣) ٠

٣ - قد تكون العلاقة بين الشـــاعر والشـــاعر مدعاة للخلط فى النســـبة :

أو لأن الأعشى كان راوية خاله

فالكثير مما نسب للأعشى هو فى الحقيقة من شعر خاله المسيّب بن عَلَس وقد قرّب من احتمـــالات الخطأ والخلط بين الأعشى والمسيب كان راوية خاله (٤) ٠

٤ - ومن أسباب الانتحال أيضا التشابه بين أثرين أو

---

(١) نسخة فينا رقم : ٢٠١٦ ورقة (٦٢ أ) وانظر بروكلمان : ٢/٢٥ وما بعـدها ٠

وانظر أيضا ما ذكره أبو الفرج الأصفهانى من أن ابن مفرغ الشـــاعر قد نسبت اليه خطأ الكثير من أبيات الهجاء ، وذلك بسبب كثرة هجائه (الأغانى ١٣/٢٦٥) ٠

(٢) مخطوطة ديوان أبى نواس ، صـــنعة أبى بكر الصولى المشار اليها عاليـــه ٠

(٣) انظر : ٤١٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ومواضع أخرى ٠

(٤) انظر تفصيل ذلك فى مقدمة ديوان الأعشى وانظر العمدة : ١/٣٣ ٠

أكثر فى الخصائص الفنية ، كالوزن وحركة الروى ، والأسلوب والغرض ، من أمثلة ذلك أبيات رواها ابن رشيق للأشجع السلمى ، وأخرى لسليمان بن أخ مسريع وقد اختلطتا بهما أبيات أخرى جاءت على وزنهما ورويهما ، وقد نبّه ابن رشيق إلى الخلط الواقع فى الأثرين وتولى التصحيح (١) ، كما روى الأصفهانى أبياتا نُسبت إلى الفرزدق خطأ وذلك بسبب تشابهها مع أبيات من قصيدة أخرى (٢) .

٥ - كذلك قد يختلط بيت الشاعر بأبيات لشاعر آخر ، كان قصده أن يضمّن قصيدته البيتَ المنسوبَ لغيره ، وذلك على سبيل التضمين والشاهد ، ثم غَلِط الرواة فحسبوه من أبيات الشاعر ، فنحلوه إياه ، حتى نبّه إلى ذلك أهل التحقيق من الرواة (٣) .

ثانيا : الخلط بسوء نية

١ - وقد تكون وراء عوامل الحقد ، وبواعث الضِغن والكراهية الشخصية محاولات متعمدة للخلط .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك السرى الرفّاء الشاعر (ت ٣٦٢ هـ) ، وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين عداء ، فكان يدس أحسن شعر الخالديين فى ديوان شاعر آخر

---

(٢) الأغانى : ١٥/٣٢٥ .
(١) العمدة : ١/٣٣ .
(٣) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : ص ٥٠ (ط دار المعارف) بتحقيق محمود شاكر .

هو كشاجم (ت ٣٥٠ هـ) ، وهدفه من ذلك أن يزيد فى حجم ديوان كشاجم ، وبهذا يحقق هدفين : الأول أن يروج ديوان كشاجم ، فيدرّ رواجه عليه الربح الوفير ، إذ كان مشتغلا بنسخ هذا الديوان ، والهدف الثانى هو أن يشوّه سمعة الخالديين ، ويلحق بهما تهمة الانتحال لآثار الآخرين (١) .

ومثل هذه المحاولة تعد من أجرأ محاولات التزييف التى منيت بها رواية الآثار الأدبية خلال القرن الرابع ، ويمكن من خلالها أن نتصور مدى العناء الذى يتكبده كل من يتصدى لمحاولة التنقية والتحقيق لآثار الخالديين ، أو آثار كشاجم

٢ - ومن مظاهر النحل المتعمد أيضا ، ما ذكره ياقوت الحموى من أن بعض تلاميذ أبى العلاء المعرى كانوا يعملون على لسانه الأشعار ويضمنونها أقاويل الملاحدة ، قصدا لهلاكه .

ومثل هذا الخبر كان حريا أن يستوقف ياقوت الحموى طويلا قبل أن يجرد حملته على أبى العلاء ويرميه بالإلحاد وسوء العقيدة (٢) .

وإذا كان الرواة سواء قبل القرن الرابع أو بعده لم يعالجوا موضوع الانتحال على نحو موسع ، وإذا كان من

---

(١) انظر : شذرات الذهب : ٧٣/٣ والنجوم الزاهرة : ٦٧/٤ واليتيمة للثعالبى (ط الصاوى) : ١٥٧/٤ ، وسيرد تفصيل أكثر فالسرى الرفاء : هو أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء من شعراء الحمدانيين وديوانه مشهور . وأما كشاجم فهو أبو الفتح محمود بن الحسين السندى من شعراء سيف الدولة .

(٢) معجم الأدباء : ١٤٣/٣ ، ١٦٦ .

تحدث منهم عن الانتحال فى مقدمة أو اشارة قد قصر الحديث على الشعر الجاهلى ،فان أهل الرواية قد تركوا أمامنا معايير أشاروا الى بعضها صراحة كما فعل ابن سلام فى مقدمة طبقات الشعراء ، أو طبقوها فى طوايا نقدهم للآثار وتحققهم لها ٠

اذا كان ذلك مسلك الرواة فانهم ـ مع ذلك ـ قد أمدونا بما يصلح مادة نخلص منها بالمعايير ٠

وثمة اضافة هامة حققها رواة ما بعد القرن الثالث الهجرى **وهى جرأتهم فى نقد بعض ما نسب من الأشعار لآدم ـ عليه السلام ـ أو لأحد ابنيه قابيل وهابيل ٠**

وقد تصدى أبو العلاء المعرى لتكذيب مثل هذه الآثار ، **فأورد على** لسان أحد أبطال (رسالة الغفران) قوله (نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله ٠ كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم ، ثم على حواء أمكم ، وكذب **بعضكم على بعض** ، وما لكم فى ذلك الى الأرض (١) ٠

---

(١) رسالة الغفران : ص/٤١٦ ٠

الفصل الخامس

الاختلاف في الرواية (نسبة ونصا)

ونقتصر هنا على الاختلاف فى رواية الأشعار - دون سواها · لأنها أكثر الآثار الأدبية نصيبا من مناقشات الرواة فى موضوع اختلاف الرواية · وهذا الاختلاف إما :

أ - اختلاف نسبة الأثر الشعرى إلى قائله ·

ب - أو فى نسبة لفظ الأثر الشعرى ونصه ·

فنجد البيت يُرْوَى بلفظٍ فى رواية ، وبلفظٍ مغاير فى رواية أخرى بل نجد القصيدة تروى باختلاف فى ترتيب الأبيات أو بحذف أبيات فى رواية ، وإثباتها فى أخرى ·

أ- الخلاف فى النسبة

وقد استفاضت الإشارات إليه فى تضاعيف كتب الرواية، وبالذات فى القرن الرابع الهجرى وما بعده ، وتتعدد مواقف الرواة وتخلف إزاء ذلك · فإما أن يقطع الراوية برأيه ، وإما أن يصرح بعجزه عن اثباته ، وإما أن يقف موقفا لا يقر فيه برأى ، ولا يصرح فيه بعجز (١) ·

---

(١) أنظـرة أمثـلة فى الأغـانى : ١/١٢٤ - ٣٩٤ ، ٢/ ٥٥ ٢ ٤٢٢ ، ٥ / ١٠ ، ١٥ / ٩ ، ١٦ / ١٤٩ ، ٦ / ٩٦ - ٢٢٢ ·

- معجم الشعراء : ص ٧٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٣٣ ، ٢٢٥ ·

- المؤتلف والمختلف : ص ٩ ، ١٨٥ ، ٨١ :

- أمالى المرتضى : ١/١١٨ ·

- شرح القصائد العشر للتبريزى (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد)ص ٥٤ ·

فأما توقف الراوية عن القطع برأى فى نسبة الأثر ، فإن مرده إلى افتقاده الدليل ، الذى يعينه على الإدلاء بالرأى الصريح ، ومن هنا فهو مضطر إلى التوقف ، مكتفيا بإبداء تشككه ، أو إثارة الخلاف حول النسبة حتى يخلى عهدته ويفتح البــــاب أمام سواه من أهـــل التحــــقيق لمزيد من المناقشة والرأى علهم أن يحيطوا برأى افتقده ، ويعثــروا بدليل ضل هو الوصول إليه،فأما إذا واتته الأدلة ، وأسعفته الحجة ، فإنه لا يتوقف ، وإنما يعمد إلى المناقشة والتدليل حتى يجلى الأمر فى حدود مبلغه من العلم .

لكن : ما هى الأسباب وراء خــلاف الرواة حول نســبة الآثار الشـــعرية ؟ .

الحقيقة أنها قضية وثيقة الصلة بقضية الانتحال التى سبق تفصيل الحديث بشأنها ، فكل أسـباب الانتحال هى نفســـها أسباب الخلاف فى النسبة ، يضاف اليها أســباب أخرى من بينها كل الأخطار المحتملة فى ذاكرة الرواة ، والنقل ، وعامل الزمن الذى لا ينبغى تجاهله أو اغفاله .

ونود هنا أن نشير الى عامل من عوامل الخلاف فى النسبة، تنبه اليه أبو الفرج الأصفهانى ، لكن لم يخصه بحديث ، بل اكتفى باشارات وجيزة اليه . ذلك هو دور المغنين فى إحداث هذا الخلط والاضــطراب ، إذ كانوا يلحقون أبيات قصـــيدة بأبيات قصيدة أخرى ، ناسبين بذلك آثار شاعر إلى سواه(١) .

وبوسعنا أن ندرك السبب فى ذلك : فالمغنى لا يتعامل مع النص الأدبى على نحو ما يتعامل معه العــالم الراوية ، لأن هدفه هو إشاعة الطرب والســرور ، فضلا عن إرضــاء

---

(١) انظر مثـــلا :
الأغانى : ٩ / ٧٥ ـ ١٣ / ٢٢٥ ـ ١٦ / ١٤٩ .

هوايته الذاتية فلا ضير عليه لو ضم للنص أبياتا أخرى غريبة عنها فى النسبة لكنها فى وجدانه وتصوره مجانسة لهـا فنـا ٠

(جـ) الخلاف فى اللفظ

ويرجع ذلك إلى عوامل مختلفة أهمها ما يلى :

١ ـ ما كان يعمد الشعراء إليه من تنقيح أشعارهم وتعهدهم لها بالإصلاح والتجويد ، والشاعر فى هذه الحالة مضطر إلى أن يعيد املاء آثاره ، أو نسخ ديوانه ونسوق هنا هذا الخبر الذى يورده أبو بكر الصولى (١) فى كتابه الأوراق ، لأنه يلقى الكثيف من الضـوء على ما نحن بصـدده : يقول الصولى عن الراضى الخليفة العباسى : (كان رضى الله عنه جمع شعره وأملاه علىّ ، فكتبتُه بحضرة الجُلساء فى يوم وليلـة لاأقوم عنه إلا إلى صـلاة ، فوصلنى على ذلك ، ونسخ الجلساءُ هذه النسخة ، وهى عندهم ، فنظرتُ فيها ، فإذا فيها أشياء ، فقلت له من حيث لا يسمعنى أحد :

ـ يا سيدى ٠ هذا شعر يبقى على الأبد ، وقد بقيت فيه حروف تحتـاج إلى أن نغيرها ، فقد غير ابن المعتز شـعره مرات ، وإن أمرتنى ، نسـختُه نسخة أخـرى ، وعرضته على سـيدنا ويأمر بأمـره ٠

فقـال له :

ـ افعل ، وأنا أصـلك للنَّسْخ وغيره ٠ فعملتُ نسـخة كتبتُها ، وعرضـتها عليه ٠ وكان هـذا فى آخر أيامه ، فَسُرَّ بها ، وقـال :

ـ تأخذ نسخ أصحابنا منهم وتقرر النسخة) (٢) ٠ بل إن

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى ، كان مؤدبا للخليفة الراضى ، وسوف يرد الحديث عنه مفصلا ، (ت ٣٣٥) ٠

(٢) الأوراق = ص ٣٩ ـ ٤٠ (ط الصـاوى بالقاهرة) ٠ بتحقيـق هيورث دن ٠

هناك شاهدا أصرح دلالة على ما نحن بصدده ، نجده فى وفيات الأعيان فى ترجمة ابن التعاويذى (١) إذ يقول ابن خلكان بصدده ، (وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل انقضاء العمر ... ورتبه أربعة فصول ، وكل ما جدده بعد ذلك سماه (الزيادات) . فلهذا يوجد ديوانه فى بعض النسخ خاليا من الزيادات ، وفى بعضها مكملا بالزيادات) (٢) .

وهذه الظاهرة - أعنى تعهد الشعراء لآثارهم بالتنقيح - قد أورثت أهل الرواية العنت البالغ ، ووضعتهم موضع الحيرة ، وهى تمثل جانبا إنسانيا لا ينبغى إغفاله لمن تصدى لدراسة الرواية ، ذلك هو التعارض القائم بين أشواق الفنان ورغبته فى أن يبلغ بآثاره أرقى مستويات الجودة ، ونزعة الرواة فى أن يستقروا على نص ، وألا يسرقهم الخلاف فى الرواية إلى مركب صعب .

ولم تكن هذه الظاهرة وليدة القرن الرابع وما بعده ، وإنما هى من الظواهر المعتادة القابلة للتكرار ، ما بقى هناك نزوع للأدب فى كل عصر ومكان ، ودليل ذلك ما ذكره صاحب الموشح من رغبة ذى الرمة الدائمة إلى تجديد شعره ، وكان يعينه على تجويد أشعاره ، وكثيرا ما كان يلفت رواته الى تغيير مواضع فيما رووه عنه من آثاره ، حتى قال له بعض الرواة يوما (أنت أفسدت على شعرك) (٣) .

وذلك الخلاف هو الذى دفع بأبى سعيد السكرى أحد

والمراد بقوله (تقرير النسخة) أى يقرر أن هذه هى آخر نسخة اعتمدها الخليفة وأقرها . والخبر هنا يورده الصولى بشأن الخليفة الراضى العباسى

(١) أحد شعراء القرن السادس الهجرى ، وكان أيضا كاتبا توفى عام ٥٨٣ هـ وقيل ٥٨٤ هـ .

(٢) وفيات الأعيان : ٤ / ٩٠

(٣) انظر تفاصيل اكثر فى : الموشح : ص ٣٨٩

رواة القرن الثالث الهجرى إلى أن يضع دواوين للشعراء على نهج مغاير لسلفه ، اذ كان السكرى يعود الى النسخ المختلفة لديوان الشاعر الواحد فيقابل بين رواياتها ، ويختار أصحها لديه ، وكأنه بهذا العمل يريد أن يضع حدا للروايات المختلفة التى كثرت وشاعت فى عصره ، وبخاصة الشعراء الجاهليون · ويعد جهده أوفى الجهود التى ظهرت قبل القرن الرابع ، حتى ذكر ابن النديم أن عدد الشعراء الذين صنع أبوسعيد دواوينهم قرابة ستة وخمسين شاعرا ، واستحق أن يصفه ياقوت الحموى بأنه (الراوية الثقة المكثر) وبأنه كان (اذا جمع جمعا ، فهو الغاية فى الاستيعاب والكثرة (١) ·

وقد ظهر خلال القرن الرابع راوية نهج سبيل السكرى ، وهو أبو بكر الصولى ـ صاحب الخبر المتقدم فى ديوان الخليفة الراضى ، اذ قام بنفس محاولة السكرى فى صنع الدواوين ، الا أنه اتجه الى الشعراء المحدثين فى الأعم الأغلب (٢) ·

٢ ـ ومن دواعى الخلاف فى اللفظ (الخطأ الناجم عن تصحيف الأثر المروى) ، ومن يتتبع كتب الرواة فى ذلك ،مثل (التنبيهات) لأبى على البصرى وكتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) لأبى أحمد العسكرى ، أقول : من يتتبع مثل هذه الكتب ، ويدرس الدافع إلى تأليفها يجد موسم بأب من أوسع الأبواب للخلاف اللفظى فى رواية الأثر الواحد ، وهو ما سوف نتناول بتفصيل أدق عند الحديث عن ظاهرة (التصحيف والتحريف) ·

٣ ـ كان لعلماء اللغة والنحو دور فى توسيع الهوة فى

---

(١) معجم الأدباء : ٨/٩٤ ـ ٩٩ ·
(٢) سيرد ذلك مفصلا فى حديثنا عن أبى بكر الصولى
(٣) أنظر : الاغانى : ٧ / ٦ معجم الادباء : ١٤ / ٦٧٨ ، ١٨١

موضوع (الخلاف اللفظى) ، لأنهم فى سبيل التماس الشاهد الذى يؤيدون به ما أثبتوه ،صاروا ـ فى كثير من الأحيـان ـ يعمـدون الى المحرف المصـحف من الشـعر ، فيسـوقونه ، ويبنون على روايتهم له قاعدة ، أو جوازا فى صحة لفظ ، ثم عقدوا الجدل الطويل ، ولجّوا فى تأويلاتهم ، وتخريجاتهم لججا أورثنا العنت البالغ · لهذا فإن كل محاولة لإصـلاح النحو واللغة يجب أن تأخذ هذا الأمر فى اعتبارها ، فـان الشـواهد المحرفة كانت فى كثير من الأحيـان الأساس الذى بنى النحاة عليه قواعدهم وتخريجاتهم ·

جـ ـ معايير العلماء فى التحقيق :

لكن · ما هى المعايير التى استند اليهـا أهل الرواية فى مناقشاتهم لمسائل الخـلاف فى الرواية : سواء من الناحية النسبة ، أو من ناحية اللفظ ؟

يمكننا أن نوجز هذه المعايير فيما يلى :

١ ـ الرجوع للمصادر وفى مقدمتها الدواوين الشعرية ·
٢ ـ العرض على العلماء ·
٣ ـ الشيوع فى تداول الرواية ·
٤ ـ الخصائص الفنيـة ·
٥ ـ الرواة ·
٦ ـ المنطـق العقلى ·

١ ـ الدواوين

اذ يضطر الرواية الى مراجعة ديوان الشـاعر لتحقيق ما يقـع له من المسـائل الخلافية ، فاذا ثبت له البيت فى الديوان على وجهه : نسبة ولفظا ، أشار الى ذلك ، واذا لم يتأت له ذلك ، لم يقصّر فى الاشارة رعاية منه للأمانة ·

وحين نرجع الى شتى المصـادر الأدبية نجدها زاخـرة بالكثير من التحقيقات ، مما لا يقع تحت حصر ٠

من أمثلة ذلك فى الأغانى – أن أبا الفرج الأصفهانى يروى أثرا شعريا لابى المولى الشـاعر ، ويلاحظ الأصـفهانى أن إسحاق الموصلى ينسبه للأعشى ، فيسـارع أبو الفـرج إلى رفضه بعد تحقيقه من خطأ هذه النسبة ، وكان سنده فى ذلك مراجعـاته الطويلة فى دواوين الأعـاشى ، كأعشى قيس وأعشى باهله ٠ يقول أبو الفرج :

(وقد التمسناه فى شعر كل أعشى ذكر فى شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحـد من الرواة لأحد منهم ، ووجدناه لابن المولى فى قصيدة له طويلة جيدة)٠

وقد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحة ما ذكرناه . اذا كان الغلط إذا وقع من مثل هـذه الجهـة ، احتيج الى إيضاح لحجة فى صحته والدلالة على الصواب فيه)(١)

ويفعل الأصفهانى نفس الشىء فى تصحيحه بعض آثار للمرقش ، إذ يرجع إلى دواوين المرقشين جميعا التماسـا للصـواب (٢) ٠

٢ – أما العرض على الرواة ، فالمراد به سـؤال أهل الرواية والتحقيق ، ممن يوثق بهم ، مع نسبة ذلك الى العالم الذى رجع اليه ، أو الاكتفاء بالاشارة إلى مبدأ الرجوع الى العلماء دون تحديد لأعالم بالذات (٣) ٠

٣ – أما الخصائص الفنية ، فالمراد بها أن يكون الراوية ذا بصر بأهم سمات الشاعر فى تعبيراته وأفكاره وعواطفه،

---

(١) الأغـانى : ٢٨٥/٣ ٠
(٢) نفسه ٠
(٣) الحلة السيراء : ٢٧٧/١ ٠

فإذا وقع له أثر نُسب اليه خطأ ولم تسعفه المصادر أو الرواة، استعان بخبرته وفكرته عن خصائص الشاعر فنفى النسبة أو أثبتها فى ضوء ذلك .

وكثيرا ما تأتى عبارات الرواة تحمل فى طياتها هذا المعيار مثل :

أ - قول ابى الفرج الأصفهانى بشأن أبيات للمجنون : (وهى بشعره أشبه) (١) .

ب - قول أبى الفرج : (القصيدة مصنوعة والشعر بين التوليد) (٢) .

جـ - قول أبى الفرج : (أبيات من رواية أصحابنا الكوفيين غيرهم يزعم أنها مصنوعة ، والتوليد ظاهر بين فيها جدا (٣) .

د - قول الثعالبى : (وأنشدنى غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته) (٤) .

هـ - قول ابن رشيق (وابن ميادة أولى به وأشبه) (٥) .

و - قول ابن رشيق (ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ، ولا علمته وقع لأحد منهم) (٦) .

ز - قول الشريف المرتضى نفيا لنسبة أبيات الى الجاحظ (ولا يشبه شعر الجاحظ الذى نعرفه) (٧) .

٤- أما المصدر الرابع ، وهو الشيوع والتداول ، فالمراد به الاستناد الى الرأى الذى التزم به جمهور الرواة وأهل

---

(١) الأغانى : ٢٥٦/٦ .

(٢) الاغانى : ١٤ / ١٥٠ .

(٣) الأغانى : ١٥١/١٤ وانظر ٩ / ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ١٠ / ٤٠ ، ١٠ / ١٨٠ .

(٤) يتيمة الدهر : ١ / ٣١٩ .

(٥) العمدة : ١٨٥/١ .

(٦) العمدة ٢ / ١٩٨ .

(٧) أمالى المرتضى : ١ / ١٩٧ .

التحقيق ، فالخروج عليه شذوذ لا مبرر له ونجد فى المصادر الأدبية ما يشير الى تطبيق هذا المعيار ، كقول المعرى فى (رسالة الغفران) على لسان بعض أبطاله ينفى نسبة بيت له : (لا والله ما سمعت هذا قط ، وانه لفرى لم أسلكه) (١)٠

ومثاله أيضا رفض أبى الفرج الأصفهانى لروايات انفرد بهم ابن خرداذبة ولم يقل بها جمهور الراوية (٢) ٠

٥ ــ وأما قبول الرواية أو رفضها استنادا الى الراوية من حيث الثقة به أو تكذيبه ، فهو ايضا من المعايير الشائعة لدى الرواة ٠ يبدو لنا ذلك واضحا فيما تداوله العلماء من أخبار حماد الراوية وخلف الأحمر وما يقال بشأن اتهامهما ٠

ولهذا فإن المراجع كثيرا ما تحفل بعبارات تشعر بمدى تحرى الرواة فى الأخذ والتلقى مثل :

« قال من يوثق بخبره »
« وحكى لى الثقة »
« وحدثنى قوم ٠٠٠ ما هم فى الحكاية بكاذبين »

ومن اجل ذلك كان لابد ــ فى عرف الرواة ــ من الوقوف على أحوال الرواة والتعرف عليهم ، فأكثر العلماء من التأليف فى سير العلماء والرواة ، وكثرت هذه المؤلفات [illegible]ـوظة ، وبخاصة فى القرن الخامس الهجرى فهناك :

(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى ٠
و (معجم الأدباء) لياقوت الحموى
و (إنباه الرواة) للقفطى (٣)

---

(١) رسالة الغفران : ص ٣١٣ ٠
(٢) الأغانى : ٣٦/١ ٠
(٣) وانظر : بغية الوعاة مقدمة الناشر ، ومقدمة السيوطى ٠

و (نزهة الألبا فى طبقات الأدباء) للكمال بن الانبارى ٠
وهكذا مما لايقع تحت حصر ، من كتب التراجم التى لم تتوقف حركة التأليف فيها سواء فى المشرق أو فى المغرب والأندلس ، حافلة بأحكام مختلفة ٠

وقد كان مؤلفو التراجم ، يعرضون الحال راوية الأدب على نحو ما كان يفعل علماء الحديث وطبقات المحدثين

فالخطيب البغدادى يقول عن ابن الأعرابى ٠ (ثقة) (١) (وكان من أعلم الناس باللغة موثقا فيما يرويه) (٢) وعن الأصمعى (ثقة) (٣)

كما عمد علماء الأدب الى وضع مؤلفات فى أصول الرواية ٠ أو كتابة فصول عنها ٠ فمن النوع الأول كتاب الكمال ابن الأنبارى وهو (لمع الأدلة) فقال ابن الانبارى :

(يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا ،رجلا كان أو امرأة ،حرا كان أو عبدا ، كما يشترط فى ناقل الحديث ، لأن به معرفة تفسيره وتأويله فاشترط فى نقله ما اشترط فى نقلها ٠) (٤)
وقال ايضا : (فان كان ناقل اللغة فاسقا لم تقبل روايته) (٥)
بل اشترط ابن الأنبارى عدم الجهالة بالراوية أو القائل مجاراة لرواة الحديث ، لأن الجهل بالناقل أو القائل يوجب الجهل بالعدالة) (٦) ٠

و أكد ابن الأنبارى هذا المبدأ - بخصوص الجهل بالقائل بالذات - فى كتابه (الإنصاف) : وهو مخافة أن يكون الأثر

(١) تاريخ بغداد : ٥/٢٨٢ ٠
(٢) نفســه ٠
(٣) نفســه : ٦/٣٢٩ ٠
(٤) لمع الأدلة (ط أوروبا) ٣١
(٥) لمع الأدلة : ٣١
(٦) نفســه ٠

إذا جُهل قائله — لمولّد ممن لا يحتج بقولهم (١) .

كذلك كان من دواعي الثقة بالراوية كبر سنه ، كبرا يوحى بإلمامه بالرواية للآثار القديمة ، ومن هذا القبيل ما رواه أبو الحرب ابن معيشة الكنانى الأسبتي قال : أخبرنى شيخ من أهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عبـاد وكان عليه من أثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصـدق وينطق بأن قوله الحـق) (٢) .

٦ — أما المعيار الأخير ، وهو المنطق ، فان يكون الخبر أو الأمر غير مقبول من الوجهة العقلية : لاحظنا ذلك فى نفى أبى العلاء المعـرى لما نسب إلى الإمام على من قوله (تهلك البصرة بالزنج) لأن علم الغيب مرده لله تعالى ، وكذلك نفى الرواة الأوائل لآثـار شـعرية منسوبة إلى آدم وحـواء وولديهمـــا .

ولا يعنى ذكر هـذه المعايير أنها وحدها التى انحصـرت فيها وسـائل القدماء فى تمييـز النصوص وتصـحيح رواياتها ، فهناك ثقـافة الراوية ، وهنـاك ضرورة نقـله بطريق السماع ، لا أخذه من الصـحف وتمرسه بالرواية ، وسـعة بصره بالآثار (٣) .

---

(١) نفســه .

(٢) نفح الطيب : ٣٠١/٤ .

(٣) انظر فصل (التوثيق والتجريح : معاييره بين القدماء والمحدثين) فى رسالتنا للماجستير (مخطوطة بمكتبة دار العلوم) .

الفصل السادس

التـــدوين

قبـل أن يفضى البحث بنا الى دروبه حـول (التدوين) باعتباره أحد مصدرى رواية الأدب ، نضع امام القـارىء هامة جديرة بالنظر والاعتبـار : ذلك أن الرواية ـ بعامة لا تعنى مجرد الذاكرة ، والأخذ والعطاء الشـفاهى ، بل هى فى حقيقتها ، شفاهية ومدونة ٠

معنى هذا : أن هناك رواية شفاهية وأخرى مدونة ، وهمـا متلازمتان ، بل لا يمكن تصور قيام الرواية إلا على هـذه الصورة من اللازم

هكذا عـرفنا الرواية ، منذ العصـر الجـاهلى ، ابان بسـاطتها وسذاجة تقـاليدها ووســائلها (١) ، غير أن التدوين فى العصـر الجاهلى وشطر من الاســلامى ، كان بسـيطا هو الآخر ، الى أن أخذ شكلا ناضجا مع أواخـــر القرن الثانى وبدايات الثالث حتى منتهاه (٢) ٠

ثم كان اتساعه ونضجه فى القرن الرابع ، وهنـا نؤكد ان اتسـاعه ونضجه لا يعنى اختفـاء الرواية ما دمنـا قد اصـطلحنا بدءا على انه رواية ٠ بل ان الرواية ـ هنـا ـ قد أمدت حركة التدوين فى القرن الرابع وما بعده بتقـاليد محددة ، ووضـعته داخل اطـار حقق غـاياته ، من أجل توثيقه وحفظه من عوادى الشطط والانحراف والتزييف ،

---

(١) انظر بحثنا للماجستير : ص ٦٣ ـ ٧٨ ٠

(٢) المرجع الســابق ٠

كوجوب الأمانة فى النقل ، والأمانة فى النسخ ، ومقابلة النسخ ، وسماعها على الشيوخ الثقات ·

ومن هنا ، فسوف نلاحظ أن التأليف منذ قيامه قبل القرن الرابع ، قد قام معه توثيق (النقول) التى يستعين بها المؤلفون ، وذلك عن طريق الإسناد إلى الشيوخ الأثبات ، أو عن طريق ذكر المصادر المدونة كتبا كانت أو تعاليق خاصة بالرواة ، كما أن الكتب بعد تأليفها كانت تحول إلى مرويات يتناقلها الرواة ويكفلون لها ضمانات الصون والرعاية ·

وعندما يأتى القرن الرابع ، ويصل المد الحضارى الى غاياته ، تنشط معه الرواية نشاطا يمكننا من العطاء الوافر ، ولا أدل على هذا من جهود فريق من الرواة المصنفين بلغوا الغاية (جمعا وتأليفا) على رأسهم أبو الفرج الأصفهانى والقالى والمرزبانى ·

ونحاول فيما يلى أن نسلط الضوء على انواع متباينة من المدونات ، موجهين النظر الى أثر الرواية فى توثيقها وحفظها بادئين بالكتب ·

أولا : الكتب

وتمثل الكتب أرقى صور التدوين وأخطرها شأنا ، لأنها تدور فى فلك التداول ، ولأنها تعكس النماء الفكرى والحضارى ·

وقد لعبت الرواية دورا كبيرا لحماية (الكتاب) وترثيق محتواه العلمى ، فكانت الكتب تقيد عليها أنواع متباينة من التقييدات ، فى مقدمتها السماع ، الذى يشير إلى أن الكتاب قد قرىء على العلماء ، ونال بذلك نصيبه من التصحيح والتوثيق ·

ونتيجة لهذا سُجّلت الأسانيد على ظهور الكتب تسجيلا

يربط بين مؤلفه وراويه فى الكثير من الأحيان ، ومن تأكيد وثاقة الكتاب مادة ونسبة .

ولهذا كان يعاب على العالم أن يقتنى كتبا لا يُرى عليها آثار السماع (١) .

كما صار أمر الأخذ الكتب نوعاً من الإسناد ، ولا يقل بحال عن الأخذ من الأفواه ، وصار هذان المصدران كلاهما متضافرين على توثيق (نقول) المؤلف و (مروياته)

والملاحظ أننا عندما نستعرض المؤلفات فى القرن الرابع الهجرى وما بعده نجد أن النقل عن الكتب يسير جنبا الى جنب مع الأخذ من الأفواه . ولكن لكى تضمن الرواية توثيق (المصادر المدونة) المنقول عنها ، اشترطت أن تكون المصادر موثوقا بها وبأصحابها ، ولهذا كان العلماء يؤكدون ذلك فى اشاراتهم الى هذه المصادر مثل :

أ - قول ابن الأبار (والذى أوردته من أبيات ، فمنقول عن أثبات ومجموع من تصنيفات أشتات)(٢) .

ب - أو قول ابن عربى (وكل ما سطرته فى كتابى هذا ، فمنه ما شاهدته أو حدثنا من شاهده ، ومنه من نقلته من كتب مشهورة ، رويتها سماعا أو قراءة أو مناولة أو كتابة (٣) .

جـ - كثيرا ما نعثر فى الكتب على إشارات توثّق المصادر المدونة المنقول عنها مثل: (نقلت من خط من يوثق به) (٤)

---

(١) انظر ترجمة ابن باكويه (الأمام أبو عبد الله الشيرازى الصوفى ت ٤٣٦ هـ) فى - « العبر فى أخبار من غبر : ٣ / ١٦٧ » . فى شذرات الذهب : ٣ / ٢٥٧ عام ٤٣٦ هـ .

(٢) الحلة السيراء : ٣٢/١ .

(٣) محاضرات الأبرار (المقدمة) ١١/١ .

(٤)

د ـ قول الحموى فى مقدمة (معجم الأدباء) :

(وأثبتُّ مواضع نقلى ومواطن أخذى من كتب العلمــــاء المعوّل فى هذا الشـــأن عليهم والمرجوع فى صحة النقل إليهـــم) (١) ٠

ولقد صار أمر الاعتمــاد على (المصادر المدونة) تقليدا راســخا فى عرف أهل الرواية والتحقيق ، وكان السر فى هذا أن (الذاكرة) وحدها غير مأمونة العطاء وبلغ هـــذا الرسوخ درجة جعلت العلماء يعيبون الراوية الذى لا يملك (أصولا يرجع إليها) كما مضى بشأن (ابن القوطية) ٠

ثم صـــار الراوية ـ خلاف ما تقدم ـ مسئولا عن ضبط مقتنياته من الكتب ٠ وحديث العلماء عن هذا المبدأ بالذات يربط ربطا وثيقا بين هذا المسـلك ومقتضـــيات الرواية ، كقولهم فى وصف العالم (من أضبط الناس لكتبه ، وأفهمهم لمعـــانى الرواية)(١) ٠

واذا كنا أشرنا اجمالا لمبدأ تقييد السماع على ظهـــور الكتب فانا ذاكرون ـ تفصيلا ـ ، مبدأ التقييد على ظهور الكتب من سماع وغيره ٠

ويمكن أن نحصر هذه التقييدات فيما يلى :

١ ـ السـمـاع ٠
٢ ـ القــراءة ٠
٣ ـ الأســانيد ٠

---

(١) نفح الطيب : ٦/٢٨٠ ٠
(٢) معجم الأدباء (المقدمة) ٤٩/١
وشذرات الذهب ٠
(٣) انباه الرواة : ١ / ٣٠٣ وانظـر : بغية الوعاة ، ومعجم الأدباء

٤ - التعليقات ·
- التمليكات ·
٦ - الوقف ·

١ - السماع

وقد عرضنا له جملة ، ونعرض له فيما يلى بشواهد تجلو أمره ، وتوضح ما لم يتضح - بعد - من جوانبه . فالقفطى - مثلا - يقرر انه رأى بنفسه كتاب العمدة لابن رشيق ، وعليه أثر سماع أحد أمراء جزيرة صقلية (١) .

كما يخبرنا القفطى - أيضا - بسمات رآها بخط أحد وراقى أبى العلاء المعرى على ظهر الجزء الثانى من كتابه (ذكرى حبيب) (٢) ·

وأحيانا كان الرواة عندما يأخذون عن الشيخ كتابا ليس من تأليفه ، كانوا يطلبون منه اطلاعهم على الأصول التى سمع عليها ، ورؤية السماعات بخط شيوخه الذين روى الكتاب عنهم ، فان رأوا فيه ذلك صدقوه واطمأنوا اليه ، والا (ارتابوا فى أمره واتهموه بالكذب) (٣) ·

القراءة

اذا كان السماع شهادة الشيخ بقراءة التلميذ ، أو سماعه بقراءة الغير ، فإن القراءة قد تكون إقرار التلميذ بالرواية اقرار الشيخ بقراءة التلميذ ·

فكثير من التلاميذ حرصوا على تقييد قراءاتهم على

---

(١) انباه الرواة : ١/٥٥ - ٥٦ ·
(٢) نفس المرجع ·
(٣) انظر خبرا مفصلا فى ذلك فى : ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس (ط الدار المصرية ١٩٦٦م) القسم الثانى منها ص : ٥٥ ·

ظهور الكذب ، وهم ـ فيما قيدوا ـ قد حرصوا على توثيق قراءاتهم، حرصهم على توثيق المقروءات ذاتها · ولهذا كانوا يُضمّنون هذه التقييدات ما يفيد بأنها كانت حسب الأصول المرعية للرواية ·

خذ ـ مثلا ـ هذه القراءات التى سجلها لنا المقّرى فى نفح الطيب من ظهر كتاب (نظم الدرر فى مدح سيد البشر) لابن العطار ونصها كالاتى :

(قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرهما على ناظمها اقاضى ··· قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع الحكم فى مدينة الجزائر من أقصى افريقية ·· وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبع وسبعمائة، ونص ماكتب على نص قراءتى عليه : (صحيح ذلك، وكتبه محمد بن عبدالله بن العطار والحمد لله رب العالمين) أهـ(١)·

وأهمية هذا النص فى أنه يطلعنا على الكثير من تقاليد القراءة ، ومن هذه التقاليد إقرار الشيخ ومصادقته على كلام التلميذ ، مع ما تشير إليه (قراءة) الناقل من اتباعه لأصول الرواية ، وتحديد الزمان والمكان الذين تمت القراءة فيهما ·

ولم يكن الشيخ المسلم، وهو فى موضع المسئولية العلمية، ليقدم على إقراء الكتاب، إلا إذا كان متحققا من توثيقه ، حتى كان مما يمتدح العالم به أنه لا يقرىء شيئا لا يتحققه(٢)·

وبهذا نجد أن (المسلك التدوينى) محوط بكل ضمانات التوثيق ·

---

(١) نفح الطيب : ١٠ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ·

(٢) انظر خبرا ساقه ابن الأبا فى ترجمة محمد بن الحسين البلنسى المتوفى عام ٤٦٠ هـ فى : التكملة لكتاب الصلة : ١ / ٣٩٠ ·

٣ ـ الأســانيد

وقـد تقـدم الحديث عنها فى موضعها ، وما ذكرناه من أن التلاميذ بعـد رؤيتهم الكتب ، كانوا يطالبون الشـيوخ بالأسـانيد ، وما قيل بشـأن اتهام ابن القطـاع الصـقلى بتركيب اسناد لكتاب (الصحاح) للجوهرى لأهل مصـر ، حين رأى اشتغالهم بروايته ٠

ثم كيف كان ينبغى أن تكون الأسانيد فى الكتب متصلة ، شأنها فى ذلك شأن الحديث الشريف، حتى أن ابن بشران(١) الذى تقدم مطالبة تلاميذه اياه بأسانيد مقروءاتهم ، قد ذكر لهم إسـناد كتاب الحماسـة ـ مثلا ـ متصـلا إلى مصنفه أبى تمـام (٢) ٠

٤ ـ التعليقات

ونقصد بها هنا تقييدات قارىء الكتاب على ظهـره أو هوامشـه بإبداء الرأى أو بالإضـافة أو بالتصـحيح ، أو بالتوثيق ٠

وكل هذه الأنماط تخـدم الكتاب من الوجهـة التوثيقية لأنها تقـوّى نسبته

ولقـد كان مما يمتـدح العالم الثقة به ، (تعليقاته) الثـابتة على حواشى كتبـه ، حتى كـان ممـا قـاله الحميدى (٣) فى ترجمته لابن عبـد ربه ، وهـو يتحدث عن كتابه (العِقد الفَريد) و (رأيت منه نيفا وعشرين جزءا من جملة ما جُمع للحَكم بن عبد الرحمن الناصر ، وفى بعضها

---

(١) ابن بشران هو محمد بن أحمد بن سهل الحنفى النحوى الواسطى ويعرف أيضا بابن خاله ، كان من أئمة العـراق فى اللغة والأدب والرواية وتوفى ٤٦٢ هـ ٠

(٢) انظـر : انباه الرواة : ٣ / ٤٥ ٠

(٣) أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الأزدى ، أحد رواة الأندلس فى القرن الخامس وصاحب جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس (ت ٤٨٨ هـ)

بخطه - أى الحكم - (توفى أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه ٣٢٨ هـ لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأول ، ومولده ٢٤٦ لعشر خلون من رضان فاستوفى إحدى وثمانين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام) .

ثم يعلق الحميدى على تدوين الحكم بقوله (وخطه حجة عند أهل العلم عندنا لأنه كان عالما ثبتا) (١) ومعنى هذا أن الحميدى قد اعتمد على خط الحكم فى تحديد سنتى المولد والوفاة لابن عبد ربه ثقة بخطه وعلمه .

وكثيرا ما تطالعنا كتب التراجم بتعليقات وجدت على ظهور الكتب بمثل الإضافة الهامة التى وجدناها من الحكم المستنصر من (ديوان الأدب) للفارابى

فالقفطى يروى أنه قرأ على نسخة وردته من (ترمذ) بخط خطيب (ترمذ) بأن الفارابى مصنفه مات فى عام ٣٩٠ هـ وأنه قرأ على ظهر جزء من ديوان الأعشى بخط ابن وداع (٢) أن صالح بن رداس صاحب حلب ، خرج إلى المعرّة ، وقد عصى عليه أهلها ، فنزل عليها ، وشرع فى قتالها ، ورماها بالمجانيق . فلما أحس أهلها التغلب سعوا إلى أبى العلاء ، وسألوه الخروج إليه والشفاعة فيهم عنده ...) (٣) .

وتزداد التعليقات وثاقة ، وتبدو فى حقيقتها نوعا من الإضافة المفيدة إذا كان كاتبها على صلة بالمؤلف ، ومن هنا

---

(١) جذوة المقتبس : ص ١٠١ هو الحكم المستنصر الخليفة الاموى بالأندلس ت ٣٦٦ هـ (جذوة المقتبس ص ١٠١ وبغية الملتمس لابن الفرضى ص ١٨ وما بعدها

(٢) ابن وداع هو عبد الله بن محمد الأزدى من الوراقين العلماء وانظر انباه الرواة : ١ / ٥٢ .

(٣) إنباه الرواة : ١ / ٥٣ .

تبدو قيمة مادونه ولد ابن الخطيب من تعليقات فى صفحات كتاب ابن الخطيب ـ وزير غرناطة الأشهر ـ (الإحاطة فى أخبار غرناطة) . ونجد جملة حسنة من هذه التعليقات فى كتاب (نفح الطيب) بما يفيد أن ولد ابن الخطيب قد تتلمذ على ابن خلدون ، وأنه أحيانا روى عمن روى عنهم والده من الشعراء (١) .

ومعنى هذا أن التعليقات حققت للكتاب العربى هدفين :
الأول : توثيقه حين قامت منه مقام النسب .
الثانى : أنها بدورها غدت مصدرا لقارىء الكتاب يفيد منها إفادته من الكتاب ذاته بما حققته من عامل (الإضافة المفيدة) .

على أن بعض المصنفات قد قامت على تسجيل جملة مفيدة منها ، واقتصرت عليها ، منها كتاب (نُهزة الخاطر ونزهة الناظر فى أحاسن مانُقل من ظهور الكتب) للقفطى وقد أورد ذكره ناشر (إنباه الرواة) ولم يصل إلينا الكتاب، بل ضاع ضمنما ضاع من ذخائر جمال الدين القفطى (٢) .

٥ ـ التمليكات

وهى عبارات ترد على ظهور الكتب تشير إلى من تملك النسخة ، وتشير إلى تناقل ملكيتها عبر السنوات ، فهى بذلك تقوم مقام السند للكتاب توثيقا ، وتقوية لنسبته .

ومن أمثلتها كتاب (شرح أشعار الهذليين) لأبى سعيد السكرى ،عليها تمليكات بخطوط أئمة من العلماء ،مثل ابن دريد وابن فارس وأبى على القالى (٣) .

---

(١) نفح الطيب : ٨ / ١٥٩ ، ١٨٤ ، ١٠ / ١٠٧ .
(٢) انظر مقدمة الناشر : محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .
(٣) مقدمة الناشر : ١/ ١٤ .

٦ - الوقف

والمراد به أن يوقف المؤلفُ نسخةً أو يضع نسخ من كتابه على إحدى المكتبات العامة ، المستقلة أو الملحقة بالمدارس ، أو المساجد، أو لتكون النسخة أو النسخ وقفا على القراء دون تخصيص، ومن حقه أن يوصى فى عبارة وقفه بما يضمن حمايته من عبث المزيفين ٠

وهذا الوقف للكتب يعطينا صورة إنسانية نبيلة لحرص المسلمين على نشر المعرفة ، والحفاظ عليها وتوثيقها فى الوقت ذاته ٠

ومن أمثلة عبارات الوقف على ظهور الكتب هذا النقش الذى رآه المقرّى على ظهر نسخة الإحاطة المتقدمة الذكر ، وكان صاحبها قد وقفها على أهل العلم بخانقاه ، (١) سعيد السعداء بمصر ، النص هو كالآتى كتبه من ندبه المؤلف لتحريره ،٠

(٠٠٠ وقف ٠٠٠ جميع هذا الكتاب، تاريخ غرناطة ، وهو ثمانية أجزاء ، هذا رابعها ، عن مصنفه المذكور ، بمقتضى التفويض الذى أحضره ٠٠٠٠ وقفا شرعيا على جميع المسلمين ، ينتفعون به قراءة ونسخا ومطالعة وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء ، رحم الله تعالى واقفها ، وجعل النظر فى ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن حَجَلة ، حرسه الله تعالى ، ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكور ، فلا يحل لاحد يؤمن

---

(١) الخانقاه ، كلمة فارسية ، معناها (البيت) وهى كلمة حديثة فى الاسلام ظهرت فى حدود الاربعمائة ٠ والمقصود بها بيوت جعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصرف ، وكانت فى نفس الوقت دورا للعلم تضم شيوخا ومكتبات ٠ انظر السيوطى : حسن المحاضرة : ٢ / ٢٥٦ ٠

بالله العظيم ، ويعلم أنه صائر إلى ربه الكريم ، أن يبطله ، ولا شيئا منه ، ولا يبدله ولا شيئا منه ٠٠ فمن فعل ذلك أو أعان عليه ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم ، ومن أعان على إبقائه على حكم الوقف المذكور ،جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين ، الذين لا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون ، وأشهد الواقف الوكيل عليه فى ذلك ، فى الثانى والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة) ٠

والملاحظ أن هذا الوقف :

أ - يمثل وثيقة شرعية جارية على مبادىء الوقف ٠

ب - يقيم الوكيل والذى تولى كتابة صيغة الوقف مقام الشاهد على إقرار الواقف وشرطه ٠

جـ - يحدد لنا زمان ومكان الوقف ، فيعطينا فكرة عن وجهة انتقال الكتاب وتداوله ٠

د - الوثيقة تجيز القراءة والنسخ والمطالعة ، وفرق بين لفظتى (قراءة) و (مطالعة) فالأولى هى قراءة الرواية ، والثانية مجرد قراءة عادية على غير شيخ ٠

هـ - أنه يوصى بالمحافظة على الكتاب ، بعدم إحداث أدنى تغيير فى نصه ومحتواه (١) ٠

ثانيا : النقوش

وهذه النقوش تكون على المبانى أو المقابر أو الأدوات المستعملة من مقاعد ، أو مواعين ، أو نحوها ٠

ولم يكن تسجيل الآثار الأدبية فى كل الأحوال لقصد المحافظة عليها ، بل هى نوع من الزينة والترف ، كهذا الذى

---

(١) وراجع الباب السادس الخاص بالأدب مع الكتب فى : العلموى (ت ٩٨١ هـ) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ص ١٣٠

نلاحظه على النقوش الأدبية فى المبانى الأندلسية ٠

ومع هذا ، فإنه كان يراعى الدقة فى تدوينها تأثراً بتقاليد الرواية، ومن هذا القبيل آثار شاعر غرناطة ابن زمرك، فقد قيل إن آثاره مدونة على جدران قصر الحمراء بغرناطة (١)

وتزداد مثل هذه النقوش قيمة إذا كانت المصدر الوحيد للأثر الأدبى ، ويلزم عندئذ ذكر هذا المصدر توثيقا للأثر المروى الذى يجد طريقه للتداول والانتقال على ألسنة أهل الرواية بالسند المتصل إلى قائلها ونسوق من هذا القبيل الشاهد التالى يرويه الحميدى بالسند المتصل إلى قائله من طريق ابن حزم قال (٠٠٠ حدثنى أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن ذكوان قال : حدثنى أبى عن بعض أخوانه، أو عن نفسه: أنه حج فنزل بمصر فى حجرة اكتراها ، قال : فإنى قاعد يوما إذ نظرت إلى كتابة على الحائط فتأملت ذلك فإذا (الأبيات) فذكرت ذلك لبعض من من كنت أجالسه بمصر ، فقال : ذلك خط الحسن بن هانىء وهى من قوله ، وفى تلك الحجرة كان نازلا أيام كونه بمصر)(٢) ٠

وبمقدار القيمة التاريخية لما ينقشه الشاعر نفسه من آثار على جدران مسكنه الخاص ، تكون أيضا قيمة ما يكتبه على ما يقرب من ذلك كجدار سجن أو نحوه ، كتلك الأبيات التى رواها ابن سعيد لأبى بكر بن أبى العلاء يقول :

---

(١) حدثنا بذلك الدكتور الطاهر أحمد مكى الأستاذ بدار العلوم فى محاضراته بقسم الدراسات العليا فى ١٩٦٦ وذكر أنه شاهد ذلك فى غرناطة ٠

(٢) وانظر الخبر والأبيات فى جذوة المقتبس : ص ١٣٠ ٠
وانظر ايضا : : ابن كثير = البداية والنهاية (ط بيروت ١٩٦٦) ١٢ / ٢١٥ حيث نقل خبرا مؤداه أن الخليفة العباسى المسترشد بالله قد أطلق لابن أفلح الشاعر (ت ٥٣٣ هـ) داراً كاملة فكتب عليها أشعار حسنة من نظمه ونظم غيره ، وقد روى ابن كثير طائفة منها ٠

ووُجدتْ على حائط حجـرته بالسجن الذى نزل به على محنة جـرَت له (١) ٠

وقد وافانا المقَّرى بجملة صالحة من الأشعار المروية على المبانى والتماثيل والأقداح ، والأبواب ، وكانت مصادره فى النقل والرواية (٢) ٠ وتزداد القيمة التاريخية لهذه الآثار، حين تكون تواريخ لمـولد أو وفاة على شـواهد القبـور أو نحوها من الآثار المعمارية (٣) ٠

وعندئذ تتحول النقوش المسجلة على تلك الآثار المعمارية إلى مادة هامة بالنسبة لعالِم التاريخ الذى يستعين بها فى تحرير مادته العلمية ٠وقد تبدو أهمية مثل هذه النقونش من ناحية ما تعقده من الصلة بين رواة الآثار الأدبية وعلمـاء الآثار والكشوف التاريخية ، لأنها حينئذ تلقى الضوء أمام العالم الأثرى على سر هذه الآثار ، وبخاصة عندما تتحول أمامه الى لغز غامض لا ينطق إلا بلسان الرواية ٠

ومن هنا كان توثيق أبى الفـرج الأصفهانى لمثـل هـذه الآثار حين اتخذها مصادر لكتابه (أدب الغرباء)٠

---

(١) المغرب فى حلى المغرب : ٢ / ٣٨٢ ترجمة رقم : ٥٨٦ (بتحقيق الدكتور شوقى ضيف) ط دار المعارف ٠

(٢) انظر : نفح الطيب : ٢ /٢٨١ ، ٨ / ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

(٣) انظـر مثـلا لذلك فى ترجمة ابن الخياط (أحـد علمـاء الأندلس ت ٥٠٠ هـ) فى التكملة لكتاب الصلة ١ / ٢٧٣ حيث ينقل تاريخ وفاته من لوحـة على قبره ٠

الفصل السابع

الوراقة والوراقون

كانت الوراقةُ حرفةً وثيقةَ الصلة بالفكر فى أوسع مجالاته ، وكانت الحرفة التى تتولى نسخ الكتب واخراجها على أحسن صورة ممكنة ، فهى حرفة (صناعة الكتاب) تقابل – فى عصرنا الحديث حرفة الطباعة وما قد يرتبط بها من تجليد ، واتجار ٠

وكما تجرى اليوم عادة الدارسين للأدب العربى المعاصر فى الحديث عن الطباعة، والنهضة الطباعية، ويخصون مطبعة بولاق مثلا بحديث طويل، فإنه لاينبغى لدارس التراث الفكرى قديما أن يهمل موضوع الوراقة : فصناعة الكتاب موضوع لا يمكن فصله عن قضية الفكر والثقافة ٠

وإذا كنا فى مطالع القرن العشرين بالذات قد شهدنا فريقا من رجالات الفكر العربى ينشئون المطابع ودور النشر، كما فعل جورجى زيدان ويعقوب صروف ورشيد رضا ، ومنير الدمشقى والزيات وأحمد أمين وسواهم ، فقد رأينا قديما وراقين كانوا من أئمة الفكر وحفظته القائمين به ، ودافع رجال الفكر – فى القديم والحديث – دافع واحد – هو الإشراف المباشر على صناعة الكتاب ، وتوجيه الكلمة المقروءة ، حتى لا يتدنى الفكر إلى مهاوى السلعة ، يحتكره التجار، وتتحكم فيه أهواء المادة ٠ وفى دراستنا هذه سوف نحاول أبراز عنصر الصلة بين الرواية والوراقة : كيف اشتغل الرواة بالوراقة ، وكيف أعانت الوراقة الرواية

على أداء رسالتها ، بقدر ما أمدتها الرواية بتقاليد حفظت عليهـا دورها ٠

وتشـــير الدلائل إلى أن كبار العلمـاء والرواة ، قـد اضطروا إلى اتخاذهم للوراقين المختصين بهم ، وذلك أمر بديهى ٠ فالعالم مضطر إلى التفرغ لمهمته الأصلية ، وهى القراءة والبحث والتأليف ، ثم إن تهافت الناس على كتبه ، وحرصهم على اقتنائها وتداولها ،يجعل من المحتم الاجتهاد فى نسخها ، وحسن إخراجها ، وفاءً بمطالب أهل الفكر ، وطلاب التحصيل ٠ ومن العلماء الذين اتخذوا لهم الوراقين قبل القرن الرابع : الجاحظ (١) ، ووراقه الذى اختص به هو (زكريا بن يحيى) (٢) كما اتخذ المبرِّد لنفسه جماعة مـن الوراقين كانوا فى الوقت ذاته رواة له ، وقـد ذكـر ابن النديم من بينهـــم :
ابن الزجّاجى (٣) والسّاسى (٤) ٠

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ ، صـاحب البيان والتبيين (ت ٢٥٥ هـ) ٠

(٢) معجم الأدباء : ١٦ / ١٠٦ ولم يترجم له ياقوت ، وانمـا ذكـره عَرَضـا فى معـرض الرواية عنه ، ولم نعثر له على ترجمة ٠ وورد ذكـره مرة واحدة فى خلال اسناد لأبى على القالى فى أماليه ، وهو يروى قصيدة لحميـد بن ثـور الهـلالى ، وأورده على أنـه (ابن زكـريا الوراق وليس (زكريا بن يحيى) (أمالى القالى : ١ / ٢٤٨) (ط دار الكتب) ٠

(٣) الفهرست : ٨٩ (ط التجارية) ٠

(٤) نفس المرجع والموضـــع : ذكر ابن النديم كلا من ابن الزجاجى والساسى عقب ترجمته للمبرد : فابن الزجاجى اسمه اسماعيل بن أحمـد والســاسى اسمه ابراهيم بن محمـد ، وذكـر القفطى ابراهيم بـن محمـد (انباه : ١/١٩٧٦) مترجم له بسطر واحد ، وذكر أنه فى طبقة المبـرد وبأنه لم يشتهر شهرة المبرد ، أما الآخر فهو اسـماعيل بن أحمـد ترجم له القفطى أيضا فى انباه الرواة (١ / ١٩١) فى نحو سطر ونصف السطر ، ووصفه بنفس الوصف وزاد « ولم يشتهر شهرته » أى شـهرة المبرد ، وفى الترجمتين -- كلتيهما – لم يذكر كونهما من الوراقين للمبرد ٠وعـدا هؤلاء ذكر السيوطى (رفيع بن ســلمه المعروف بدماذ) وكان كاتب أبى عبيدة ، وفى نفس الوقت « أوثق الناس عنه » (بغية الوعاة : ١ / ٥٦٨) ٠

كان هذا فى القرن الثالث، أما فى القرن الرابع وما بعده، فالظاهرة ذاتها ما تزال تطالعنا : إذ يتخذ فريق من أئمة الرواة وراقين ، نورد فيما يلى ذكرا لبعضهم :

١ - فابن أخى الشافعى (١) كان وراق الجهشيارى(٢)

٢ - وإسحاق بن الجنيد البزاز البصرى ، كان وراق ابن دريد،واشتهر بهذه الصفة ولُقِّب أيضا بالدُّريدى مؤكدا بنسبته تلك صلته بابن دريد (٣) ·

٣ - وأبو اسحاق بن صالح الوراق · كان يورّق للجوهرى (٤) ·

٤ - ومحمد بن الحسين الفِهْرى كان ورّاق أبى على القالى (٥) ·

ومن المسلم به - بداهة - أن هؤلاء الوراقين المختصين بأئمة الرواة · لم يكونوا مجرد نساخ أو صناع ، وإنما كانوا من الرواة العلماء ، وكان لاتصافهم بالرواية والعلم أثر فى احترافهم للوراقة ، وما حازوه من ثقة شيوخهم ، فعهد اليهم بالتوريق لهم ، وهو عمل يتطلب عالما يقدر قيمة العلم ، بقدر ما يحس بمسئولياته وتبعاته ·

---

(١) أحمد بن أخى الشافعى ، وانظر ترجمته فى معجم الأدباء : ٢ / ١٣٧ ·

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى المتوفى ٣٣١ هـ صاحب كتاب الوزراء ·
وانظر ترجمته فى (معجم الأدباء : ٢ / ١٣٧ وبروكلمان : ٣ / ٥٥)

(٣) انباه الرواة : ١ / ٢٢٠ ، ولقبه ياقوت بالدريدى ، وانظر معجم الأدباء : ١٢ / ٢٢٣ والفهرست : ٩١ ·

(٤) انباه الرواة : ١ / ١٦٩ ، ١ / ١٩٧ ·

(٥) التكملة لابن الأبار : ٣٧١/١ ، وذكر ابن الأبارأنه من اهل قرطبة ولم يذكر له تاريخ وفاة ·

دليلنا على هذا الحكم نوجزه فيما يلى :

١ ـ الوصف الذى اقترن به ذكر الوراقين فى معرض الترجمة لهم ، مثل :

(كان متفننا عالما ، فاضلا غزير الفقه والنحو واللغة والحديث والأدب وعلم الوراقة) (١) ومثل (كان من أهل المعرفة والتصرف فى علم العربية والأدب واللغة مشاركا فى غير ذلك بارع الخط ، حسن الوراقة) (٢) ٠

٢ ـ أن هؤلاء الوراقين ـ وبخاصة من تقدم ذكرهم ـ كانوا رواة لشيوخهم الذين احترفوا لديهم التوريق ، فالفِهْرى ورّاق القالى كان من رواة أبى على ، والدريدى وراق ابن دريد ، كان أيضا راوية له ، ونجد ابن النديم فى الفهرست يروى عنه أخبار ابن دريد (٣) ٠

٣ ـ أن وراقى الرواة ، ممن ذكرناهم ، قد اضطلع بعضهم بانجاز مؤلفات شيخه بعد وفاته ، إما بالتكملة إذا كان الشيخ قد ترك النسخة ناقصة (٤) ، وإما بالتبييض لمسوّدات الشيخ الذى مات دون أن يبيضها (٥) ٠ ولا شك أن العملين كليهما لا يستهان بهما ، وإنما يتطلبان علما ، وتحقيقا : فوراق أبى على القالى قد (نسخ ما لم يهذب أبو على من تأليفه الذى سماه « البارع » ،وهذب من أصول الكتاب ما لم يهذب المؤلف (٦) والجوهرى مات وقد بقى

---

(١) بغية الوعاة : ٢ / ٧٧ ٠

(٣) بغية الوعاة : ١ / ١١

(٢) الفهرست ٩١ / ٩٢

(٤) إنباه الرواة : ٣ / ٦٤ وانظر التكملة لابن الأبار : ١ / ٣٧١ ٠

(٥) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء (للكمال بن الأنبارى) ص ٣٤٤ ٠ ص٣٤٦ ٠

(٦) إنباه الرواة : ٣ / ٦٤ والتكملة : ١ / ٣٧١ ٠

كتابه « الصحاح » غير منقح ، ولا مبيض ، فبيضه وراقه المختص به (١) ٠

وكما عرف تاريخ الرواية الأدبية (الوراقين المختصين بالعلماء) ، فقد عرف تاريخ الرواية (علماء وأدباء محترفين للوراقة) ، اتخذوها حرفة يقتاتون منها ، ويمارسون الى جانبها نشاطهم الأدبى والعلمى الجليل ٠

فمن هؤلاء الوراقين الأدباء أبو حيان التوحيدى (ت ٣٨٠ هـ) وكان ـ كما وصفه ياقوت الحموى ـ (متفننا فى جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام) (٢) كما وصفه ياقوت فى نفس الوقت بأنه (واسع الدراية والرواية) (٣) ٠

وقد كان أبو حيان التوحيدى يقتات من حرفة الوراقة ، ويستفاد من أخباره مع الصاحب بن عباد عندما قصده ، أنه كان دائم الشكوى من مهنته الشاقة ، برما بها ، ساخطا عليها حتى قال : (انما توجهت من العراق الى هذا الباب ، وزاحمت منتجعى هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم (فان الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة) (٤) ٠

أما (الوراقون العلماء) فيقف فى مقدمتهم اثنان من أنبغ من خرجتهم الرواية ، وأنجبهم الفكر الاسلامى : الأول هو ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) صاحب كتاب الفهرست والثانى هو ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) صاحب (معجم الأدباء) و (معجم البلدان) ٠

---

(١) نزهة الألبا : ص ٣٤٤ ، ٣٤٤٦ ٠
(٢) معجم الأدباء : ١٥ / ٥
(٣) نفس المرجـع ٠
(٤) معجم الأدباء : ١٥ / ٢٨ ٠

وقد ذكروا ابن النديم ، وذكروا أنه كان وراقا ٠وتصفه بعض الكتب بأنه كان كاتبا ، وكلتا الحرفتين ، أعانتا ابن النديم على تأليف كتابه الفهرست وقد اشتهرت الوراقة فى عصر ابن النديم شهرة ذائعة ، والكتب التى نقلت فى عصره يدل جودة تصحيحها ، والعناية بها على مبلغ رقى هذه الصناعة (١) ٠

أما ياقوت الحموى ،فقد خلف ــ من اشتغاله بالوراقة ــ مكتبة كبيرة انتفع بها ابن الأثير صاحب كتاب الكامل فى التاريخ (٢) ٠

ولقد كان لاشتغال العلماء بالوراقة ، أثر بالغ فى إمداد هذه الحرفة بضمانات التوثيق ، حتى صارت الوراقة علما (٣) ، وليست مجرد حرفة ، واستطاعت أن تقوم بدور (الرواية) فى إمدادنا بهذا الفيض الزاخر من الكتب مضبوطة وموثقة ٠

ولا نتصور بسط حديثنا عن الوراقة ، واعطاء صورة متكاملة تستقيم بها أبعاد هذا الفن ، دون أن نوضح (قيمة الخط) فى حد ذاته ، وما كان يوصف به الخط ، على سبيل الإطراء ، وأيضا على سبيل التوثيق ٠

فالإشارات التى لا حصر لها فى الكتب فى وصف الخطوط : أعنى خطوط العلماء ، تدل على مدى الأثر الذى أحدثته الرواية فى الخط العربى ، حين تبنت الرواية

---

(١) الفهرست : مقدمة الناشر ٠

(٢) نفسه ٠

(٣) بغية الوعاة : ٢ / ٧٧ فى وصف السيوطى لعبد الرحمن بن المنذر المتوفى ٥٦٨ هـ وكان قاضى الإسكندرية وعالما بالحديث والأدب ٠
= وانظر أبياتا فى شكوى الوراقين من حرفتهم لابن سارة الاشبيلى (ت بعد ٥٠٠ هـ) فى خريدة القصر (قسم المغرب والأندلس) ٢ / ٣١٥ (ط تونس)

رعايته وتهيئته للدور الذى اضطلع به لحفظ وتوثيق التراث الاســلامى وتوثيقه .

فنحن نعثر على عدد من الصفات مثل :

(حســن الخــط والــرواية) (١)
(حســن الضــبط لمــا يكتبــه) (٢)
(وكان خطه خطا قاعدا عاقلا بين الخطوط
كثير الضبط ، غــاية فى التحقيق والتنقيب
والتصــحيح) (٣)
(معنيــا بالرواية وحســن الخــط) (٤)
(صــاحب الخط المعــروف بالصحــة) (٥)
المشهور بإتقــان الضبط وحسن الشــكل) (٦)
(وخطــه مرغوب فيه لحســنه وضبطه) (٧)

فإذا ما أضفنا ما سبق القول به بشأن الخليفة الأموى الحكم المستنصر من أن (خطه حجة عند أهل العلم لأنه كان عالما ثبتا) (٨) أدركنا الارتباط الوثيق بين الرواية والخط، وأدركنا كيف تحول الخط بعد تقدمه وتفوق وسائله وتقدم صناعة الورق (٩) ، إلى أداة للرواية بل نمط من أنماطها .

لقد كانت صفة (الضبط) ملازمة لصــفة (الحُسْــن) والأولى تمثل العلم ،والثانية ، مظهر للفن والجمال ،والجمع

---

(١) نفح الطيب : ٢ / ١٣٧ .
(٢) انباه الرواة : ٢ / ٧٧ .
(٣) انباه الرواة : ٢ / ٣٤٣ .
(٤) انباه الرواة : ٣ / ٦٣ .
(٥) التكملة لابن الأبار : ١ / ٢٧٤ .
(٦) معجم الادباء : ١٤ / ١٥٣ .
(٧) وفيات الأعيان : ١ / ٢١٣ .
(٨) بغية الملتمس : ١٤٨ .
(٩) انظــر : الطاهر أحمد مكى : دراســة فى مصــادر الأدب :ـ ١ / ٧٦ وما بعدها (ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٨ م) .

بينهما شيء محمود ومرغوب ، لكن الضبط ،وما يرادفه من (صحة) ينبغي أن يكون متقدما على (الحسن) فى صفة الخطـوط ، حتى قالوا فيمـا يجب أن يكون عليه الناسـخ (لا يهتم المشتغل بالمبـالغة فى حسن الخط ، وانما يهتـم بصحته وتصحيحه) (١) ٠

ولو أن العالم لم يوهَب جمالَ الخط ، فلا أقل من أن تتوافر فيه صفة (الضبط والصحة والدقة) ٠ لهذا نعثر على مثل قولهم فى وصـف خـط العـالم (وله خـط ليس بالجيد فى الصورة ، وهو فى غاية الصحة) (٢) ٠

وظل هـذا الوصف للخطوط ، ومراعاة الدقة والضبط فيها ، دأب العلمـاء وشاغلهم حتى نهاية القرن العاشـر الهجرى على الأقل (٣) ٠

ولقد أدرك ابن خلدون الارتبـاط الوثيق بين الوراقـة والرواية ، ودور الرواية فى الارتفـاع بمستوى هذا الفن الى آفاق العلم والتحقيق ، فقال فى وصـف حركة النسـخ فى عهده (٤) (وقفت غاية أهل العلوم وهم أهل العدل على ضبط الدواوين العلمية وتصـحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيهـا ، لأنه الشـأن الأهم من التصـحيح والضبط ، فبذلك تسـنَد الأقوالُ الى قائلها ، والفتيـا الى الحاكم بها ، والمجتهد فى طريق اسـتنباطها ، وما لم يكن بتصحيح المتون باسنادها الى مدونها ، فلا يصح إسـناد قول لهم ولا فُتيا) (٥) ٠

---

(١) العلموى : المعيد فى أدب المفيد والمستفيد : ١٣٣ ٠
(٢) وفيات الأعيان : ٤ / ٧٣ ٠
(٣) يؤيد ذلك نص العلموى المتقدم ٠
وانظـــر فى (ثقافـة النســـاخ) ما أورده النويرى فى نهاية الأدب
(٤) ى خلال القرن الثامن الهجرى ٠
(٥) مقدمة بن خلدون : ٤٢١ ٠

ويقول فى موضع آخر (ولم تبق ثمرة الرواية والأشغال بها إلا فى تصحيح تلك الأمهات الحديثية وسواها من كتب الفقــه للفُتيــا ، وغير ذلك من الدواوين والتآليف العلمية ، والاتصال سندها بمؤلفيهــا ، ليصــح النقل عنهم وإسنادها إليهم) (١) .

وهــذان النصّان يســجلان لنا كيف امتزجت الوراقــة بالرواية روحا وتقليدا ، وكيف تحولت إلى ثمرة من ثمارها، ثم الدور الذى لعبته فى سبيل الحفاظ على الفكر الإسلامى ، وبخاصة فى مجال الحديث والعلوم الدينية .

وإذا كانت الوراقة، وقد أفادت من الرواية ، وعملت على اتصال الأسانيد التى هى (أنساب الكتب) ، بالإضافة إلى التصحيح والضبط ، فقد كانت العامل الأساسى فى ترويج الكتاب ، وتناقله ، وإذاعته ، وبالتالى ، طرح محتواه فى مجــال التداول والتحصيل ، ودفعت النــاس إلى التنافس على شــرائه ولو بأغلى الأثمــان ، حتى قيــل (إن محمــد بن إسحاق الزّوزنى قد بيعت (له) (٢) نسخة من يتيمة الدهر للثعالبى ، كان قد نسخها بثلاثين دينارا نيسابورية ، وكانت تساوى أكثر من ذلك (٣) .

ـ كذلك كان من التقاليد التى أحاطت الرواية بهــا علم

---

(١) مقدمة بن خلدون : ٤٢١ .

(٢) زيادة ليست فى النص ، لتوضيح السياق .

(٣) انباه الرواة : ٣/ ٦٦ ، ٦٧ .

وانظر نصا آخر للعكبرى (ت ٤٢٨ هـ) حيث قال عن نفسه (كسبت فى الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت اشترى كاغدا بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبى فى ثلاث ليال وأبيعه بمائتى درهم ، وأقله بمائة وخمسين درهما (شذرات الذهب : ٣/ ٢٤٢ عام ٤٢٨ فى ترجمة العكبرى) .

الوراقة ، ألا يتم نسخ إلا بأذن خاص من مؤلفه ، أو راويه، أو صاحبه · يقول العلموى من علماء القرن العاشر الهجرى (ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه فإن كان الكتاب وقفا على من ينتفع به غير معين ، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط) (١) ·

ومعنى ذلك أن علماء المسلمين قد قرروا ما سبقوا به تقاليد عصرنا من مبدأ (حفظ حق التأليف)

كذلك كان لابد للناسخ من أن يقوم بمقابلة ما نسخه على الأصل الذى نقل عنه ، ضمانا للدقة ، ودفعا لاحتمالات السهو والغلط ، ولا بد أن يكون هذا الأصل صحيحا موثوقا به (٢) فإذا لم تتيسر المقابلة على كتاب موثوق به ، فليكن تصحيحه وتوثيقه بطريق (العرض على العلماء الثقات) وينبغى له فى هذا الحال (أن يُعْجِمَ المعجم ، ويشكل المشكل ، ويضبط المتلبس ، ويتفقد مواضع التصحيف (٣)

ومن دلائل ارتباط (الوراقة) بالعلم والتحقيق ما نجده لدى النويرى (٤) (ت ٧٢٢ هـ) أحد الأدباء العلماء فى القرن الثامن الهجرى ، من ذكر أوجه الثقافات المختلفة التى ينبغى أن يتزود بها المتصدون لنسخ كتب الأدب والعلوم واهمها :

أ – وجوب معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء : ذلك (أن

---

(١) أى : من الكتاب ·

(٢) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ١٣١ ·

(٣) المعيد فى أدب المفيد والمستفيد ١٣٥ ·

(٤) أبو العباس شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب احد رجال الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى نظارة الجيش فى طرابلس واشتهر بموسوعته (نهاية الأرب) ع الدرر الكامنة) ١/٥٠٦) ·

الناسخ يحتاج إلى ضبط ما يرد عليه من هذه الأسماء وأمثالها وتقييدها والاشارة اليها (١) .

ب - أن من ينسخ العلوم ، كالفقه واللغة العربية والأصول وغير ذلك فالأولى له والأشبه به ، ألا يتقدم إلى كتابة شيء منها إلا بعد اطلاعه على ذلك الفن وقراءته وتكرار ذلك ليسلم من الغلط والتحريف والتبديل والتصحيف (٢)

جـ - أما من يتصدى لنسخ التاريخ ، فإنه يحتاج إلى معرفة أسماء الملوك وألقابهم ونعوتهم وكناهم ، خصوصا أصحاب الأسماء الأجنبية كالعجم والترك والتتار ، (فإن غالب أسمائهم لا تفهم إلا بالنقل ، ويحتاج الناسخ إذا كتبها إلى تقييدها بضوابط وإشارات وتنبيهات تدل عليها . مثل أسماء الرجال وأسماء الأماكن من (المدن والبلاد والقرى والقلاع والأقاليم (٣) .

د - أما ناسخ الشعر ، فيكون ملما بأوزانه ، حتى لا يحرف الأبيات عن أعاريضها ، كما يحتاج إلى معرفة العربية .. ليقيم البيت الذى أشكل عليه (٤) . ولقد كان الكتاب الواحد تتعدد نسخه ، وتكثر كثرة بالغة ، وتطير فى الآفاق فى جعبة الرحالة ، والمنتسخين : فيحدثنا ياقوت الحموى - مثلا - أنه رأى كتاب (دلائل النبوة) للجاحظ (نحو مائة نسخة أو أكثر (٥) ، وأن الميدانى كتب من المقامات نسخا كثيرة موجودة فى أيدى الناس (٦) .

---

(١) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٤ (ط دار الكتب) .
(٢) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٤ .
(٣) نهاية الأرب : ٩ / ٢١٧ .
(٤) نهاية الأرب ٩ / ٢١٧ .
(٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء : ١٠١/١٦ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١ / ١٣١ .

ثم تطالعنا به الأخبار بشأن المكتبات : إذ كانت مكتبة القاضى الفاضل (ت ٥٩٢ هـ) تضم مائة ألف كتاب ، فمن الصّحَاح للجَوهرى ثمانىَ عشرةَ نسخةً ، ومن حماسة أبى تمام خمسة وثلاثون نسخة ٠ وأن القاضى الفاضل ، كان يقتنى الكتب من كل فن ، ويجتلبها من كل جهة ، وله نُسّاخ لا يفترُون ، ومجلّدون لا يَسأمون) (١) ٠

كما يقرر عبد اللطيف البَغدادى - الرحّالة - رواية منه عن بعض خَدم القاضى الفاضل - أن عدد كتبه قد بلغ مائة ألف كتاب وأربعة عشر ألف كتاب ، هذا قبل أن يموت بعشرين سنة (٢) ٠

كما تدل أخبار أخرى بشأن (مكتبة القاضى الفاضل) على درايته بخطوط العلماء ومشاهير الخطاطين والمنتسخين التى تميزت خصائصها وتباينت أشكالها وأنماطها (٣) ٠

ومن خلال هذه الكثرة من الكتب ، وهذه المقدرة على نشرها يمكننا أن ندرك الأثر الذى أحدثته الوراقة فى تنشيط الحركة العلمية ونمو حركة التأليف العلمى ، وظهور العلماء ، وحفظة التراث الإسلامى من عوادى البِلى والضّياع ٠

---

(١) شذرات الذهب : ٣ / ٣٢٥ عام ٥٩٢ هـ ٠
(٢) شذرات الذهب : ٣ / ٣٢٥ عام ٤٩٢ هـ ٠
(٣) شذرات الذهب : ٣ / ٣٢٥ عام ٥٩٢ هـ ٠

الفصل الثامن

التصحيف والتحريف

موضـوع التصحيف والتحريف ، من أهم الموضـوعات التى شـغلت أهـل الرواية سـواء فى السنة أو فى الأثـار الأدبية ، فأفردوا له الكتب أو الحقوا بكتبهم فصولا تتضمنه وتفيض أو توجز الحديث فيه ٠

وكلمة (التصحيف) اصطلاح عند أهل الرواية ، مأخوذ من كلمة (الصحف) ٠ ومعنى التصحيف الخطأ الناجم عن نقل الرواية من الصحف مباشـرة ودون السـماع من الرواة الثقـات ٠

والخطأ فى هذه الحال يكون ناجما عن أمرين :

الأول : نقـط الحروف ٠

الثانى : التشابه بينها فى الشكل ٠

وعلى سـبيل المثال ، نقول : ان كلمة رجل هـكذا بالجيم المنقوطة قـد تحـرف فى النص الى (رَحْـل) بالحاء المهملة الساكنة ، أو بالحاء المهملة المتحركة بالفتح فهى فى الاولى اسم وفى الثانية فعل ٠

كمـا أن الراء فى الكلمة ذاتهـا قد تحـرف الى (دال) وتحرف الحاء المهملة أو الجيم المعجمة الى (خاء) معجمة، لتدل على معنى آخر ٠٠ وهكذا ٠ ومثل ذلك كلمة (شـاب) بالشين المعجمة ، فقد تقرأ بإهمال (السين) بل قد تحرف

الكلمة برمتها من (شابٌّ) وهو اسم من الشباب الى (شابَ) وهو فعل من الشيب . وهكذا .

ولو ذهبنا نستقرىء الصور التى يمكن أن تخرج إليها الكلمة وهى محرفة مع ما يستتبع ذلك من تجاوزها للمعنى، وخروجها عنه ، لأمكننا أن نصادف كلمات يمكن أن تتعدد فيها الصور المحرفة إلى العشرات من الكلمات كما نبه إلى ذلك حمزة الأصفهانى (١)

وعندما نستعرض ظاهرة التصحيف فى المراجع العربية المختلفة يستوقفنا ما يلى :

١ - أن هذه الظاهرة تبلغ من الخطورة حدا جعل التورط فيها أمرا لم يكد ينجو منه عالم ، بالغا ما بلغ مكانةً ومقدرة ،ويظهر لنا ذلك جليا مما استدركه أبو أحمدالعسكرى (ت ٣٨٢ هـ) على أشياخ الرواية لا يُستثنى منهم الأئمةُ من الطبقة الأولى أمثال أبى عبيدة والأصمعى بل وأمثال : الخليل بن أحمد وأبى عمرو بن العلاء .

٢ - أن التورط فى التصحيف ، لم يقف عند حدود الشعر ، وسائر الآثار الأدبية ، بل تجاوزه إلى السُّنة ، سواء منها الأحاديث الشريفة أو اسماء رواة السنة ممن تتشابه أسماؤهم ، تشابها يؤدى إلى التحريف (٢) .

٣ - أجمع الأئمةالمتحققون، أن السببفىالوقوع فىخطأ التصحيف والتحريف إنما هو التعويل على الصُّحُف دون الاعتماد على (السماع) من ثقات الرجال .

لكنهم قلما تنبهوا إلى أن هذا الخطأ كما يقع فى القراءة، وبخاصة تلك التى لا يسبقها سماع ، قد يقع أيضا أثناء

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف (بتحقيق محمد أسعد طلس) ط مجمع اللغة العربية / دمشق ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) ص ٢٨ .

(٢) الباعث الحثيث (ط صبيح) : المرحوم أحمد شاكر : ص ١٧٢ .

السماع والرواية ، بدليل أن هذا الاســم (عاصم الأحول) قد حرفه بعضهم عند السماع له إلى (عن واصل الأحدب)(١) وكان لقلة من الرواة الفضــل فى التنبيه إلى هــذا النــوع من الغلط ، منهم الدارَقُطنى وابن الصلاح (٢) ٠

ودرس التحــريف ، مع اتصاله بالرواية ، هو من جهــة أخرى موضوع من موضوعات علم الخط العربى ، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة فريق من المستشرقين حديثا ٠ وقلة مــن الدارسين قديما (٣) ٠

يقول : بر جستراسر (٤) ٠

(ودرس التحريف موضــوع من موضــوعات علم الخط العربى ولا أعنى علم تاريخ الخط العربى ، على اعتبار أنه أحد الفنون الجميلة فى الشرق ، ولا من جهة كونه مستعملا فى النقوش (Epigraphy) ونحوها وإنما أعنى تاريخ الخط العربى المستعمل فى الكتب ، وهو موضــوع يلق من عناية الباحثين إلا القدر اليسير) (٥) ٠

وقد شــهد القرن الرابع بالذات عناية خاصــة بقضــية التصحيف ، تتمثل فى عديد من الكتب المتخصصة ، مما لم يؤثر مثلها قبل القرن الرابع ومن أهم هذه الكتب :

---

(١) الباعث الحثيث : ص ١٧٢ ٠

(٢) الباعث الحثيث : ص ١٧٣ ٠

(٣) منهم حمزة الأصفهانى ، كما سيرد التفصيل ٠

(٤) مستشرق ألمانى ، وأستاذ بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة فى العام الجامعى ١٩٣١ / ١٩٣٢ م ٠

(٥) أصول نقد النصوص ونشر الكتب نشرته (دار الكتب المصرية ١٦٦٩) عن مركز تحقيق التراث بها ٠

وانظر فى موضوع الخط العربى : الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسة فى مصادر الأدب ص ٣٦ ـ ٧١ ٠

١ ـ كتاب لأبى مسلم بن حِنْزابة (ت ٣٩٩ هـ) وزير كافور الإخشيدى وصاحب ابن دريد ، جمع فيه مجالس لعلماء اللغة والأدب ، كانوا قد عقدوها بمشهد من الأمراء والأعيان ، وفى حلقات الرواية والدرس نبهوا فيها على أغلاط معاصريهم ، وكان أبو مسلم فى عرض هذه الأوهام بعيدا عن التجريح ، بعيداً عن المناقشة ، وإبداء الرأى ، مكتفيا بالسرد والرواية (١) ٠

٢ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى (٢) ٠

٣ ـ التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى (٣) ٠

٤ ـ التصحيف لأبى الحسن بن عمر الدراقطنى المحدث (ت ٣٨٥ هـ) (٤) ٠

٥ ـ التنبيهات لعلى بن حمزة البصرى (٥) ٠

وإزاء هذه الكثرة من كتب التصحيف والتحريف ، والتى اختص القرن الرابع بها دون غيره من القرون الأخرى (٦) نستطيع أن ندرك مدى عناية أهل المائة الرابعة من الرواة

---

(١) انفرد بذكره العلامة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وأشار الى أن منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ولكنها ناقصة ٠ وانظر : مقدمة الميمنى على تنبيهات أبى حمزة البصرى (ط دار المعارف) ٠

(٢) نشره (عبد العزيز أحمد) بدار مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٩٥٣ م ٠

(٣) نشره مجمع دمشق بتحقيق محمد أسعد طلّس ١٩٦٨ م (سبق) ٠

(٤) سركيس : معجم المؤلفين : ٧ / ١٥٧ ٠

(٥) نشرته (دار المعارف بمصر) (نسخة بدون تاريخ) مع كتاب المنقوص والممدود للفراء فى نسخة واحدة بتحقيق العلامة عبد العزيز الميمنى وانظر كشف الظنون : ١ / ٤١١ ٠

(٦) وانظر : كشف الظنون : ١ / ٤١١ ـ ٤١٥ ٠

بظاهـرة ضبط وتصـحيح الآثار وبالتـالى مـدى العناية بالسماع وهو - أساسا - روح الرواية . وجوهرها . وأهم تقاليدها مما يمكـن القول معـه بأن (الضبط والتصحيح) كان أحد الظواهر اللافتة فى رواة هذه الحقبة الزاهرة من حقب الرواية الأدبية .

أ - حمزة الأصفهانى : (٢٨٠ هـ - ٣٥٠ هـ)

أبو عبد الله حمزة بن الحسن (أو الحسين) الأصفهانى وهو ، كما سبق أن ذكرنا أحـد صُنّاع الدواوين ، وله فيها نهج سبق أن ذكرناه فى موضعه ، وهو ترتيب القصـائد الشعرية فى الديوان حسـب الأغراض ومن ذلك الديوان الذى صنعه لآثار أبى نواس (١) .

وقد كان حمزة الأصفهانى يعتمد - أحيانا - فى صنعة الدواوين على الرحلة، والمصادر الحية ممثلة فى الأخذ من أفواه الثقات، كما فعل بديوان أبى نواس المتقدم حيث قيم مرارا إلى بغداد ، باحثا عن المواد التى يجمعها لديوانه ، وكان قدومه للمرة الثانية إلى بغداد ٣٢٣ هـ وفى (٢) بلده أصبهان تمم واحدا من أهم كتبه ، وهو كتابه فى (تاريخ أصفهان) (٣) وقد عده بعض الباحثين من الشعوبية (٤) .

ويمثـل أبو حمـزة الطابع الفكـرى الذى تميز به رواة وعلماء القرن الرابع ، وهو الموسوعية والخوض فى كل فن ، ويبدو أن ذلك لم يكن طابع الفكر فى بلاد فـارس ، بدليل مـا يذكـره القفطى مـن أن قومـه كانوا يلقبونه (بائـع

---

(١) مضى ذلك فى الحديث عن الدواوين الشعرية .
(٢) بروكلمان : ٣ / ٦٠ ؛
(٣) بروكلمان : ٣ / ٦٠ .
(٤) منهم بروكلمان وانظر كتابه السابق ٣ / ٦٠ .

الهذيان) (١) إلا أن القفطى الذى نقل هذا الاتهام قد دافع عن حمزة ، ونفى ما رماه قومه به فقال : (وما الأمر والله، كما قالوا ، ومن جهل شيئا عاداه) (٢) ٠

وأبو حمزة الأصفهانى يمثل نموذجا أكثر تحررا ، وأميل إلى الأصـالة والتفرد فى كثير مـن اتجاهاته العلمية التى تمثلت فى كتبه وجهوده، ومنها (التنبيه على حدوث التصحيف) وجهوده فى جمع الدواوين وأسلوبه فى وضع القصائد فى ترتيب خـاص ٠

التنبيه على حدوث التصحيف :

ومن أول ما يلفت انتباه الباحث فى هـذا الكتاب ، وهو يتناول موضـوع التصحيف فى العـربية ، تناوله قضـية (الخط العربى) فى وعى فكرى ، يدل عليه أسلوب التناول ، وذلك من وجهين :

أولا : رفضه الأخبار الأسطورية بشأن أول من استخدم الحروف العربية، وكتب بها وهو أمـر وثيق الصلة بتاريخ الخـط العـربى ٠

ثانيا : ربطه بين قضية التصحيف وقضية الخط العربى، وإدراكه للاتصـال بينهما ، بحيث لاينبغى أن تناقش مسألة التصحيف فى ظل الرواية معزولة عن مسألة الخط العربى وطبيعته : فأما عن الأمر الأول ٠ فقد رفض حمزة المزاعم

---

(١) انباه الرواة : ١ / ٣٦٦ ، وانظر مقدمة كتابه تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء (ط بيروت) ص ٥ ٠

(٢) انباه الرواة : ١ / ٣٦٦ ٠

وانظر بحثا قيما عن حمزة الأصفهانى واشارات الى مراجع مفيدة عنه فى : الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة (دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم : ٤٦) لحمزة الأصبهانى مقدمة الناشر عبد المجيد قطامش للجزء الأول من الكتاب (ص ١ - ص ٣٢) ٠

التى تداولها الأخباريون والتى تقول : (إن أول من وضع الكتابة العربية قومٌ من الأوائل نزلوا فى (عدنان بن أدّين أبن أدد) ٠٠ وأن هؤلاء (وضعوا هذه الكتابة على عدد حروف أسمائهم ، وكانوا سبعة نفر ، وأساؤهم : أبجد ، هوز ، حطى كلمن ٠٠٠) (١)

أ ــ وعند مناقشة حمزة لهذا التفسير الأسطورى ، استعان بمعرفته بلغات أخرى عدا العربية كالسُّريانية والعِبرانية (وقد بقى استعمال ذلك عند الإسرائيليين من اليهود ، والنصارى ، يدرّسونه الصبيان فى الكنائس ، فيقولون عند تعلمهم العبرانية : ألف ــ باء ــ) إذن فهذه الحروف نفسها موجودة فى لغات أخرى ٠

ب ــ كذلك رفض حمزة هذا التفسير ، على اعتبار أن أصول الهجاء العربى ليست مرتبة على (أبجد هوز) بل هى مرتبة على نسق آخر هو (أ ب ت ث ج ٠٠٠) وانما الذى استخدم (أبجد هوز ٠٠) هو أهل اللغة السريانية ، وليس العرب ٠(٢)

جـ ــ لاحظ حمزة أيضا هذه الأخبار فى سندها ، فرأى أن راويها هو خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) وهو كما رآه حمزة (كان يولد الأخبار على الأمم الذين بادوا كعاد وثمود وطسم وجديس وأضرابهم ٠٠ وهذا الرجل هو الذى ادعى على آدم ــ عليه السلام ــ أنه كان شاعرا ٠٠)٠ (٣)

ولقد رفض حمزة الأصفهانى كل الروايات التى حاولت أن تذكر أول من وضع الكتابة العربية ، والخط العربى وان لم ينف ــ أساسا ــ وجود كتابة عربية قبل الاسلام ٠

وقد صدر الرجل فى عرضه لنشأة الخط العربى عن ثقافة واسعة وفكر مستنير يرفض الخرافة تفسيرا للظواهر

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ص ٢٦ (٢) نفسه
(٣) نفسه

الحضارية ذات الصلة الوثيقة بالكيان الإنسانى ووجوده ، وامتداده ، وناقش ودلل بالبرهان ، والدليل ، كما استند إلى المنطق ، واستخدم ثقافته ، والتفت إلى منهج (النقد الخارجى) ممثلا فيمن حمل عنه الخبر ، فتداوله الرواة بعد.

وأما عن اتصال الخط العربى بالتصحيف : فقد بين حمزة أن طبيعة الحروف العربية مسئولة إلى حد كبير عن شيوع هذه الظاهرة فى الكتابة العربية ومن ذلك التشابه بين الحروف ، ومن بينها على سبيل المثال خمسة أحرف جملة واحدة هى :

الباء – التاء – الثاء – الياء – النون ٠

واستشهد حمزة بقول أرسطو : (كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهى على شرف تولد السهو والغلط)(١) أى معرضة للسهو والغلط ٠

وساق حمزة الأصفهانى تجربة لعالم عربى هو : (حنين بن إسحاق) المترجم (ت ٢٦٤ هـ) حيث كان يحتاط – فيما يكتبه – من أسماء الأدوية فيفزع من الحرف الذى يمكن أن يقع فيه اللبس الى آخر ليس كذلك ٠ حتى كان يكتب كلمة (السعتر) وهى أصلا بالسين ، (الصعتر) هكذا بالصاد ويقول فى تعليل ذلك : أخاف أن يقرأ (الشعير) فيصير به الدواء داء (٢) ٠

ولقد عرض حمزة المشكلة عرضا حيا أساسه الواقع ، بأسلوب يدل على حسن بصر بها ومقدرة فذة على فهم طبيعة الكتابة العربية ٠ فقسم لنا الكلمات من حيث قابليتها

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف : ص ٢٧ ٠
(٢) التنبيه على حدوث التصحيف : ٢٧ ٠

للتصحيف الى أنواع :

١ ـ كلمات لا يعرض لها التصحيف مثل كلمة (طمع) ٠

٢ ـ وكلمات يعرض لها التصحيف على مثالين ، مثل كلمة (الوعد) من (العدة) فهـذه يمكـن أن تصحف الى (الوغد) هكذا بالغين المعجمة ، بمعنى الخسيس ٠

٣ ـ وكلمات يعرض لها التصحيف على ثلاثـة أمثله مثل : (الصـحم) هكذا بلا نقط ، لتفيد معنى الاحمـرار المختلط بالسـواد ٠ أو الى (الضجم) بالضـاد والجـيم المعجمتين ، وذلك بمعنى مَيلان الشِدْق ٠

٤ ـ كلمات تُصَحَّف على أكثر من ثلاثين مثالا ، وذلك إذا كانت الكلمة من نوع الاسم الثلاثى المتشابه الحـروف مثل كلمة (بنت)٠وقد أورد حمزة كل الصور التى يمكن أن تصحف إليها هذه الكلمة ، ثم أورد بعدها كلمة أخرى هى (السبت) : أحد أيام الأسبوع،فأثبت أنه يمكـن أن تصحف وتحرف الى مائتى شكل ، وبالفعل أورد حمزة المائتى شكل، واستوفاها جميعا ٠ (١)

على أن كل هذا البحث القيم لحمـزة قد وقـع فى مقدمة كتابه البالغ عدد صفحاته نحو (١٩٥ صفحة) ٠ استغرقت المقدمة منها نحو (٥٦ صفحة) ثم جاءت فصول الكتاب بعدها لتضم نماذج لتصحيفـات الرواة كأبى عبيدة والأصـمعى وأبى زيد الانصارى وأبى عمرو بن العـلاء وحماد الراوية وغيرهم وذلك فى البـاب الأول وعنوانـه (فى تصحيفات العلماء فى شعر القدماء وعددهم خمسة وعشـرون) (٢)

---

(١) انظر الكتاب : ٥٧ ـ ١٢٩ ٠

ثم استغرق الكتاب بعد ذلك فصولا أخرى من بينها (فى أبيات رويت مصحفة تصحيفا فى اللغة ثم خَرَّجَ لها العلماء تفاسير مختلفة (١) ولعله أهم أبواب الكتاب بعد المقدمة لأنه يثير مشكلة هامة فى الدراسات العربية ، وهى أثر التصحيف فى سوء التفسير والتماس الأوجه والتخريجات للآثار المصحَّفة ٠ والتى لو ضبطها العلماء ولم يغلطوا فيها لكفوا أنفسهم مئونة التخريج وكفوا الطلاب عَناء الفهم وكد المحاولة ٠

وبعد: فإن حمزة الأصفهانى كان أول عالم يتناول ظاهرة التصحيف متصلة بظاهرة الكتابة والخط أوثق اتصال ، كما أنه فى تناوله لقضية الخط والكتابة ونشأتها فى العربية قد تناولها بفكر مستنير يعتمد فى نقاشه على المنطق وفهم طبيعة الظواهر الحضارية ، إلى جانب الثقافة والاعتداد بالنقد الخارجى للأخبار ، أى نقد المصدر ٠

هذا إلى حُسن عرض لأبعاد المشكلة ، وإيضاح احتمالاتها وآثارها المختلفة وتقنينَ ظواهر التصحيف ٠

إلا أن ما يؤخذ على حمزة ، أهماله تماما صلة التصحيف بالرواية ٠ فلم يشر إلى أهمية السماع ، وإلى دوره فى الإقلال من فرص الخطأ ٠ ونظر إلى المشكلة من زاوية وإن تكن هامة فإنها جزء وليست كلا: نعنى بها زاوية الخط ٠

وكذلك يؤخذ على حمزة الاصفهانى توقفه عند حد بيان الظواهر والعلل ، دون الانتهاء إلى الاقتراح وتوضيح الطرق التى تسلم بها من الخطأ ، ونتجنب بواسطتها أسباب التحريف ٠

---

(١) انظر الكتاب ص : ١٣٠ — ١٥٣ ٠

أبو أحمد العسكرى :
وكتابه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :

هو الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكرى (١) ، والعسكرى لقبه نسبة الى عسكر مكرم (٢) ، مسقط رأسه ، وبها بدأ دراسته على أيدى شيوخها وقد انتهى الى أبى أحمد فى زمانه املاء الحديث (٣) ، وكانت له قبل ذلك رحلة فى طلب العلم وتحصيله ـ على عادة علماء عصره ـ حيث جال بين بغداد والبصرة وأصبهان وغيرها (٤) ٠

وأبو أحمد العسكرى إمام من أئمة الرواية فى زمانه ، فى الحديث والعربية بما أتيح له من حسن الاستعداد ، والتخرج بأئمة الرواة فى عصره ومن بينهم (رواة مرحلة الاتصال فى القرن الرابع الهجرى) أعنى أمثال ابن دريد وابن الأنبارى ونفطويه ٠

ويبدو أن صلته بابن دريد بالذات كانت أوثق وأقوى: إذ نراه ينقل عنه ويروى له ، يسأله آنا ، ويقرأ عليه أحيانا ، ويكتب عنه ما يمليه عليه تارة ، وبالجملة فهو يروى عنه أكثر من روايته عن غيره (٥) ٠

وقد بلغت شهرة أبى أحمد ومنزلته العلمية شأنا بعيدا جعلت الصاحب بن عباد يكاتبه ، ويطلب منه الاجتماع به فى مودة وتقدير خالصين ٠ كما يحدثنا بذلك ياقوت الحموى

---

(١) وهم بروكلمان فجعله (أبو على) والصواب ما أثبتناه وانظر بروكلمان : ٢ / ٢٥٠

(٢) احدى مدن خراسان ٠

(٣) بروكلمان : ٢ / ٢٥٠ ٠

(٤) بروكلمان : ٢ / ٢٥٠ ـ وانظر بغية الوعاة : ١ / ٥٠٦ ٠

(٥) انظر المقدمة : ص ٥ وما بعدها ٠

فى خبر طويل ٠

أما عن مؤلفاته فان منها :

١ ـ المختلف والمؤتلف مما يدخل فيه الوهم على المحدثين

٢ ـ مالحن فيه الخواص ٠

٣ ـ علم النظم (١) ٠

٤ ـ الحِكَم والأمثال ٠

٥ ـ راحة الأرواح ٠

٦ ـ الزواجر والمواعظ ٠

٧ ـ تصحيح الوجوه والنظائر ٠

لكن أهم كتبه وأكثرها دليلا على وثاقته ، وتحريه فى الرواية ، ورسوخ قدمه فى التحقيق ، هو كتابه هذا الذى نعرض له وهو :

« شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » (٢) ٠

الكتاب :

وكتاب العسكرى يقع فى مقدمة وأجزاء ثلاثة ، كل جزء منها بمثابة فصل أو باب ٠ وفى المقدمة أوضح أبو أحمد العوامل التى توقع عادة فى التصحيف ، مع كيفية اجتنابها ٠ وروى لنا طائفة حسنة من الأخبار فى ذم المصحّفين ، وذِكْر نوادرهم المضحكة فى ذلك ٠

وفى الباب الثانى سرد أبو أحمد جملة من أوهام علماء البصرة يتعقبهم واحدا أثر آخر ، يذكر سقطاته ،

---

(١) سماه ياقوت (كتاب صناعة الشعر) وانظر : معجم الأدباء : ٨ / ٢٥٨ ٠

(٢) اعتمدنا على نسخة حققها عبد العزيز أحمد ونشرها مصطفى الحلبى ١٩٥٢ م ٠

ويستدركها عليه ، بادئا بالخليل بن أحمد ومنتهيا بالكسائى ، وابن دأب ٠

وكما صنع حمزة الأصهفانى فى تخصيصه بابا من كتابه (فى ذكر ما وقع للعلماء مصحفا ، ثم فسروه وخرجوه على الخطأ) فكذلك كان صنيع أبى أحمد العسكرى حيث افتتح الباب الثانى بذكر أغلاط من مرويات أهل النحو ممن أجهدوا أنفسهم فى تخريج ما فى الأبيات مما يخالف اصطلاحهم ، ولو أنهم تحرّوا ووثّقوا واتّبعوا منهج الرواة لسلم لهم الأمر ٠

ثم جاء القسم الأخير من الكتاب رواية لطائفة من أسماء الشعراء الذين تشتبه أسماؤهم ، وهم مختلفون فى

ولقد كان أبو أحمد مثالا محمودا لأمانة العالم وموضوعية الراوية فهو بصرى - مذهبا واتجاها - ومع هذا لم يمالىء شيوخه فى المذهب ، الذين عليهم تتلمذ وبهم تخرج ، بل ذكر سقطاتهم ، دون إعفاء ، وبدأ بهم وثنّى بسواهم من علماء الكوفة ٠ ولقد استهل مقدمته بما طبقه فى ثنايا كتابه ، وتضاعيف سرده وروايته ٠

فقال فى المقدمة (وقد كان بعض شيوخ بغداد ، ممن يتعصب على علماء الكوفيين ، ويفرط فيه ، عمل كتابا جمع فيه تصحيفات علماء الكوفة ، واستقصاها ، وأضرب عما روى من أوهام العلماء البصريين تعصبا ، فلم أر ذلك انصافا ، ولا مشاكلا لأخلاق العلماء المنصفين فيما لهم وعليهم ، ورأيت اقتعاد النَّصَفة أولى ، وتحكم الحق

أجدى) (١) ثم وَفَى أبو أحمد بما قطعه على نفســه . فبدأ فعلا برواة البصرة ، واقتعد النصفة على حد تعبيره .

كما حاول العســكرى أن يضع تعريفا علميا لمصـــطلح (التصـــحيف) ، فنقــل عن الخليــل بن أحمــد قــوله : (أن الصـــحفى الذى يروى الخطـــأ على قراءة الصـــحف بأشـــباه الحروف) (٢) .

كما نقل قول غيره (أصل هذا أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا العلمــاء ، فكان يقع - فيمــا يروونه - التغيير فيقال عنهم : قد صَـــحَّفوا ، أى ردوه عن الصحف ، وهم مصحِّفون ، والمصدر - التصحيف) (٣).

وقد أشار - أبو أحمد - فى معــرض حديثه عن ظاهرة التصحيف إلى ظــاهرتى (النقط والإعجــام) فى الكتابة العربية ، وكان ذلك قد بدأ فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى . عندما لاحظ الحَجّــاج أن التصــــحيف قد شــاع فى تلاوة القرآن الكريم بالعراق ، ففــزع الحجاج إلى العلمــاء من كُتّابه ، وسألهم أن يصنعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فقام بذلك نصــر بن عاصم ، حيث وضع النقط أفـــرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف) (٤) .

وبرغم النقط ، فقد وقع التصحيف ، فلجأ العلمـــاء إلى (الإعجام والنقط) ثم ظلت المشكلة قائمة ، فكان أن التمس

---

(١) انظــر : ص ١٣ .
(٢) نفس المرجــع .
(٣) ص ١٣ .
(٤) نفســـه .

حيلة ، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال (١) ٠

وقد أحسن أبو أحمد صنعا ، حين عرض بالحديث عن محاولات السلف في معالجة مشكلة التصحيف ، لكنه وقف عند حدود رصد المحاولة ، دون أن يتنبه إلى الربط بين التصحيف ومشكلة الكتابة العربية ، ويعلق تعليقا يشعر القارىء لكتابه بإدراكه لأبعاد هذا الارتباط ٠

كما أن العسكرى يرى أن اللجوء إلى السماع والأخذ من أفواه الرجال كان مرحلة أخيرة ، اضطر العلماء في نهاية المطاف إلى أن يفزعوا إليها حين لم يكتب لهم التوفيق فيما قدّموه من محاولات لإصلاح أشكال الكتابة العربية ٠

والذى نتوقعه خلاف ما انتهى اليه أبو أحمد ـ أن السماع ظاهرة علمية مصاحبة للرواية منذ النشأة ، بدأت منذ بدأت رواية الآثار ، وبخاصة ما يختص منها بالنسبة ، وإن كانت لم تتأكد ، وتشيع وتنتشر ، إلا بعد أن نشطت محاولات التدوين العلمى ، وكتب لها النضج ، وتأكدت تقاليد الرواية ٠

كما أن العسكرى أراد أن يقول لنا : ان كل محاولات العلماء وأهل الكتابة لإصلاح الخط العربى قد فشلت تماما ، فليس سوى الرواية ونسى أن هذه المحاولات كان

---

(١) وانظر مناقشة الخبر فى : مصادر الأدب للدكتور الطاهر مكى ص ٥٩ وانظر أيضا : الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى : ص ٣٠ ثم تعقيب الدكتور مكى على وجهة نظر الدكتور الأسد فى (دراسة فى مصادر الأدب) ص ٦٤ ٠

لهـا دورها الذى لا سـبيل إلى انكاره للإقـلال من فرص التحريف · وإنما كانت الرواية ، مؤكدة ومساندة ـ بشكل لا ننكره ـ لمحاولات العلماء والتى أنكر أبو أحمد جدواها فى سبيل الانتهاء إلى رأى كان متحمسا له · رأيه الذى تحمس له

ولقد أحسن العسكرى صنعا فى تأكيده لأهمية السماع ، وفى انتهاجه طـريق الرواية لمقـاومة التحـريف ، كمـا أحسن صنعا فى مقـدرته الفذة على رواية الآثار شـعرا وخبرا وتصحيحه للأعـلام التى كثر التحريف فيها ، كمـا التـزم الإسـناد لتوثيق مـروياته فى الأعـم الأغلب من مـروياته (١) ·

لكنه لم يربط بين (الرواية) والخط باعتبارهما عاملين متساندين لاجتناب التصحيف · غلبت

فإذا شئنا أن نقارن بين العسـكرى والأصـفهانى ، وقد وضح لنا الكثير من أوجه الفرق بينهما ، لاحظنا أن العسكرى غلب عليه الرواية ، بينما غلب على الأصفهانى عنايته بالخط وأشكال الحروف، فالمشـكلة عند حمزة نابعة من داخل اللغة العربية ، بينما هى عند العسكرى خارجة عن طبيعتها · فكل من العالمين ـ اذن ـ انتبه الى جانب وأغفل الجانب الآخر ·

وثقافة العسكرى هى ثقافة الرواية ، فهو عالم ريّان بالحفظ والسماع زاخرٌ صدرُه بالآثار والمرويات، أما حمزة الأصفهانى فثقافته مزيج من اللغات والأخبـار والتاريخ · وفكره مثل للفكر الناقد الجرئ (١) :

غلبت

الراوية

---

(١) ونقول فى الأعم الأغلب لأنه فى الباب الاخير قل استخدامه له ·
(٢) ولعل ذلك سبب اتهامه بالشعوبية ·

ثقافة العسكرى ثقافة عربية خالصة . وثقافة حمزة ثقافة عربية ممتزجة بروافد أخرى ، فقد كان على علم بالعبرانية والسريانية ، ولقى بعض علماء اليهود فى القرن الرابع وانتفع ببعض ما عنده (١) ، إلى جانب ثقافته الفارسية .

على أنه مما ينبغى إدراكه ، الالتفات الذى يجب أن نوليه مشكلة التصحيف والتحريف ، وذلك من جنابين :

الجانب الأول : جانب الخط . فإن أية محاولة لإصلاح الخط العربى - ويجب أن تنهض مثل هذه المحاولات - يتحتم أن تتجرد من كل دوافع الجمود والركون إلى القديم على غير هدى .

كما يجب أن نتناول محاولات الاصلاح عند القدماء ولا نغفلها منتفعين بآراء أمثال حمزة الأصفهانى . وأن نربط ربطا محكما بين أسلوب المعالجة والاقتراح والنتائج التى انتهى إليها علماء الآثار القديمة ، فيما اكتشفوه من النقوش والمدونات ، ما كان منها على المبانى والأحجار ، وما كان منها على البرديات ، ما تم كشفه عن العصر الجاهلى ، وما أنجز معرفة عن العصر الإسلامى فى مختلف حقبه .

٣ - ألا يقف الأمر عند حدود دراسة خطوط أهل المشرق ، بل يجب أن ننظر إلى (ظاهرة الخط العربى) كظاهرة حضارية متكاملة من الناحية العضوية والتاريخية .

٤ - لا ندعو إلى إصلاح يخرج عن طبيعة الشكل

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء : ص ١٩١ .
وانظر بروكلمان : ٣/٦٠ .

العربى خروجا يسلمنا إلى قطع الصلة بماضينا وتراثنا .

٥ – ألا يفوتنا الانتفاع بجهود التربويين ، وتجاربهم وتوصياتهم فى هذا المجال فنتائج التربويين ذات صله وثيقة باالطبيعة الميدانية التطبيقية .

أما الجانب الثانى : فهو جانب الرواية،فنحن فى عصر التقدم فى وسائل التقنية وبخاصة فى الأجهزة الصوتية، ومع ذلك فإن الدراسات العربية ما تزال معزولة عن الانتفاع بمثل هذه الوسائل ، سواء فى الدراسة الفيلولوجية ، أو الدراسة الأدبية . فلدينا عشرات الآلاف من الكتب ، وليس لدينا العناية الواجبة بتسجيل تراثنا القديم أو الحديث بالوسائل الصوتية،وبهذا اقتصرنا على الكلمة المكتوبة ، مع أنه لم تعد لدينا فرص القدماء فى الإكثار من لقاء العلماء والأخذ من أفواههم والسماع عليهم . فقطعنا القديم ، وأهملنا الحديث .

إن الاتجاه إلى تسجيل آثارنا القديمة بوسائل التسجيل الصوتى وكذلك آثارنا الحديثة . لأمر جدير بالنظر ، بحيث يصبح لدينا مكتبة صوتية إلى جانب المكتبة المدونة ، وان يتم هذا العمل الصوتى بأسلوب يوثقها ، وينأى بها عن احتمالات التزييف والخطأ . وبأصوات الموثوق بهم من الدارسين المتخصصين .

ولطالما كثرت شكوى الأساتذة من التحريف الذى منيت به لغتنا ، وابتلى به تراثنا على ألسنة الطلاب – لا نستثنى منهم الجامعيين فى معاهد وأقسام اللغة العربية ، والدراسات الإسلامية .

بل شاع هذا التحريف على ألسنة وكتابات المتخصصين فى شئون التراث العربى (١) ، وصـار أمر التحريف من مشاكل المشتغلين بنشر النصوص القديمة وتحقيقها ٠

ومما نراه أيضا وجوب القيام بعمل معجم شـامل جامع لكل الألفـاظ التى يكثر تحريفهـا على أسـاس الرجوع لكل ما يمكن الرجوع إليه من الكتب المؤلفة فى هذا الموضـوع ، إلى جانب المعاجم العـادية ، وأن يزود هـذا المعجم برمـوز صوتية يتم الاتفاق عليها والاصطلاح على رسمها وأدائهـا بحيث يكون مثل هذا المعجم بين يدى المعنيين بشئون نشر النصوص العربية القديمة وتحقيقها ٠

ولا مانع من الانتفاع بأبحـاث المستشرقين ، وعلمـاء الصوتيات ـ عربا ومستعربين ـ من أجل تطوير أسـاليبنا ومناهجنا فى مواجهة مشـاكلنا المتعـلقة بخدمة ، تراثنـا والتعـامل معـه ٠

---

(١) كثيرا ما علت شكوى اساتذتنا فى دار العلوم ـ زمن الطلب بقسم الليسانس من شيوع العجمة فى كتابتنا حديثنا ٠ وكان أستاذنا المرحوم ضياء الدين الريس يشـكو ـ على سبيل المثال ـ من التحريفات الواقعـة فى أسـماء الاعـلام ، والاماكن وغيرهـا فى كتب الباحثين فى التـاريخ الإسـلامى حديثا ٠

الباب الثاني

رواية الآثار الشعرية

القرن الرابع

تمهيد

يمثل القرن الرابع الهجرى مرحلة من أزهى مراحل الرواية الأدبية ، فإذا كانت القرون الثلاثة الأولى ، قد شهدت من الرواية مرحلتى النشأة والنضج ، فقد شهد القرن الرابع منها مرحلة الازدهار ٠

ويمكن أن نقسم القرن الرابع الهجرى إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : نسميها مرحلة الرواة المخضرمين ونعنى بهم اولئك الرواة الذين ظهر نشاطهم العلمى فى القرنين الثالث والرابع ، فحققوا الاتصال بينهما ، وكان جهدهم العلمى هو المعبر الزمنى الذى سلكه الفكر الاسلامى على مهاد الرواية ٠ وتقع هذه المرحلة ما بين أواخر القرن الثالث وحوالى الثلث الأول من القرن الرابع ٠ وأهم هؤلاء الرواة المخضرمين : أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) ،وأبو بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، وأبو بكر الصولى (ت ٢٣٥ هـ) ،وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ٠

المرحلة الثانية : هى مرحلة رواة القرن الرابع الذين ظهروا فى مرحلة تالية لظهور الرواة المخضرمين ، وكانوا تلاميذ لهم ، تلقوا عنهم ووصلوا جهدهم ، بجهد من خلفهم ٠

وقد كان ظهور رواة القرن الرابع يمثل بهذه الصورة امتدادا حيا للرواية ، وتنوعا فى الاتجاهات والأساليب يدل على أصالتهم وإضافتهم :

ومن هؤلاء الرواة من كان من أصحاب الموسوعات ، مثل

أبى الفرج الأصـفهانى (ت ٣٥٦ هـ) ومنهم من اشـتغل بحمـاية التراث ، عن طـريق مقـاومة ظـاهرة التحـريف والتصحيف مثلا ، وفى مقدمة هذا الفريق حمزة الأصفهانى (ت ٣٦٠ هـ) وعلى بن حمـزة البصـرى (ت ٣٧٥ هـ) وأبو أحمد العسكرى (٣٨٠ هـ) ٠

كما ظهر فريق من الرواة الشعراء كالمتنبى (ت٣٥٤هـ) وكان ظـهور هذا الفريق الأخير عـاملا هاما فى تحـريك الرواية ، وتنشيط جهود الرواة ، لتلقى آثاره الشعرية التى أنتجتها قريحته الفنية ٠

الفصل الأول

مرحلة الرواة المخضرمين (مرحلة الاتصال)

ورواة هذه المرحلة ممن تقدم ذكرهم ، هم عمدة الرواية فى القــرن الرابع ٠

ونتيجة لتحقيقهم لعنصر الاتصال نلاحظ أن أسانيد رواة القرن الرابع وما بعده ، يرد ذكرهم فيها ٠ هذا ما نلاحظه فى الأمالى ، والأغانى ، والموشــــح ، وشــرح ما يقع فيــه التصحيف والتحريف ، حيث يروى مؤلفوها عن ابن دريد وابن الأنبارى ونفطويه والاخفش والصولى وغيرهم ٠

وعلى أيدى هؤلاء الرواة ـ أيضا ـ تقررت اتجـاهات واضحة المعالم والشيات ، بحيث تحولت للجيل الذى خلفهم الى دروب يســـلكونها ، ويهــتدون فى سلوكها بخطـــا الســـابقين ٠ ومن أهم هذه الاتجاهات العناية بالدواوين الشعريين ، من حيث صناعتها ، ورواياتها ٠ ويعد جهـــد أبى بكر الصــولى بالذات من أبرز الاتجاهات فى صـــناعة الــدواوين ٠

ثمة اتجاه آخر ظهر خلال القرن الرابع ، وهو الاتجـاه إلى شرح الدواوين : فأبو جعفــر النحاس قد فسر عشـــرة دواوين واملاها (١) ٠ وكذلك فعل ابن الأنبارى الذى شرح

---

(١) انباه الرواة : ١٠١/١ ٠

شعر الأعشى والنابغة الذبيانى ، وزهير بن سلمى (١) والراعى النميـــرى (٢) .

كذلك ظهر اتجاهان متباينان : أحدهما اتجه للأشــعار القديمة ، ونقصد بها آثار الجاهليين وأوائل الإســـلاميين . أمثـــال : جـرير والفرزدق والأخطــل والكميت وذى الرمة وأضـــرابهم . وأما الاتجـــاه الثانى ، فالتفت إلى آثــار المحدثين . ونعنى بهم أمثال أبى تمام والبحترى وأبى نواس .

وهذان الاتجاهان الأخيران قد اتخذ شـــكل الشروح للدواوين الشعرية ، أو الاختيارات ، كشرح ابن الأنبارى للمفضـــليات وشـــرح أبى جعفر النحـــاس للمعلقـــات التى جمعها حماد الراوية أواخر القرن الثانى الهجرى .

ويحسن بعد أن جلينا أبرز اتجاهات الرواية فى هـــذه المرحلة أن نفصل الحديث فى إطار تناول بعض هؤلاء الرواة بالدراســـة والبحث .

١ – أبو بكر الأنبارى :(ت٣٢١هـ) هو محمد بن القاسم ابن بشار الأنبارى النحوى . وكان من أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين (٣) .

ويمثل ابن الأنبـــارى عنصرا هـــاما فى الرواية الأدبية ، فى احتفاله بالذاكرة وتمتعه بالمقدرة الفائقة على الاستظهار والحفظ ، إذ يصفه الزبيدى بأنه كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا .

---

(١) بغية الوعاة : ١ / ٢١٤ .
(٢) انباه الرواة : ٣/٢٠٨ .
(٣) نزهة الألبا : ص ٢٦٤ .

كما روى الدارقطنى وجماعة ،أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن وكان يملى من حفظه لا من كتاب (١).

وبهذه الصفة ، أو قريب منها ، وصفه القفطى فقال : (وكان أحفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن . وحدث أنه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها) (٢) .

وسر اعتماد ابن الأنبارى على الذاكرة فى الرواية هو أنه كان ينتسب الى مدرسة أرست دعائم هذا الاتجاه فى القرنين الثانى والثالث ، وهى مدرسة كانت تُغلّب الرواية الشفوية على الرواية المدونة .

ورأس هذه المدرسة هما ابن الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) وتلميذه ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فأما ابن الأعرابى ، فيقول عنه تلميذه ثعلب : كان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان كل يسأله ، يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب (٣) ، كما يقول : (ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط) (٤) .

وأما ثعلب ، الذى تتلمذ على ابن الأنبارى فقد نهج طريق شيخه ابن الأعرابى ، فكان هو الآخر ، لا يُرى بيده كتاب ، ويتكلم على حفظه (٥) كما وصفه بعضهم بقوله : (انما فَضل أبو العباس أهل عصره بالحفظ للعلوم التى تضيق عنها الصدور) (٦) .

---

(١) بغية الوعاة : ٢١٢/١ .
(٢) انباه الرواة : ٢٠٣/٣ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) انباه الرواة : ١٤٨/١ .
(٦) بغية الوعاة : ٣٩٦/١ .

من هنا نلمس أثر ثعلب فى تلميذه ابن الأنبارى ، الذى استطاع بدوره أن يؤكد لرواة القرن الرابع الهجرى ضرورة الحفاظ على تقليد (الحفظ والاستظهار) .

كذلك من الاتجاهات التى أمدّ ابن الأنبارى بها الرواية فى القرن الرابع عنايته بالآثار الشعرية القديمة الخاصة بالجاهليين وأوائل الإسلاميين . فقد شرح ابن الأنبارى المفضّليات (١) والسبع الطّوال (٢) ، وعمل عدة أشعار ودواوين من أشعار العرب (٣) وشرح شعر الأعشى والنابغة الذبيانى ، وزهير بن أبى سلمى (٤) ، والراعى النّميرى (٥) .

أبو بكر بن دُريد : (ت ٣٢١ هـ) : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدى ولد فى البصرة ٢٢٣ هـ ، ونشأ بها وتعلم ، وتتلمذ على أبى حاتم السِّجستانى (ت ٢٥٠ هـ) والرِّياشى (ت ٢٥٧ هـ) وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى .

وإذا كان ابن الأنبارى يمثل اتجاه (الرواية الشفوية) فابن دريد أيضا يمثل الاتجاه ذاته ، حتى قال عنه : أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) (ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابن دريد) (٦) ، وبأنه كان (أحفظ الناس) (٧) .

---

(١) نشرها المستشرق ليال
(٢) يوجد مختصر منه مخطوط بدار الكتب تحت رقم : ١٥٣ ش .
(٣) انباه الرواة : ٢٠٨/٣ .
(٤) بغية الوعاة : ٢١٤/١ .
(٥) انباه الرواة : ٢٠٨/٣ .
(٦) مراتب النحويين : ص ٨٤ .
(٧) نفس المرجع .

على أن وضعه موضــع المقارنة مع خلف الأحمــر فيما ساقه أبو الطيب اللغوى ، يشعرنا بمكانة ابن دريد العلمية، ويحله مكانه من الأمانة والثقة فى الرواية الأدبية . ولقد بلــغ من الاعتماد على الرواية الشــفوية حد اعتماده على ذاكرته فى تأليف كتابه (الجمهرة) . اذ ان ابن دريد قد أملى كتابه هذا من حفظه عام ٢٩٧ هـ، فما استعان عليه بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى الهمزة واللفيف (١) .

إلا أننا بمراجعة ماورد بشأن مؤلفاته ، لانجد له مصنفات مباشرة فى رواية الآثار الشعرية ، كما هو الحال بالنسبة لابن الأنبارى ، لكن أسانيده فى الأمالى للقالى ـ مثــلا ـ تشــهد بوفرة ما لديه من الآثار الشعرية (٢) ، كما وصــفه المرزبانى بقوله (شيخنا رضى الله عنه .. وكان رأس أهل العلم ، والمتقــدم فى الحفظ اللغة والأنســاب ، وأشــعار العــرب (٣) وبأنــه غزيــر الشــعر كثير الرواية ، سَــمْح الأخــلاق) (٤) .

أمــا ياقوت الحمــوى فيوافينا بخبر له دلالة على مكانة ابن دريــد فى عصــره ، وعن دور الرواية وإقبال العلماء عليها فى القرن الرابع الهجرى .

إذ يذكر ياقوت أن المرزبانى كان قرأ على ابن السراج خمسين ورقة من أول كتاب ســيبويه ثم انقطع ، ولما سئل عن سبب انقطاعه ، قال : يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم ، وهو عــلم الوقت من اللغــة والشــعر والســماع من

---

(١) بغية الوعاة : ١ / ٧٨ .
(٢) انظر مثلا : ١ / ١١ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ٢٣ ـ ٢٨ ـ ٣٠ .
(٣) معجم الشعراء : ٤٢٥ .
(٤) نفس المرجــع .

الشـيوخ ، فكان يلزم ابن دريد ومن جـرى مجراه من أهل السـماع (١) ٠

٢ ـ أبو بكـر الصـولى : (ت ٣٣٥ هـ)

هو محمد بن يحيى الصولى ، ويعرف أيضا بالشّطْرنجى، ويعد من أبرز الرواة الذين ظهروا خـلال الثلث الأول مـن القرن الرابع ، وقد وصِف بأنه كان أحد العلماء بفنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشـعراء) (٢) ، كما أن الصولى قـد حاز توثيق جملة من العلماء الذين يعتد بأحكامهم فى رجال الروايـة فقال عنه ابن كثير : (كان واسعَ الرواية جيدَ الحفظ حاذقا بتصنيف الكتب)(٣)

كما وصفه بأنه كان (جيد الاعتقاد حسن الطريقة) (٤) وبأنه (قد روى عنه الدارقطنى وغيره) (٥) وتبدو أهمية دروه فيما قام من به صنع دواوين للشـعراء ، فهو بهذا التقليد ، يمثل امتدادا لجهد السكرى ، كما سـبق القول ، مع فارق ملحوظ ، هو أن السـكرى صنع دواوين القدامى ، بينما الصولى اتجه الى عمل دواوين للشـعراء المحدثين ، ولم يقف الصولى عند حد صناعة الدواوين ، بل تعداه الى التأليف فى أخبار الشعراء ، ومن بينهم أبو تمام ٠

فأما الدواوين التى صنعها فأهما ما يلى : (٦)

---

(١) معجم الأدباء : ٨ / ١٤٧ ـ ١٤٨ ٠

(٢) ابن كثير : البـداية والنهاية (طبعـة بيـروت الأولى ١٩٦٦ م ١١ / ٢١٩ ٠

(٣) المرجـع السابق : ١١ / ٢١٩ ٠ (٤) نص [illegible]

(٥) المرجع السابق : ١١ / ٢١٩ ٠

(٦) أنظـر هذه الدواوين بترتيب ورودها فى : بروكلمان : ٢ / ٤٤ ، ٧١ ، ٤٨ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ١٠٠ ٠

وأنظر ايضا الفهرست : ٢١٦ ٠

١ ـ ديوان ابن الرومى ٢ ـ ديـوان أبى تمـام
٣ ـ ديـوان البحـترى ٤ ـ ديـوان أبى نـواس
٥ ـ ديوان العباس بن الأحنف ٠
٦ ـ ديوان على بن الجهم ٠
٧ ـ ديوان ابن طباطا العلوى ٠
٨ ـ ديوان إبراهيم بن العباس ٠
٩ ـ **ديوان ابن عيينة ٠**
١٠ ـ ديوان ابن شـراعة (١) ٠
١١ ـ ديوان الصـنوبرى (٢) ٠
١٢ ـ ديوان دعبل بن على (٣) ٠
١٣ ـ ديوان ابن المعتز (٤) ٠
١٤ ـ ديوان مسلم بن الوليـد (٥) ٠

كذلك جمـع الصولى اخبار وأثار من خالط الخلفـاء والوزراء ، فألف فيهـم كتابه (الأوراق) (٦) ، وكان قـد عرفهم عن كثب بحـكم منادمته لهم ، ولكنه لم يتم الكتاب ، والذى خرج من أخبار الخلفاء وأشعارهم ، وأشعار أولاد الخلفاء ، وأيامهم من السفاح الى أيام ابن المعتز ، وانتفع من جاء بعده ، من الرواة ، بهذا الكتاب ، ومن بينهم أبوالفرج

---

(١) الفهرست ٢١٤ ٠
(٢) بروكلمان : ٢ / ٩٧ ٠
(٣) بروكلمان : ٢ / ٣٩ ٠
(٤) بروكلمان : ٢ / ٥٣ ٠
(٥) بروكلمان : ٢ / ٣٢ ٠
(٦) نشر جزء من هذا الكتابفى مصر بعنايةالمستشرق الانجليزى د٠ن٠

الموشح

الأصـــفهانى ·

كذلك انتفـع المـرزبانى انتفـاعا واضـحا بمـرويات أبى بكر الصولى ، ونقل عنه كثيرا فى كتابه الموشح

ولهـذا أثنى عليه تلميذه المرزُبانى كثيرا ، فذكـر أن له (رواية واسعة ومحفوظاتٍ كثيرة) (١)

أبو بكـر الصـولى : (وكتابه الأوراق) :

وهو كتاب جمع لنا فيه الصولى جملة من أخبار وأشعار طائفـة من خلفـاء بنى العباس – ومنهم تلميذه الخليفـة الراضى (٤) (٢٩٧ هـ – ٣٢٩ هـ) ، وهو يسير فى كتابه هذا على نظام حولى ·

وقد وجّه ابن النديم للصولى تهمة انتحال هذا الكتاب ، وسـرقته مـن مؤلفـه الأصـلى ، وهو المـرثدى، وأشـار ابن النديم إلى واقعة الانتحال هذه فى موضعين من كتابه الفهرست ، فقال فى موضـع : (عوّل عنـد تأليفـه كتاب الأوراق على كتاب المرثدى فى الشعـر والشعراء) · بـل نقله نقلا ، وانتحله) ثم يقرر ابن النديم أنه رأى (دستور الرجل فى خزانة الصولى ، فافتضح به) (٢) ·

النديم

وفى الموضع الثانى يقول ، فى ذكر المرثدى وكتبه ،(فذكر أن له كتـاب أشـعار قريش ، وعليه عوّل الصـولى فى

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ص ١٢ (بتحقيق علي محمد البجاوي ط الحلبي بالقاهرة)

(٢) اتهم ابن النديم فى الفهرسـت أبا بكر الصـولى بسـرقة كتاب (الأوراق) وانظر تفصيل ذلك في (الفهرست ٢١٥) ·

الأوراق)[1].

فنراه يذكر كتاب المرثدى مرة على أنه (الشعر والشعراء) ومرة باسم (أشعار قريش) .

وليس أمامنا مصادر تمدنا بالأدلة التى نواجه بها تهمه ابن النديم ولا قرائن تنفيها ولا تدحضها ،فابن النديم وهو ثقة يقرر أنه شاهد بنفسه الكتاب الذى انتحله الصولى ، وأنه اكتشف المطابقة التامة بين النسختين .

وكل ما يمكن أن نواجه به ابن النديم فى اتهامه ، أن كتاب (الأوراق) الصولى فيه من المواضع ما تنفى تهمة الانتحال ، وهى تلك التى تسجل نقاشا بين الصولى الراوية ، وتلميذه الخليفة الراضى - كما سيتضح لنا بعد قليل - ويأتى هذا النقاش بين الشيخ وتلميذه ، لتصحيح مرويات أو لاقتراح تلميحات ، أشار بها الصولى على الراضى ، وفى ديوان شعره ، ومثل ذلك مما يستحيل عقلا أن يكون سطوا أو انتحالا .

هذا إلى أن ابن النديم قد انفرد - وحده - بتسجيل هذا الاتهام ، فالقفطى - وهو حجة فى الكتب - وكان وراقا ومنقبا فى الكتب كابن النديم ، لم يتطرق لذكر هذا الاتهام ، بل على عكس ذلك ، رأيناه يوثقه ويمتدح روايته بقوله (وكان واسع الرواية ، حسن الحفظ والأدب حاذقا) وبأنه[2] (كان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول القول)[3] .

---

(١) الفهرست : ص ١٠٧ .

(٢) إنباه الرواة : ٣/٢٣٤ .

(٣) إنباه الرواة : ٣/٢٣٤ .

هذا ويسجل الكتاب — كما أسلفنا القول — ما يشهد إلى مجالس رواية الشيخ مع تلميذه الراضي ، ومنها أن الراضي روى البيت :

تمنى حبيشا أن يكون أطاعني

وقد حدثت بعد الأمور صدور

فصحح له الصولي رواية البيت على النحو التالي :

« تمنى نبيشا أن يكون أطاعني »

ثم فسره له بقوله : (ومعناه أنه تمنى شيئاً بعد ما فاته) .

يقال : رأى هذا نبيشاً ، إذا رآه في آخره ، وقد فات [1] . كما سبق القول مفصلا بشأن اقتراح الصولي على الخليفة تنقيح ديوانه وإعادة املائه على آخر نسخة أقرها ، وتوصيته له بأن يكتب ما جدَّ على ديوانه في النُّسخ التي بأيدي الرواة [2] .

هذا إلى ماكان يبذله الصولي من توجيه الراضي بشأن مكتبته ومقتنياته الخاصة من الكتب [3] .

يعد الكتاب أيضاً سجلا تاريخياً ضم معلومات عن فريق من الرواة الأئمة ، من بينهم :

أ — أحمد بن عبد العزيز الجوهري صاحب عمر بن شبة [4] (ت ٣٢٣ هـ) .

ب — وابن المبشع الشيعي الذي كان روى عن عمر بن شبه [5] .

---

(١) الأوراق : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الأوراق : ١٥٤ .

(٣) الأوراق : ٣٩ إلى ٤٠ .

(٤) الأوراق : ٦٤ .

(٥) الأوراق : ٦٥ .

جـ - أبو بكـر بن أبى الأزهر الذى كان يلقب بمستملى المبرد (ت ٣٢٥) (١) ٠

د - القـاضى عمـر بـن محمـد (ت ٣٢٨ هـ) وكان ربيبا (٢) للصـولى، وكان قـرأ عليه من كتب اللغة ، ومـن مصنفات الصولى، ما يقارب عشرة آلاف ورقة، كذلك يسجل الكتاب لنا جملة صـالحة من المعلومات المتعلقة بالحـياة الأدبية ، وبخاصـة داخل قصـور العباسيين ، ودورهم فى تنشيط الرواية الأدبية ، مما قد يعز وجوده فيما سواه من المصـادر الأخـرى ٠

ومن هنا يكون مبلغ الخسارة للثقافة الأدبية ، إذ وصلنا الكتاب ناقصا ، غير تام ٠

الصولى وأخبار أبى تمام :

وكان قد صنفه قبل أن يجمع ديوان أبى تمام (٣) وليس كتاب (أخبار أبى تمام) أول صنيع قدمه الصولى فى مجال (رواية أخبار الشعراء) ، فقد سبق أن صنع أخبار الفرزدق، فدخلت فى ٣٠٠ ورقة (٤) ، وقطـع على نفسه العهـد فى أخبار الفرزدق ، ألا يروى فيه ما ورد فى كتاب (النقائض) لأبى عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) الا ما لابد منه : من ذكـر نسبه، وأزواجه وغير ذلك ، مما لا يبلغ جميعه ثلاثين ورقة (٥) ٠

---

(١) الأوراق : ٨٨ ٠
(٢) الأوراق : ١٤١ ٠
(٣) يتبين ذلك من رسالة الصولى الى (مزاحم بن فاتك) ٠ وانظـر الرسالة ملحقة بكتاب (أخبار أبى تمام) للصـولى بتحقيق خليل محمـود شـاكر ومحمد عبده عزام ٠ ونظير الاسـلام الهندى (ط لجنـة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة (١٩٣٧ م) ٠
(٤) أخبار أبى تمام : ص ١٢ ٠
(٥) أخبار أبى تمام : ص ١٢ ٠

على أن حرص الصولى على أن يقرن صنيعه للدواوين برواية أخبار كل شاعر ، هو ـ فى الواقع ـ صورة للجهد العلمى المتكامل ، اذ أن حياة الشاعر وأخباره ، معوان لدارس آثاره على تفهم تلك الأخبار، وفهم خصائصها الفنية ٠

ويعد كتاب (أخبار أبى تمام) نموذجا لعمل لم يسبق اليه على نحو ما صنعه الصولى ٠ فقد كانت أخبار أبى تمام قبل الصولى مجرد ترجمات وجيزة فى كتب تراجم الشعراء٠ وذكر طبقاتهم ، فجاء الصولى ليخص أخبار الطائى بكتاب مستقل ٠

وأما ديوان شعره ، فلم يكن مرتبا ، حتى جمعه الصولى ، ورتبه على حروف المعجم (١) ٠

كما يعكس جهد الصولى تبنيه لآثار المحدثين ، وتحمسه لهم ودفاعه عن آثار هذا الفريق من الشعراء ، فى وقت لم تكن أذواق أنصار القديم قد ساغته بعد ، أو ارتضت صياغاته وأخيلته ، وآية ذلك مهاجمته (أنصار القديم) ممن رفضت أذواقهم أن تسيغ ما أبدعته قرائح المحدثين ، فرمى (أنصار القديم) بجهل (أشعار المحدثين) ، وعلل ميلهم للقديم ، وانتصارهم له ، بأنهم وجدوه مشروحا مفهوم اللفظ والمعنى قد ذلله الرواة لهم تفسيرا وشرحا ورواية ، حتى صار معهودا لهم (٢).يقول :

(وألفاظ القدماء ، وإن تفاضلت ، فإنها تتشابه ، وبعضها آخذ برقاب بعض فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ، فيقومون على صعبها بما ذللوه،ولم يجدوا فى شعر المحدثين،منذ عهد بشار،أئمة كأئمتهم ، ولا رواة

(١) وفيات الأعيان : ١ / ٣٣٨ ٠
(٢) أخبار أبى تمام : ص ١٤ ٠

كرواتهم الذين تجتمع فيهم شرائطهم ، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به وقصروا فيه فجهلوه فعادوه ، كما قال الله عز وجل (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (١) ، وكما قيل : الانسان عدو ما جهل)(٢) ·

ومعنى هذا أن الصولى ، وهو يتبنى قضية الحديث ، كان يرود طريقا ويفتح آفاقا ، ويقر سلطان تلك الآثار الحديثة فى النفوس والعقول معا ، وينحّى من الطريق عقبات التعصب للقديم ، والجهالة بالحديث ·

ومن هنا كانت الأصالة التى تميز جهده لها، فبرّز على سواه من الرواة – ممن كانوا فى مثل طبقته – (٣) ، لأنهم لم يلتفتوا إلى ما التفت الصولى إليه ، وليس أدل على جهالة أنصار القديم من الرواة بآثار المحدثين من أن المبرد ، وكان شيخ الصولى وأستاذه ، لاحظ اشتغال الناس من رواة عصره بآثار أبى تمام ، فطلب بعض أبياته، فكان (أى المبرد) ينشد البيت من شعر أبى تمام ، ثم يسأل : ما أراد بهذا ؟ فنشرحه ، فيقول : (٤) (أحسن والله وأجاد) (٥) (فهذه قصة إمام من أئمة الطاعنين عليه عندهم) (٦)

وكان الصولى فى انتقاده لمسلك الرواة من (أنصار القديم) يتهم أذواقهم ، ويرميهم بالوقوف عند حدود الشكل اللغوى ، دون الغوص على أسرار التعبير، فيقول : (الرواة يعلمون تفسير الشعر ، ولا يعلمون ألفاظه) (٧) ·

---

(١) سورة يونس : آية ٣٩ ·
(٢) أخبار أبى تمام ص ١٤ ·
(٣) أقصد ابن دريد وابن الأنبارى وأضرابهما ·
(٤) أخبار أبى تمام : ص ١٦ ·
(٥) نفس المرجع ·
(٦) نفس المرجع ·
(٧) أخبار أخبار أبى تمام : ص ١٠١ ·

ولم يقف الرجل عند حدود المصاولة والمنافحة عن آثار المحدثين، بل راح يعمل عمل أهل الرواية: فيضبط تلك الآثار، وينفى عنها ما قد يعتريها من مظاهر التحريف والتصحيف، فيقول : (وقد رأيت - أعزك الله - بعض هؤلاء الجهلة يُصحّف أيضا على أبى تمام ، ثم يعيبون ما لم يقله أبو تمام قط وأنا ذاكرٌ ذلك فى موضعه من الشعر، إذ كنتُ قد خِفتُ إعراضك وكرهتُ إملالك)[1]

كذلك عمل على تنقية هذه الآثار من محاولات الدسّ والانتحال والتخليط، صنيع أهل الرواية والتحقيق ، فساق خبرا أسنده إلى على بن الجَهْم يتهم فيه دِعْبلا الشاعر بأنه (كان يكذب على أبى تمام ، ويضع عليه الأخبار) (٢)

وقد سبق مالا حظناه فى آثار أبى تمام وأخباره مما ذكره الصولى من أن عدم فهم شيوخ الرواية لآثار المحدثين، كان هو العائق لهم عن قبول هذا النوع من الآثار وروايته ، وكيف أن الصولى كان يدرك هذه الحقيقة ، حين رأى أن سر الإقبال على آثار القدماء ، إنما هو ما لقيتْه هذه الآثارُ من عناية الرواة شرحاً وتفسيراً وتذليلا لصعابها ، كما نلاحظ انتشار العناية بآثار المحدثين ، حتى أن ديوان أبى فراس الحَمْدانى قد حَرَص ابن خالويه على تفسيره وأنه قد شرح من (أيامه وأخباره المذكورة فيه) (٣) .

---

(١) أخبار أبى تمام ص ٤٦ .

(١) أخبار أبى تمام : ص ٦١ .

(٢) ديوان أبى فراس برواية ابن خالويه - مقدمة ابن خالوية (بدون رقم) .

وانظر أيضا على سبيل المثال : ديوان عامر بن الطفيل (ط بيرت) مقدمة ابن الأنبارى ص ٩ . برواية ابن الأنبارى . فالرواية أيضا مقرونة بالشرح .

اتصال الشرق بالغرب :

كذلك كان من الملامح العلمية الهامة فى (سلوك الرواية) ، الأدبية فى هذه المرحلة (ظاهرة التواصل بين المشرق والمغرب عن طريق الرواة الرحالة)، ونجد أمثلة لهذا (التواصل الفكرى) فى رحلة (محمد بن أبى عُلاقة البواب)، أحد علماء قرطبة خلال الثلث الأول من القرن الرابع ، أى (فترة الرواة المخضرمين) ، فقد لقى ابن أبى عُلاقة فى رحلته إلى الشرق العلماءَ الذين يمثلون بجهدهم (مرحلة الاتصال) تلك :أعنى بهم الزجّاج ، وابن الأنبارى والأخفش ونِفطويه ، وغيرهم من المشارقة من ذوى الرواية ، وكان مما رواه ابن أبى علاقة بالمشرق كتاب الكامل للمبرِّد ، الذى نستطيع أن نقطع بأن روايته له كانت عن الأخفش تلميذ المبرد والمختصّ برواية كتابه .

وأما من وفدوا من المشارقة على الأندلس فأهمهم أبو على القالى ، والذى حمل معه قدراً كبيراً من مروياته انذاك ، احتفظ لنا ابن خير الاشبيلى بأسمائها جميعاً[1].

وقد رأينا من رواة الأندلس من يتصدى لرواة المشرق فى مجالس الرواية ويستدرك عليه، ويصوب له أخطاءه على مسمع من الحاضرين، كما فعل القاضى (منذر بن سعيد) حين راجع أبا جعفر النحاس فى بيت لامرىء القيس[2] .

كذلك يلاحَظ أن أهل المشرق كانت تصل إليهم آثار أهل الأندلس ، فكان المتنبى على علم بابن عبد ربه ، وكان يلقبه (مليح الأندلس) كما كان

---

(١) انظر فهرست مرويات ابن خير الاشبيلى (ت ٥٧٥ هـ) (ط بيروت) بتحقيق ميخائيل عودة .

(٢) نفح الطيب : ٢/٢٢٣ .

يستنشد رحالة الأندلس أشعاره وآثاره ، حين يفدون إلى لقائه(١) وما ساعد على هذا (التواصل بين المشرق والمغرب) أن أهل الأندلس — كما يذكر ابن بسام فى الذخيرة — « أبوا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوعَ الحديث إلى قتادة ، حتى لو نَعَق بالآفاق غرابٌ أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذُبابٌ ، لجثَوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما » (٢) .

وقد رد ابن بسام أشعار التابعين منهم إلى أصولها العباسية وهى شهادة هامة من ناقد مؤرخ أندلسى بساندها قرائن ومنها .

١ — لم يذكر ابن شُهيد فى رسالته:التوابع والزوابع شيطاناً لشاعرواحد من الأندلس ، مع أنه أندلسى .

٢ — جاءت مادة العقد الفريد — لابن عبده ربه - كلها مشرقية ،حتى قال الصاحب بن عباد عنه حين طالعه ، هذه بضاعتُنا رُدّتْ إلينا » .

٣ — ظلت أصولُ علم الأدب ، حتى عصر ابن خلدون أربعة كتب هى: أدب الـكاتب لابن قتيبة ، وكامل المبرّد ، وبيان الجاحظ ، ونوادر القالى .

٤ — إرسال أبى الفرج الأصفهانى نسخةً من الأغانى إلى الناصر بمجرد ظهورها . وقد دأب الأندلسيون على طلب أعمال المشارقة بمجرد ظهورها هناك .

٥ — نقل ابن الأشجّ عن « أبى الطيب المتنبى » ديوانه ، وقرأه فى

---

(١) نفح الطيب : ٥/١٠٤ وانظر بغية الملتمس : ٤٦٥ ، ٤٥٦ وانظر فى استنشاد المتنبى لرواة الأندلس أشعاره : نفح الطيب ١٢٠

(٢) الذخيرة ، م ١ ق ١ ص٢ (ط جامعة جامعة القاهرة) .

قرطبـــة على طـــلابه ٠

٦ - وقبل ذلك نقل مؤمن بن ســعيد ديوان أبى تمــام عنه شخصيا ، وقرأه طلابه عليه فى قرطبه ٠

٧ - وأخيرا ، فإن تأثير شعراء المشارقة فى شــعراء الأندلس ، يأتى دليلا حيا آخر يؤكد أمر التواصل بين أدباء المشرق ، وأدباء الغرب المســلم ، وذلك على نحو ما نرى من أثرى المتنبى فى ابن هــانىء، وأبى العلاء المعــرى فى ابن شـــــهيد ٠

الفصل الثانى

رواة القرن الرابع (مرحلة الامتداد)

اولا ـ دواوين الأشـــعار :

وقد كثرت كثرةً ملحوظةً فى القرن الرابع على الإطلاق ، وتعددت اتجاهاتها وتميزت خـلال القرن الرابع بمـلامح جديدة ، لم تستقم لها فيما قبله ·

ويحسن قبل أن نفصّل القول بشأن هذه الانجـاهات أن نوجز الحديث عن صلة صناعة الدواوين بالرواية الأدبية ، ومنزلة (دواوين الأشـعار) بين ســائر الدواوين الأدبية والعلميـــة ·

فالدواوين الشعرية وثيقة الصلة بالرواية الأدبية ، لأن الأثار التى تضمها دفتا الديوان ، هى فى المقـام الأول : ثمرة الرواية ، ثم هى لا تجمع وتحمل اسم الشاعر ألا بعد أن تمر بمرحلة نقد وتمحيص ، قد تكلف العـالم أن يراجع هذه الأشعار فى مظان متفرقة وموثقة ، ويعقد بينها المقابلة والموازنة ، ويضـعها تحت اختبـار طويل أســاسه الثقة بالناقل ، أو الشك والمعرفة بخصـائص الشاعر وســؤال العلماء ، تماما كما فعل أبو بكر الصولى فى جمعه لديوان أبى تمام ، وكما فعل من قبل أبو سعيد السكرى لدواوين الشعراء (١) ، والقبائل (٢)

---

(١) الفهرست : ص ٢٢٤ ·

(٢) وصنع وراق الجهشيارى نفس الصنيع بديوان ابن الرومى ، اذ جمعــه

واذا كنا ، فى تقديمنا للحديث عن الدواوين ، قد أشرنا الى أنها ذات صلة بالرواية ، فانها من ناحية أخـرى تعد أهم المصادر واخطرها شـأنا بالنسبة لآثار الشاعر ٠ وقد مضى بيـان ذلك عند الحديث عن ظـاهرة الرجـوع الى الدواوين وكثرة الاشارات اليها فى ثنايا الكتب ٠

ويمكننا أن نستبين أبعاد الكثرة الهـائلة من الدواوين التى صنعها الرواة المختصون ، والرواة الشعراء لتكون بين يدى العلماء والدارسين ، وذلك خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وسـندنا فى استبانة أبعـاد هذه الكثرة ليس فيما يظهر فقط من الإشارات إلى الدواوين فى المراجع، بل يبدو لنا أيضا فى مثل ما ذكره الجرجانى (١) فى كتابه الوساطة من أن الشاعر البحترى قد أحرق خمسمائة ديوان للشعراء فى أيامه حسداً ، لئلا تشتهر أشعارهم ولا تنتشر فى الناس محاسنهم وأخبارهم (٢) ٠

فأما فى القرن الرابع ، فالدواوين أكثر ، بالنظـر إلى ما آل اليه من ميـراث السـابقين ، وبالنظر أيضـا إلى متابعة رواة القرن الرابع لجهود سابقيهم ،فى جمع الأشعار وتوثيق الأثار ، ثم بالنسبة أيضا للكثرة من الشعراء الذين

من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت ٠
وانظر الفهرست : ص ٢٣٥ ٠

(١) أبى الحسـن على بن عبد العـزيز الحسن الجرجانى ، قـدم الى الصاحب بن عباد وهو الذى أسند اليه منصب القضاء ومات ٣٩٢ هـ ٠ (معجم الأدباء : ٥/٢٤٩ ـ ٢٥٨)

(٢) أبو عبد محمد بن عمران المرزبانى ، أحد تلاميذ ابن دريد ، وكان يقال أنه أحسن تصنيفا من الجاحظ توفى ٣٨٧ هـ (تاريخ بغداد : ٣/١٣٥)

صنعوا مسيرة الشعر فى القرن الرابع .

فإذا بحثنا عن نصوص تسعفنا بالمزيد من الوقوف على أبعاد الكثرة فى الدواوين الشعرية ، وجدنا المرزبانى (١) يقول : بأنه جمع دواوين قريب من ألف شاعر اختار من عيونها ما أراد ، وامتار من متونها ما ارتاد (٢) وذلك عندما أراد أن يصنف كتابه على حروف المعجم بأسامى الشعراء .

دواوين القبائل :

لم يجدّ جديدٌ بشأنها فى القرن الرابع ، بل اكتفى رواة هذا القرن بروايتها وتناقلها ، بعد ما أوفى رواة القرن الثالث على الغاية فى صنع وتوثيق هذا النمط الهام من أنماط المصادر الشعرية ، ويدلّنا الاستقصاء لأحد كتب الآمدى (٣) وهو (المؤتلف والمختلف) على انه كان يقتنى جملة كبيرة منها أعانته على تأليف كتابه . وقد بلغ عدد ما رجع إليه من (دواوين القبائل) حوالى ستين ديوانا (٤) .

دواوين الأفراد :

واذا كنا فى (فترة الاتصال) لاحظنا جهود رواة هذه

---

(٣) معجم الشعراء (بتحقيق عبد الستار فراج) مقدمة المرزبانى .
(٤) نفسه . امتار : اختار وانتقى .
(٣) أبو القاسم الحسن بشر الآمدى . توفى ٣٧٠ هـ
(٤) منها : أشعار الأزد ، وبنى أسد ، وأسلم ، واشجع وبنى تغلب ، وباهلة ، وبُجيلة ، وجرم ، وجُهينة ، وبنى الحارث بن كعب ، وحِمْير ، وبنى حنيفة ، وخثعم ، وخزاعة ، وبنى ذهل ابن ثعلبة ، والرّباب ، وبنى ربيعة ابن ذهل وغيرها وانظر المؤتلف والمختلف وبحثنا للماجستير (مخطوطة) ٢٥١ ـ ٢٥٥ .

وباهلة

حنيفة

وخثعم

المرحلة فى صنع دواوين الأفراد ، وفى مقدمتهم (أبو بكر الصولى) ٠

فالجهود فى (فترة الامتداد) ما تزال متواصلة ، غير أننا فى هذه المرحلة نلقى رواة ذوى منهج متميز واتجاه مغاير بعض المغايرة ، يمثله حمزة الأصفهانى كصنعه بديوان البحترى (٢) وديوان أبى تمام (٣) ٠

وإذا كان الصولى قد تقدم خطوة بصناعة الدواوين فرتبها على حسب حروف القافية ، فإن حمزة الأصفهانى قد تقدم خطوة أوسع ، حين صنع لترتيبها إطارا أساسه الأغراض ٠ وهو اتجاه يخدم الدارس لشعر الشاعر ، ويوقفه على فهم الأغراض ، حين يجد هذا الترتيب قد يسر له سبيل النظر والدراسة والذى يبدو أن صنيع حمزة الأصفهانى الذى قدم إطاره الجديد فى ترتيب القصائد ، قد تخلى عنه عندما عمل ديوان أبى نواس ، فرتبه على حسب أحرف القافية (٤) ٠ وسر ذلك ـ فيما يبدو ـ راجع إلى ما لقيه ترتيب القوافى من إقبال وموافقة للرواة والأدباء ٠

وحين كان حمزة الأصفهانى يصنع الدواوين ، كان يسعى وراء المصادر ، ويدأب فى الجمع والنقل والرواية ٠ يدلنا على ذلك (ديوان أبى نواس) الذى قام بجمعه (فإنه

---

(١) حمزة بن الحسن الأصفهانى ، من أشهر رواة بغداد حيث أقام بها ، وانظر فى ترجمته : بروكلمان ١/٦٠ ، وسنترك دراسة مفصلة لحياته وآثاره ٠

(٢) الفهرست : ٢٣٥ ٠ وانظر بروكلمان : ٢/٥١ ٠

(٣) بروكلمان : ٢/٧٥ ٠

(٤) بروكلمان : ٢/٣٠ ٠

قدم مرارا الى بغداد باحثا عن المواد التى جمعها فى روايته لديوان أبى نواس ، وكان قدومه للمرة الثالثة إلى بغداد ٣٢٣ هـ (١) وقد تسنى له الاتصال بمهلهل بن يموت كثيرا أثناء عمله فى ديوان أبى نواس (٢) ، وهناك فارق آخر بين الصولى وحمزة الأصفهانى ، إذ يبدو أن الصولى كان يمثل الراوية الأكثر تمحيصا لمرويات دواوينه، وكان فى ذلك يفوق حمزة برغم حسن اجتهاده ، ومزيته على الصولى فى طريقة الترتيب وغزارة المادة ٠

على أن ديوان أبى نواس لحمزة قد اشتمل على كثير من الشعر المنحول لأبى نواس أو المشكوك فيه ، (٣) أما الصولى فقد استطاع ان يخلص ديوانه من المنحول (٤) والى جانب الاهتمام بدواوين المحدثين من الشعراء ،اهتم رواة هذه المرحلة بدواوين القدامى ، فصنع لنا أبو هلال العسكرى ديوان أبى مِحْجَن الثقفى ، أحد الشعراء الإسلاميين فى عصر النبوة (٥) ٠

بل إن بعض رواة هذه المرحلة قد استطاع أن يزودنا بدواوين لم يكن لها وجود من قبل ، لشعراء إسلاميين ،

---

(١) انظر بروكلمان : ٣/٦٠ وتوفى حمزة ٣٥٠ هـ٠
(٢) ياقوت : معجم الأدباء : ١/١٤٦ ٠
وانظر : ديوان أبى نواس : ١/٣٨ ١٤٧ ٠ وقد طبع هذا الديوان برواية حمزة فى القاهرة بعناية إسكندر آصاف ١٨٩٨ ، ثم طبع مرة أخرى بالمطبعة الحميدية ١٣٢٢ هـ كما نشر أفالد فاغنر الجزء الأول ، كما نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨ ٠
وانظر نسخا مختلفة للديوان برواية حمزة فى (بروكلمان : ٢/٣٠)
(٣) الفهرست : ٢٢٨ ٠
(٤) بروكلمان ٢/٣ ٠
(٥) الشعر والشعراء : ٢٥١ ، والأغانى :٢١/٢١٠ _ ٢٢٠ (بولاق) »

فالمرزبانى كان أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبى سفيان واعتنى به ، ووصفه ابن خلكان بأنه (صغير الحجم ، يدخل فى مقدار ثلاث كراريس (١) وإلى جانب العناية بشعر المحدثين وبصنع دواوينهم ، توجهت عناية أهل الرواية الى صنع دواوين لأثار شعراء المائة الرابعة ، وهى عناية بلغت شأواً بعيدا ، يمكن ان نتبين مداها بنظرة فاحصة على ما تم صنعه من هذه الدواوين ، فى أمثال الفهرست لابن النديم ·

فى موضع منه نصل عقده عن (أسماء جماعة من الشعراء المحدثين ممن ليس بكاتب بعد الثلاثمائة الى عصرنا هذا) (٢) ·

وقد بلغ عدد الدواوين التى صنعت لهؤلاء ، قريبا من خمسة وعشرين ديوانا · ومن هؤلاء الشعراء : عدد كبير من شعراء سيف الدولة الحمدانى ، كالصنوبرى (٣) (ت ٣٣٤ هـ) ، الذى عمل الصولى (٤) شعره ، والمتنبى (٥) الذى عمل ابن جنّى ديوانه ·

---

(١) وفيات الأعيان (١/٤٧٥ ٧ ·

(٢) أى الى عصر ابن النديم · ولاحظ أيضا أنه يطلق وصف (المحدثين) على شعراء القرن الرابع · ونستخدم نحن وصف (شعراء القرن الرابع) تمييزا لهم عن الشعراء المحدثين فى القرن الثالث وما قبله · وانظر الفهرست : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ·

(٣) أبو بكر محمد بن أحمد وقيل أحمد بن محمد من الشعراء الوصافين للطبيعة (فوات الوفيات : ١/٦١) ·

(٤) الفهرست ٢٣٩ ، ٢٤٠ ·

(٥) احمد بن الحسين أبو الطيب الجعفى أشهر شعراء زمانا (ت ٣٥٤ هـ)

واذا كان الصولى مثال الراوية المحقق فى صنعه للدواوين ، فلقد كان ذلك دأب أهل الرواية من غير الصولى، فإن وراق الجهشيارى حين جمع ديوانا لابن الرومى ، قد رأى أن يرجع إلى نسخ مختلفة ، وانتهى إلى ديوان لابن الرومى زادت فيه عدد الأبيات عما فى سواه من الدواوين نحو ألف بيت (١) ٠

لقد شارك شعراء القرن الرابع فى جمع أشعارهم وصُنع دواوينهم ، حتى يتسنّى لهم إخضاعها لمزيد من التجويد والتنقيح: فالسَّرِيّ الرَّفَّاء (ت ٠ ٣٦٠ هـ) قد صنع ديوان شعره قبل موته فى نحو ثلاثمائة ورقة،ثم زاد بعد ذلك ، ويذكر لنا ابن النديم أنه (قد عمله بعض المحدثين الأدباء على الحرف) (٢) ٠

وأبو فراس الحمدانى الشاعر الفارس (٣) (ت ٣٥٧ هـ) قد رتّب ديوان شعره قبل موته بقليل بعد أن نقده ومحا منه بعض القصائد ،ويبدو من نسخةديوانه التى رواها ابنخالويه (٢) (ت ٠ ٣٧ هـ) عنه ، انه كان يدفع بشعره إلى ابن خالويه ، ويؤثره بآثاره ، ويحظر عليه اذاعة ما يرويه عنه، اذ يقول ابن خالويه فى مقدمة هذا الديوان : (وما زال

---

(١) الفهرست : ٢٣٥ ٠
(٢) الفهرست : ٢٤١ ٠
(٣)ديوان أبى فراس ابن خالويه (ط بيروت) مقدمة ابن خالويه ٠
وأبو فراس هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، وهو ابن عم سيف وفارس أيامه (اليتيمة ١/٢٢ - ٦٢) (ط الصاوى)

رضى الله عنه وأرضاه، وكرم منقلبه ومثواه، شديد الاجابة بحق الأدب ،ورعاية لحق الصحبه وعلما بأهل المخالصة ،يلقى الى دون الناس شعره ويحظر على نشره حتى سبقتنى واياه الركبان فجمعت ما ألقاه الى) (١) ٠

ولم يكن رواة القرن الرابع - وهم يصنعون دواوين أبناء زمانهم ، وشعراء جيلهم - يكتفون بأبناء أقاليمهم ، بل كانت جهودهم تمتد الى أبناء الأقاليم الأخرى فيصنفون دواوين لآثار أبناء تلك الأقاليم ، ممن أمكن لهم أن يتعرفوا عليهم ، ويقفوا على آثارهم وتصلهم بهم أسباب الألفة عن طريق الرحلة ، او عن طريق المكاتبة ٠

فالقفطى يحدثنا أن ابن خالويه ، دخل الى اليمن ، وأنه جمع ديوان شعر ابن الحائك (٢) أحد شعرائها ورواتها فى زمانه ، وأن ابن خالويه لم يكتف بهذا الجمع ، بل انه عرب الشعر وأعربه (٣) ، وقد كان ابن الحائك اليمنى ، يكاتب - من قبل - رواة بغداد ومنهم ابن خالويه وابن الأنبارى ، بل انه يتخلف بين صنعاء وبغداد) (٤) ٠

---

(١) انظر مقدمة ابن خالويه لديوان أبى فراس المتقدم
(٢) أبو عبد الله الحسن بن احمد ولد بهمذان وقدم بغداد عام ٣١٤ ومن تلاميذ ابن دريد وابن الانبارى ، وشارك فى رواية آثار المحدثين فى عصره ٠
(٣) انباه الرواة (١/٣٨٤)
(٤) انباه الرواة (١/٣٨٤)

الفصل الثالث

أخبار الشعراء

١ ـ أخبار عامة :

زخر القرن الرابع بنشاط ضخم فى رواية اخبار الشعراء ،وتنوع هذا النتاج ضخامة وقلة ، ومنهجا، وهدفا ، ونحاول فيما يلى أن نسجل بعض الملاحظات على نشاط الرواية الأدبية فى هذا المجال ، ثم نتبع ذلك بثبت يضم شتات هذا النتاج ، أو يقربه ، كما صنعنا بدواوين الشعراء ٠

فأول ما نلاحظه أن هذا الاتجاه فى الرواية الشعرية كان تقليدا له سوابقه وآثاره التى انتهت إلى القرن الرابع مما سبقه كصنيع ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) وابن سلام فى (فحول الشعراء) ٠

١ ـ وكان من أواخر الرواة فى القرن الثالث تأليفا فى أخبار الشعراء ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) (١) ٠

٢ ـ بل ان عناوين بعض كتب القرن الرابع تأتى متأثرة بعناوين كتب ما قبل القرن الرابع وتكاد أن تعارضها ، فان محمد بن داود الجراح (ت ٢٩٦ هـ) يصنف كتاب

---

(١) وانظر ثبتا بأصحاب (طبقات الشعراء) فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فى رسالتنا للماجستير (مخطوطة بمكتبة دار العلوم) ص ١٧٦ ٠

الورقة) ليستوفى تراجم بعض الشعراء جاعلا كل شاعر فى ورقة ، فيأتى الصولى ليؤلف كتابه : (الأوراق) .

٣ — كما أن الاتهامات التى وجهت إلى بعض من روى أخبار الشعراء فى القرن الرابع بالسطو والانتحال ليكتب أسلافهم قبل القرن الرابع ، هذه الاتهامات فى حد ذاتها ، تأتى أيضاً دليلا على تواصل الجهود بين القرن الرابع وما قبله فقد اتهم الصولى مرتين ، مرة بانتحال كتاب المرشدى فى أخبار الشعراء ، وذلك حين ألف الصولى كتاب (الأوراق) ، ومرة أخرى اتهم أيضاً بانتحال كتاب لدعبل بن على الخزاعى[1] فى أخبار الشعراء ، وذلك حين ألف الصولى كتابا فى أخبار الشعراء .

فقد كانت هذه التهم — صادقة أو كاذبة — تضع دائماً ميراث القرن الرابع الهجرى موضع المقارنة بميراث ما قبله ، وتصله به وصلا ولو استعرضنا بعض كتب أخبار الشعراء فى القرن الرابع الهجرى لوجدنا كيف تتصل أسانيدها برواة هذا النمط الأدبى فى القرن الثالث[2] بالذات .

ولقد غدا كتاب الأوراق فى أخبار وأشعار خلفاء بنى العباس نموذجا يحتذى لدى بعض خلفاء بنى أمية بالأندلس ، فقد أصدر الحكم المستنصر الخليفة الأموى أمره إلى بعض رواة الأندلس وهو عبد الله بن مغيث[3]

---

(١) أبو جعفر الحسن بن على الخزاعى . قضى أكثر حياته فى بغداد ، توفى ٢٢٠ ﻫ (الشعر والشعراء ٥٣٩) لابن قتيبة .

(٢) أنظر مقدمة محمود شاكر لكتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام ص ١٣ وما بعدها حيث أورد نماذج كثيرة لروايات صاحب الأغانى عن ابن سلام بطريق الفضل بن الحباب المعروف بأبى خليفة الجمحى (بغية الوعاة ٢ / ٢٤٥) .

وأنظر أيضاً أمثلة لاتصال الأسانيد فى ٢٦ - ٢٧ - ٣٧ - ٤٥ - ٥٠ - ١٠١ - ٢٠١ .

(٣) يعرف بابن الصفار راوية أندلسى كان مشهوراً بالعلم (وتوفى ٣٥٢ ﻫ) .

بتأليف كتابه فى أشعار الخلفاء الأمويين بمجاراة للصولى ، وضمن له الحكم المستنصر كل التيسير الممكن لقاء إنجازه ما طلب ويصف لنا الحميدى الكتاب بأنه كان أثيرا عند الحكم وقد أهدى ابن الصفار – وتلك كنيته التى اشتهر بها – الكتاب للحكم المستنصر[1]

ثم ملاحظة أخرى : هى أن حركة الرواية لأخبار الشعراء لم تقف عند صقع دون صقع ، وإنما اتسعت آمادها عبر المسافات الشاسعة، فألف فيها أهل العراق ، وألف فيها أهل أصفهان حيث قدم لنا حمزة الاصفهانى كتابا فى (شعراء أصفهان)[2] .

وقد مضى ذكر كتاب ابن الصفار فى شعراء بنى أمية بالأندلس ، ونضيف ما ذكره ابن الفرضى من تأليف عثمان بن ربيعة الأندلسى كتابا فى (طبقات الشعراء) بالأندلس[3]. وفى مصر ألف أيضاً أبو جعفر النحاس كتابا فى (أخبار الشعراء)[4] .

وبمقدار امتداد هذه الحركة عبر المكان ، كان امتدادها على مدى القرن الرابع بداية ، وموسطا ونهاية . ففى بدايته أمثال عثمان بن ربيعة، وفى موسطه أمثال حمزة الأصفهانى[5] ، وبلديه أبو الفرج[6] ، وفى نهايته محمد المرزبانى[7] .

---

(١) جذوة المقتبس : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
(٢) معجم الأدباء : ١٧ / ٤٣ ؛ ١٤٤ .
(٣) بغية الملتمس : ٤١١
(٤) أنباه : ١ / ١٠١ ومعجم الأدباء : ٤/٢٢٨ .
(٥) ت ٣٥٠ هـ .
(٦) ت ٣٥٦ .
(٧) ت ٣٨٤ هـ .

هذا إلى تنوع ارتماطها وأشكالها ؛ فن (الشعراء العشاق)[١] إلى (القضاة الشعراء)[٢] و (الإماء الشواعر)[٣] ؛ و (الخلفاء الشعراء)[٤] .

ومهما يكن من قول ، فيما يتعلق بهذا الاتجاه التأليفى من اتجاهات رواية الأدب فى القرن الرابع الهجرى ، سواء فى الكثرة ؛ أو التنوع ، أو الامتداد الزمنى والمكانى، فإن هناك راويين يقفان بين سائر الرواة فى هذا القرن بأوفى نصيب من الجهد لجمع أخبار الشعراء :

أولهما : أبو الفرج الأصفهانى ، بكتابه الأغانى وسواه ، كالإماء الشواعر

وأما الثانى : فهو المرزبانى الذى يحظى وحده بقريب من سبعة كتب ، كلها فى أخبار الشعراء .

وكان المرزبانى راوية مشهوداً له بسعة الرواية والصدق، حتى قال عنه ابن النديم . (آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين ؛ راوية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات ، ، كثير السماع)[٥] كما وصفه القفطى بقوله : (كامل ذكى ، رواية مكثر)[٦] وبأنه (مقدم فى الدولة وعند أهل العلم)[٧] .

ذلك اتجاه هام من اتجاهات رواية الادب فى القرن الرابع . يوقفنا على مدى الجهد الذى بذله رواة هذه الحقبة ، وعلى مدى الثراء فى الرواية ، والتنافس فى العلم .

---

(١) مثل كتاب ابى داود الظاهرى ، وكتاب أبى الفرج الجيانى (ت ٣٦٦ هـ) المسمى بالحدائق .

(٢) لاحمد بن كامل بن خلف الشجرى (ت ٣٥٠ هـ) .

(٣) لابى الفرج الاصفهانى .

(٤) للصولى كتاب الاوراق ولابن الصفار كتابه الذى ألفة للحكم المستنصر ، وللمرزبانى أيضاً كتاب عنوانه (أشعار الخلفاء) ولعله عرض فيه للاخبار بحكم تخصصه (الفهرست) .

(٥) الفهرست : ١٩٠ .

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

ثبت بكتب فى أخبار الشعراء فى القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادر وروده ، مع بعض الملاحظات
١	أخبار الشعراء النحاس (ت ٣٣٨ﻫ)	إنباه الرواة : ١٠١/١ ، ياقوت : ٢٢٨/٤
٢	شعراء أصفهان لحمزة الأصفهانى (ت ٣٤٠)	بروكلمان : ٦٢/٣ : ٦٢/٣ ، ورأى بروكلمان احتمال كونه جزءاً من كتابه (تاريخ اصبهان) ، وانظر معجم الأدباء : ٢٨٩/٦ ، ٢٩٢ .
٣	الاغانى و (الإماء الشواعر) وكلاهما لأبى الفرج (ت ٣٥٦ﻫ)	ابن شاكر الكتبى : الوافى بالوفيات : ٥٤/١ ، والإعلان بالتوبيخ للسخاوى ١٠٤
٤ ٥	المؤتلف والمختلف للآمدى الشعراء المشهورون	مطبوع (عيسى الحلبى) بتحقيق عبد الستار فراج ذكره الآمدى فى (المؤتلف والمختلف) ص ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨
٦	الموثق فى أخبار الشعراء المشهورين المرزبانى	ضم الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين إلى الدولة العباسية ولعله نفس الكتاب السابق .
٧	المفيد فى أخبار الشعراء المحدثين المشهورين المرزبانى	أولهم بشار وآخرهم ابن المعتز وهو فى عشرة آلاف ورقة — الفهرست : ١٩١
٨	المفيد فى أخبار المقلين من الشعراء وكناهم ومذهبهم إلى غير ذلك من الفنون المرزبانى	خمسة آلاف ورقة الفهرست : ١٩١ .
٩	أشعار النساء المرزبانى	فى خمسة ورقة الفهرست ١٩١

تابع : ثبت بكتب فى أخبار الشعراء فى القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادر وروده ، مع بعض الملاحظات
١٠	أشعار الخلفاء للمرزبانى	فى مائتى ورقة الفهرست ١٩١
١١	أخبار القضاة الشعراء لأحمد بن كامل الشجرى (ت ٣٥٠ هـ)	بروكلمان : ٧٢/٣ وبغية الوعاة : ٣٥٤/١ ومعجم الأدباء : ١١٥/١٤ ، ١٢٦ وتاريخ بغداد : ٣٥٤/١
١٢	الحدائق لأحمد بن محمد بن فرج الجيانى	جذوة المقتبس : ١٠٥ ، وذكر الحميدى أنه ألفه للحكم المستنصر وعارض فيه كتاب الزهرة لداود الظاهرى (ت ٢٩٧ هـ) والفرق بينهما أن كتاب الزهرة فى مائة باب وفى كل باب مائة بيت ، بينما كتاب الجيانى جاء فى مائتى باب فى كل باب مائة بيت ولم يورد لغير أندلسى شيئا ولاحظ ماقلناه بشأن معارضة أهل القرن الرابع لرواة المائة الثالثة .
١٣	محمد بن عبد الرءوف الأزدى الأندلسى	تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى : ٦٢
١٤	أخبار أبى نواس والمختار من شعره ليوسف ابن الداية	الفهرست لابن النديم : ٢٢٨ .
١٥	أخبار أبى نواس ومختار شعره لأبى الحسن السميساطى	الفهرست : ٢٢٠ . وذكر ابن النديم بأنه (يحيا فى عصرنا)
١٦	أخبار أبى تمام والمختار من شعره	الفهرست : ٢٢٠

تابع : ثبت بكتب فى أخبار الشعراء فى القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادره وروده ، مع بعض الملاحظات
١٧	أخبار عمر بن أبى ربيعة	
١٨	أخبار الأحوص وهما لعلى بن محمد بن بسام[1]	الفهرست : (ط التجارية) ص ٢١٤
١٩	ابن الحرون : محمد بن أحمد بن الحسين له كتاب الشعر والشعراء	الفهرست : ٢٢٠
٢٠	ابن عماد الثقفى (٣١٩ هـ) — أخبار أبى نواس — أخبار حجر بن عدى - أخبار ابن الرومى والاختيارات من شعره — أخبار أبى العتاهية	الفهرست ص ٢١٢

(١) أحد علماء القرن الثالث الهجرى ، ذكره ابن النديم (فى أخبار العلماء وأسماء ماصنفوه من الكتب)وذكر أنه كان شاعراً أديباً من الظرفاء الكتاب لا يسلم من لسانه أحد . وانظر (الفهرست ٢١٤)،وأورد ذكره عرضاً صاحب (النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى) .

تابع : ثبت بكتب فى أخبار الشعراء فى القرن الرابع

رقم	الكتاب والمؤلف	مصادره وروده ، مع بعض الملاحظات
٢١	ابن طباطبا العلوى وله (الشعر والشعراء)	الفهرست : ١٩٦
٢٢	ابن السراج : محمد بن السرى البغدادى (ت ٣١٦ هـ) له (الشعر والشعراء)	بغية الوعاة : ١ / ١١٠ و أنباه الرواه : ٣ / ١٤٩
٢٣	محمد بن هشام بن عبد العزيز له كتاب ألفه فى (شعراء الأندلس)	جذوة المقتبس : ص ٩٦ وانظر الإشارة إليه فى بغية الملتمس فى الترجمة رقم (١٢٦٨) ص ٤٣٧ .
٢٤	الخالديان : أبو بكر وأبو عثمان محمد وسعيد ابنا هشام : أخبار أبى تمام ومحاسن شعره	الفهرست : ٢٤١ .
٢٥	الخالديان أيضا . أخبار شعر ابن الرومى أخبار شعر البحترى أخبار شعر مسلم بن الوليد	الفهرست: ٢٤١

٢ - الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) :

أما أبو الفرج ، فهو على بن الحسين ، ولقبه الأصفهانى لا يعنى كونه فارسى الأصل ، فإنما لقبه بالأصفهانى لولادته فى أصفهان ٠ وهو - بعد - عربى يتصل نسبه بمروان ابن الحكم من بنى أمية ، ومع هذا فهو شيعى المذهب أموى النسب والأرومة ٠

نشأ ابو الفرج فى بغداد إبان ازدهارها ، حيث آل اليها ميراث البصرة والكوفة ، حين مالت عنهما شمس الفكر والأدب ٠ وانكسرت حدة المنافسة العلمية ، والسباق الأدبى الذى كان بينهما ٠ وقد كانتا - فيما مضى من زمانها مدة سنتين - متخالفتين مذهبا وطريقة ورجالا ٠

وكان أبو الفرج من أعيان أدباء بغداد ومشاهير علمائها وأهل الرواية بها ٠ ويصفه التنوخى (ت ٤٤٧ هـ) بعبارة جامعة ، فيقول : (ومن الرواة الذين شاهدناهم أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى ، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغانى ، والأخبار والآثار والأحاديث المسنده والنسب ، مالم أر قط من يحفظ مثله ، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها من علوم أخر ، منها اللغة والنحو والخرافات والسيرة والمغازى ، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا ، مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك (٢)

وهذا الوصف يشعرنا بما اتسمت به المعرفة عند

---

(١) انظر انباء الرواة : ٢/٢٥١٠

(٢) نفسه ٠

أبى الفرج من الطابع الموسوعى ، ذلك الطابع الذى انعكس بوضوح على كل ما صنع ، وفى مقدمة ذلك (الأغانى) ثم يليها تصانيف أخرى مثل : كتاب القيان ، والإماء الشواعر وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة الأطباء ، وأخبار جحظة البرمكى ، ومقاتل الطالبيين (١) ، والحانات ، وأدب الغرباء (٢) .

كما ألفت مجموعة أخرى من كتب الأنساب ، تشهد كثرتها بسعة روايته فى هذا المجال الهام من مجالات (الأدب والتاريخ) ، وبينها نسب عبد شمس ، وجمهرة بنى شيبان والمهالبة ونسب بنى كلاب (٣) .

الأغانى :

ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغنى به عن سواه (٤) ، ومنهم الصاحب بن عباد (٥) ، والحكم المستنصر (٦) ، وقد رتب المؤلف أبواب كتابه على مائة صوت من أصوات الغناء العربى الذى شاع على عصره ، كما ذكر لنا أبيات كل لحن ، وعين نغمها ، ومن غناها ، ثم استطرد إلى الترجمة للشاعر الذى نظم الأبيات .

وقد غدا الكتاب بفضل سعة روايته ، من أوفى المصادر

---

(١) نشره عيسى الحلبى بتحقيق السيد أحمد صقر .
(٢) نشر أخيرا فى بيروت ، وذكر عنوانه الأصلى بروكلمان وهو (كشف الكربة فى وصف الغربة) بروكلمان : ٣٢٦/٣ .
(٣) بروكلمان : ٧١/٣ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية : ٣٢٦/٢ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) جذوة المقتبس ص ١٣ وبغية الملتمس : ص ١٨ .

الأدبية فى ذكر الشعراء وسـائر الكتاب وأهل الغنـاء ، وكذلك الرواة ، وغيرهم ٠

هذا إلى ما ضمه من أيام العرب وأنسابهم ، وقبائلهم ، وبلدانهم وما رواه من آثار الجاهلية والإسلام ، ولا سيما ما كانوا يتغنون به ، هـذا الى آداب القـوم فى طعـامهم وشرابهم وحربهم وسلمهم وسائر أحوالهم ٠

مصادر الأغـانى :

وأولها الرواية ، وعمدته فيها (رواة مرحلة الاتصال) مثل أبى بكر الصـولى ، وابن دريد ونفطـويه ، والأخفش ومحمـد بن عبد العزيز الجوهـرى (١) الذى روى عنـه أبو الفرج مكاتبة ، وأبى بكر الجرجانى وقدامة بن جعفر ، وعبـد الله بن هـارون ، وابن طبـاطبا العـلوى ، وأبى عبد الله الحكيمى ٠

والملاحظ أن هؤلاء الرواة الذين نقل أبو الفرج عنهم ، بعضهم معروف مشهور وبعضهم أقل حظا من الشهرة ، هذا الى تنوعهم بين الأخباريين ورواة الأشعار ، وعلماء البلاغة ٠

بالاضـافة الى أثر مذهبه فى روايتـه ، الذى ينعـكس على ظواهر من بينها رواته أنفسـهم ، فهو مثلا – يروى عن اسماعيل بن يونس الشيعى ، الذى يشـاركه انتماءه المذهبى ، لأنه شيعى مثله (٢) ٠

وأبو الفرج – فى كثير من الحالات – لا يسلم تسـليما

---

(١) أغفلته كتب التراجم وذكره الصولى فى الأوراق فى ٣٢٣ هـ وهى سنة وفاته فقال : توفى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، صاحب عمر بن شبه لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، (وانظر الأوراق : ٦٤) ٠

(٢) لم اعثر له على ترجمة ٠ وانظر الأغانى : ٤/٢٢٠، ٢٧٠، ٣٣٢
٥/٨٩، ١٠٦، ٣٣٣
٦/١٦٤، ١٧١، ٢٨٥

بالنقل والرواية ، وانما يقرن أسانيده بما يشعر بشكه ، ويشى بتجريح من روى عنهم ، أو على الأقل ، التوقف فى قبول ما يروونه ، مثل قوله ·

أ - أبيات خلط الرواة فى نسبتها : ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى) (١) ·

ب - وفى أبيات ينسبها أبو بكر الصولى الى يحيى بن مروان : (وهذا غلط قبيح) (٢) ·

جـ - وفى أبيات تروى لابن البواب : وعلى أن الذى رواها غلط فى روايتها غلطا بينا لأنها مشهورة ·· (٣)

أما المصدر الثانى الذى اعتمده الأصفهانى فهو الكتب: ومنها على سبيل المثال :

أ - الآداب الرفيعة لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وهو من ندماء الخليفة المعتضد ، ومن ذوى المكانة عنده لثقافته فى فنى الغناء والموسيقى وطول باعه فى الشعر والرواية وعلوم الأوائل وتوفى فى ٣٠٠ هـ وكتابه المتقدم قد أثنى عليه صاحب الأغانى فقال : وهو فى النغم والأغانى (٤) ·وهو كتاب مشهور جليل الفائدة ، دال على فضل مؤلفه (٥) ·

---

(١) الاغانى : ٢٦/١٦ ، ٢٧ ·
(٢) الأغانى : ١٤٩/٧ ·
(٣) وانظر فى ترجمة تاريخ بغداد للخطيب : ٣٤/١٠ - ٢٤٤ ·
(٤) وذكر ابن طاهر وكتابه المتقدم أيضا بروكلمان : ٦٦/٣ ·
(٥) الأغانى : ١٤٩/٧ ·

ب - طبقات فحول الشعراء : وفى ثنايا الأغانى الكثير من الأسانيد اليه ، والواقع ان خليفة الفضل بن الحباب كان قد روى كتاب (طبقات فحول الشعراء) عن مصنفه ابن سلام، ثم كتب الى أبى الفرج بكل مارواه عن خاله : ابن سلام . كما كان قد كاتب أبا الفرج بمرويات أخرى ، وأجاز أبا الفرج بالرواية عنه .

ورأى ناشر (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام أن هذه الكتب لم تصل الى أبى الفرج الا بعد اعداد كثير من مادة كتاب (الأغانى بدليل أن الأصفهانى ، لم يذكر ابن سلام ، ولا طبقاته فى كثير ممن ترجم لهم) (١) .

كما يوثق ناشر كتاب (طبقات فحول الشعراء)، أبا الفرج فى أكثر مارواه فى كتابه الأغانى نقلا عن طبقات ابن سلام ، ويرى أن أسانيد صاحب الأغانى عن أبى خليفة ابن سلام ، إنما هى الى كتاب الطبقات نفسه لا غيره فى أكثر مابين أيدينا (٢) .

جـ - على أنه من الكتب التى رجع إليها أبو الفرج كتب أخرى ، لا يتسع المجال لحصرها ، أو الحديث عن أكثرها فمنها : « البيان والتبيين » للجاحظ ، وديوان أغانى حكم الوادى ، ورسالة أبى الفرج الأصفهانى فى علل النغم ، والتى نرجح تأثره فيها برسالة ابن طاهر « والروضة لأبى العباس المبرد وكتاب اقليدس فى الهندسة ، والأغانى الكبير لاسحاق الموصلى .

وهى مصادر يتضح فيها طابع التنوع ، وسعة الاطلاع ،

---

(١) مقدمة الناشر لطبقات ابن سلام (ط دار المعارف) ص ٣٠ .
(٢) المرجع السابق .

وتعكس بوضوح غنى المكتبة الاسلامية ، فى القرن الرابع ، بالمراجع التى يسرت لاعلماء وأهل الرواية سبيل التأليف ٠

ويبقى بعد ذلك نقطة أثارها أبن النديم ، وهى وثيقة الصلة بمصادر أبى الفرج من الكتب ، فقد قال ابن النديم : عن أبى الفرج (وله رواية يسيرة ، وأكثر تعويله فى تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد) (١) ٠

وفى قول ابن النديم ، فى أوله ، ما يقلل من أهمية الرواية فى أغانى الأصفهانى ، ويقلل بالتالى من شأن أبى الفرج باعتباره راوية ، مادامت (روايته يسيرة) فى أكبر تفصانيفه ، وأكبر ما أثر عن القرن الرابع وما سواه من كتب فى الرواية ٠

والذى ينظر فى كتاب الأغانى ـ متأنيا أو متعجلا ـ يتضح له خلاف ما ادعى ابن النديم ٠ وذلك من جملة وجوه نوجز أهمها فيما يلى :

أ ـ أن عدد الكتب التى رجع اليها أبو الفرج الأصفهانى فى أغانيه لا تزيد على خمسة وسبعين كتابا تقريبا ، وهو عدد لايتناسب مع حجم الكتاب ، وضخامة ما حواه من المواد الأدبية والاخبارية ٠ اذن فلا بد أن يكون معتمده أساسا على الرواية ، وليس على النقل من الكتب ٠

ب ـ ان نقوله من الكتب ، ليست دائما بطريق النقل المباشر ، فقد تقع بطريق الرواية وقد سبق ذكر ذلك فيما

---

(١) الفهرست : الى ١٦٦ ، ١٦٧ ، ووردت عبارة (ع الكتب المنسوبة) مصحفة الى (الكتب لمتسوية) وذلك فى الطبعة التى رجعنا اليها وهى طبعة التجارية ٠

يتعلق بكتاب (طبقات الشعراء) لابن سلام . الذى روى أبو الفرج مواده بطريق (المكاتبة) عن الفضل ابن الحباب ابن أخت ابن سلام .

جـ — الأسانيد ، وذكره الرواة فى ثنايا الكتاب ، فهو يلتزم الاسناد التزاما لا إخلال فيه ، موثقا بذلك مروياته التى وقعت له — فى الأعم الأغلب — بطريق الرواية .

وكثيرا ما يلجأ أبو الفرج الى رواية الأثر الواحد من طرق متعددة ، مع المقارنة بينها ضعفا وقوة ، (١) كما ينص على ما قد يكون فى الإسناد من انقطاع ، ملقيا بذلك ظلالا من الشك على ما يرويه (٢) ، فإذا روى الأثر عمن لم يسنده، نصّ أيضا بمثل قوله (حدثنى ... ولم يسنده) (٣) .

ء — أستبعد أن يكون كتاب (طبقات فحول الشعراء) وحده هو كل ما وقع لأبى الفرج من طريق الرواية ، بل أرجح ان تكون سائر الكتب التى رجع إليها ، قد وقعت أيضا بطريق الرواية . إذ كانت هذه عادة أهل عصره ، فمن المستبعد عن مثل أبى الفرج أن يشذ أو يخرج عن المألوف ، هذا إلى أنه مع نقوله عن الكتب ، نراه يقرن هذا النقل بالإسناد ، مما يقوى من هذا الترجيح (٤) .

وفيما نواصل بحثه من ظواهر الرواية عند صاحب

---

(١) الأغانى (ط دار الكتب) : ٣/٢٣٤،٤/٢٧٢ ، ١٢/٢٧ ١٥/٢٤٦ .

(٢) الأغانى (دار الكتب) : ٢/٣٤٨ ، ١٢/٢٦٥ .

(٣) انظر — مثلا — ٣/٣١٤ (ولاحظ أن الطبعة التى رجعنا اليها من كتاب الأغانى هى (دار الكتب) فقط .

(٤) الأغانى : ١٣/٩ هـ ، ١٤/٥٢ ، ١٦/٤٠ .

الأغانى قرائن ترد زعم (الرواية اليسيرة) الذى ادعـاه ابن النديم على صاحب الأغانى ٠

معاييره النقدية : وأهمها :

المعيار الأول ـ الرجوع الى الكتب : سواء كانت دواوين **شـعرية** ، أو تاريخيـة ، أو غير ذلك ، ويأتى الاعتماد على دواوين الشعراء ، اذا كان فى مقام توثيق أو تحقيق لأثـر **شعرى لرفضه أو قبوله** ٠

من قبيل ذلك على سبيل المثال :

أ ـ عند روايته أخبارا وآثارا لدريد بن الصمة يقول : (**هذه الأخبار** التى ذكرتها عن ابن الكلبى موضوعة كلها ، والتوليد بيّن فيها ، وفى أشعارها ، وما رأيت شيئا فىديوان **دُريد** بن الصِّمَّة على سائر الروايات) (١) ٠

ب ـ أبيات نسبها يحيى بن على ابن الأعشى ، وقد رد **أبو الفرج** هذه النسـبة ، وقال : (الشـعر لابن المولى ، **وذكر** يحيى بن على ٠٠ أن الشـعر للأعشى ٠٠ وذلك غلط ، **وقد التمسناه** فى شعر كل أعشى ذكر فى شعراء العرب ، **فلم نجده** ، ولا رواه لأحد منهم ، ووجدناه فى شعر ابن المولى **من قصيدة له طويلة جيدة** (٢) ٠

جـ ـ قصيدة نسبها الرواة لابن هـرمة ، وقد رد ذلك **بقوله : (ولم أجد هذه القصيدة فى شـعر ابن هرمة) (٣)**

---

(١) الأغانى : ١٠/١٨٠ ٠
(٢) الأغانى: ٤/٣٧٨ ٠
(٣) الأغانى: ٤/٣٧٨ ٠

ولا يتورط أبو الفرج الأصفهانى فى إصدار أحكام حين لا يسعفه الدليل ، أو يسنده الشاهد ، وإنما يتحفظ حتى لا يسوقه الاندفاع إلى اللوم والمؤاخذة ، من ذلك أبيات يرويها الرواة لعنترة ، فيعلق عليها بقوله : (وما رأيت هذا الشعر فى شىء من دواوين شعر عنترة ، ولعله من رواية لم تنقل إلينا ٠٠ إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه) (١) ٠

والملاحظ فى رجوع أبى الفرج إلى الدواوين الشعرية، أنه ـ فى كثير من الأحيان ـ ترد إشاراته إلى الدواوين لتصحيح الروايات أو توثيقها لتكون صورة من صور الجهد العلمى المخلص ، والذى يرقى الى الاستقصاء والاستقراء التامين، مثل إشارته إلى الرجوع لشعر كل أعشى (٢) ، وشعر المرقشين جميعا ٠٠ (٣) ٠

المعيار الثانى ـ التاريخ : وهو المعيار الثانى من معايير أبى الفرج النقدية ٠ وأبو الفرج من المهتمين بالتاريخ ٠ واهتمامه به ، وفهمه لقضاياه ، ومسائله ، أعانه على التصحيح والتحقيق ٠

فهو على سبيل المثال يرفض خبرا يجمع بين الرشيد وواحد آخر لم يدركه ، ويناقش الخبر،ويوجه احتمالاته (٤)٠

ويرد خبرا آخر رواه مصعب ، خلط فيه بين قيس بن شماس وقيس بن الحطيم بقوله : (وأحسب هذا غلطا من مصعب ، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس ، وأما

---

(٢) مضى ذلك ٠
(١) : ٨/٢٣٥ ٠
(٣) الأغانى : ٦/٩ ٠
(٤) الأغانى ٦/٣١

قيس بن الحطيم ، فقتل قبل الهجرة (١) ٠

المعيار الثالث : سبق أن أشرنا الى اهتمام أبى الفرج بوصف أسانيده من حيث الضعف والقوة ، ومن حيث الانقطاع والاتصال ٠ ونضيف هنا اشارات الأصفهانى الى الرواة ، وقد مضى احداها بشأن ابن الكلبى ، ونحاول هنا أن نوضح أبعاد موقفه ونظرته من أكثر الرواة استهدافا لتجريحاته ، وهو ابن خرداذبة ، الذى تقدم الحديث عنه بايجاز : فهو ابو القاسم عبيد الله بن احمد ابن خرداذبة ، وكان أحد ندماء الخليفة ، المعتمد (٢) ،والذى يستشف من أخباره أنه كان شغوفا بالمنادمة واللهو ٠ وإذا عرفنا أن خرداذبة كان من ندماء الخليفة ، استطعنا ان نتعرف على شىء هام فى حياة ذلك الرجل الذى ضنت المراجع بأخبار مستفيضة عنه وكانت وفاته ٣٠٠ هـ ٠

وأهم ما تركه ابن خرداذبة من كتب هو كتابه فى الجغرافية : المسالك والممالك (٣) ، وهو أحد المراجع الهامة فى أحوال الأقاليم وكان ثمرة نضج علم الجغرافيا لدى المسلمين فى القرن الثالث الهجرى (٤) ، وقد ظهر هذا الكتاب حوالى ٢٣٢ هـ ، واعتمد مؤلفه على كثير مماكتبه

---

(١) الأغانى : ٣/١٠ ٠

(٢) أحمد بن على بن لمتوكل بن المعتصم ولد ٢٣١ هـ وبويع له بالخلافة ٢٥٦ هـ وتوفى ٢٧٦ هـ ، وكان منصرفا عن أمور الدولة الى اللهو وأحاديث الغناء (محمد الخضرى : الدولة العباسية : ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤) ٠

(٣) نشرته مكتبة المثنى ببغداد وطبعه المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر بطريقة الفوتو أوفست ٠

(٤) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية القرن الرابع الهجرى ٢/٦ ٠

بطليموس فى بيان حدود الأرض ومسالكها (١)
على أن سـائر كتب ابن خـرداذبة تتسم بالتنـوع مما يعكس طابعه الثقافى ، ويعكس بالتالى مفهوم الـ[illegible] الذى سـاد الفكر العربى خلال القرنين الثـالث والرابع للهجـرة ٠

فان ابن خرداذبة له من الكتب : كتاب فى (أدب السماع) (٢) وكتاب آخر فى (الندماء والجلساء) (٣) وكذلك كتاب (اللهـو والملاهى) (٤) ، هـذا الى كتـاب (الشـراب) (٥) وكتاب فى الأنواء ، وأخر فى الطبيخ) (٦) ٠

وهذه العناوين لكتبه التى احتفظ لنا ابن النديم بهـا ، تؤكد بشكل واضـح ثقافة ابن خرداذبة المتنوعة باعتبـاره نديما ، كما تكشف التشابه الواضح بين تكوينه الثقافى ، وتكوين أبى الفرج ، فيأتى ذلك سببا من جملة أسباب جعلت أبا الفرج يقبل على قراءة كتبه ٠

أما عن موقف أبى الفرج من (ابن خرداذبة) فى أكثر المواضع ، فهو موقف الرفض الذى ينبع من تشككه أو تكذيبه لابن خـرداذبة ٠

أ — فحينا يصفه بأنه (قليل التصحيح لما يرويه ،ويضمنه

---

(١) نفس المرجع ٠
(٢) الفهرست : ٢١٣ ٠
(٣) نفسـه ٠
(٤) نفسـه ٠
(٥) نفسـه ٠
(٦) نفسـه ٠
(٧) وانظر فى موضوع المنادمة والندماء ٠
الجاحظ : التاج (ط الأميرية ببولاق) ففيه كلام مفيد للغاية حول ثقـافة الندماء ٠

كتبه ٠٠) (١) فيأتى وصفه له اتهاما بعدم التحـقيق ٠
ب — وحينا يصفه بالشذوذ فى الرواية ، والانفراد بما لم يروه سواه كقوله :

(لم يروه أحـــد ســوى ابن خـــرداذبة وإنما جـاء به مجـــازفة (٢) ٠

جـ — أو يروى عنه بلفظ (زعم ابن خرداذبة) (٣) ٠
د — أو بقوله (وذكر ابن خـرداذبة ٠٠ وليس ممن يعتمـد على قوله) (٤) ٠

من هنـــا نســـتطيع أن نقف على رأى أبى الفـــرج من ابن خرداذبة ، وهو موقف أساسه التشكيك والتجريح ٠ ولا نحسبه موقفا مبعثه الهـوى ، بل مبعثه خـدمة الحقيقة ، والموضوعية فى تحصـيلها ٠ ولا أدل على هـذا من أن أبا الفرج فى بعض المواقف يأخذ بما قاله ابن خرداذبة دون تجريح أو طعن ٠ وذلك اذا صح لأبى الفرج مظان أخـرى موثوق بروايتها إلى جانب ابن خرداذبة (١) ، هذا الى أن أبا الفرج لم يكن معاصرا لابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) ،فلم يكن أبو الفرج فى سن تسمح له بلقائه أو التعرف عليه ٠ ولو تعاصرا ، لكان هناك شبهة التحامل التى تكون — عادة — بين الأقران المتعاصرين ٠ هـذا حين نأخذ بقاعـدة أهل الحديث (المعاصرة حجاب) (٦) ٠

---

(١) الأغانى : ٣٦/١ وفى موضع قليل التحصيل : ١٥٦/٥ ٠
(٢) الأغانى : ٣٦/١ ٠
(٣) الأغانى : ٧٦١/٦ ٠
(٤) الأغانى : ٢٣٦/٨ ٠
(٥) انظر مثلا : الأغانى : ٢٩٤/٦ ، ٣٢١/٨ ، ٢٥/١٥ ٠ (ط دار الكتب) ٠
(٦) أى تحجب حسنات العالم عن قرنائه ٠

فإذا ما أضفنا الى ما تقدم ، ما نلاحظه من موقف أبى العلاء المعرى (١) ـ وهو ما سوف نعرض له ـ من طعن على ابن خرداذبة وتشكك فيه ، امكننا أن تؤكد موضوعية بواعث أبى الفرج وبعدها عن الهوى . على أن موقف أبى الفرج من ابن خرداذبة لم يكن خاصا بابن خرداذبة وحده ، فقد كان هذا دأبه كلما بدت له بوادر الريبة ، أو لاحت له لوائح الشك ، كان ذلك موقف أبى الفرج من (ابن الكلبى) (٢) مثلا ، بل من بعض شيوخه الذين روى عنهم واعتمد على قولهم ، مثل ، أبى بكر الصولى (٣) .

أما المعيار الرابع والأخير عند أبى الفرج الأصفهانى ، فهو (مساءلة العلماء) وذلك حين لا توافيه سائر المصادر بالرأى الراجح . كقوله :

أ ـ وجدت فى كتاب (أبى عمرو الشيبانى) فعرضته على أبى داود فعرفه أو عامته) (٤) .

ب ـ رأيت علماءنا جميعا لا يشكون فى أن أحسن ما يروى ...) (٥) .

جـ ـ عرضته فلم أجد أحدا يعرفه ...) (٦)

وبعد فليست هذه كل معايير أبى الفرج ، وان كانت من

---

(١) رسالة الغفران : ٥٠١ .

(٢) هشام بن محمد السائب الكلبى أحد رواة الأخبار وصاحب كتاب (الأصنام) و (أنساب الخيل) (ت ٢٠٤ هـ) .
وانظر أمثلة تجريحه فى الأغانى : ١٩٥/١٢ ، ٤٠/١٠ ، ٢٠٤/١٠ ، ٣٤/١٢ ، ٧١/٩ . (ط دار الكتب) .

(٣) انظر الأغانى : ١٢: ٧٩/١٢ ، ٣٠٥/٩ . (ط دار الكتب)
وانظر رأى ياقوت الحموى فى هشام الكلبى فى كتابه (معجم البلدان) ١٥٨/٢ .

(٤) الأغانى : ٣٣٥/٢ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) المرجع السابق .

أهمها وأظهرها بين سائر معاييره ، والتى من بينها المقياس الفنى (١) ، الذى يدل على بصر أبى الفرج بالخصائص العامة لأثار الشاعر ، وهو ما اصطلح على تسميته لدى العلماء المحدثين بالنقد الداخلى للنص ٠ كما اصطلح على تسميتهم النقد الخاص بالمصادر من أسانيد ونحوها باسم (النقد الخارجى) (٢) ٠

ولا ينبغى ان نختتم حديثنا عن المعايير النقدية لدى صاحب الأغانى قبل ان نشير الى نقطتين نراهما مكملتين للصورة :

الاولى ٠٠ اثاراته العديدة لقضية الانتحال والتفاته الى بعض دواعيه ، مثل تخليط أهل الغناء فى الاشعار أثناء تأديتهم لها ٠

وقد سبقت الاشارة الى ذلك ، والثانية الحاحه فى الاشارة الى كثرة وقوع الانتحال فى شعر المجنون ٠

الشعراء والرواية :

ونحاول هنا ان نكشف عن جانبين :

الأول : دور الرواة فى اذاعة ونشر آثار شعراء القرن الرابع ، وبخاصة الفحول منهم ٠

الثانى : دور الشعراء وتقاليدهم فى توجيه الرواة ، أو تجميعهم ، أو التعامل معهم بأى صورة من صور

---

(١) الأغانى : ٦/٢٥٦ ٠

(٢) وانظر نموذجا لاستخدام النقد الخارجى ، والنقد الداخلى فى : الدكتور يوسف خليف : الشعراء الصعاليك (ط دار المعارف) ص ١٧١ ٠ وانظر بحثنا للماجستير : ص ٧٩ وما بعدها ٠

التعامل . هذا بالاضافة الى اشـتغال الشعراء أنفسهم برواية الآثار الشعرية ، وما أحدثه ذلك من وعى بالرواية ، انعكس على اذاعتهم أشعارهم ، وتعهدهم أثارهم .

والنمـوذج الذى نختاره للدراسـة هنا هو أبو الطيب المتنبى .

المتنبى والروايـة :

كانت أثار المتنبى فى القرن الرابع عاملا هاما فى تحريك الحياة الأدبية ، وتنشيط الرواية ، فالمتنبى هو الشاعر الذى ملآ الدنيا وشــــغل الناس .

ولقد كان المتنبى نفســه راوية للشــعر ، حتى وصــفه الخالديان بقولهما (وكان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية جيد النقـــد) (١) .

كما وصف المتنبى بأنه (كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها) (٢) وبأنه (لا يسأل عن شىء الا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل ان الشيخ أبا على الفارسى قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقـال له المتنبى فى الحـال (حجلى ، وظربى) . قال الشيخ ابو على : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال ، على أن أجد لها ثالثا ، فلم أجد) (٣) .

---

(١) الشيخ يوسف البديعى (ت ١٠٧٣ هـ) : الصبح المنبى عن حيثية المتنبى (ط دار المعارف ص ٤٢ ، والخالديان : أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان ، شاعرا البصرة وراويتاها . من شـعراء سيف الدولة فى حلب . توفى أبو عثمان سنة ٣٧١ هـ وشقيقه أبو بكر سنة

(٢) الصبح المنبى : ص ١٤٣ .

(٣) الصبح المنبى : ص ١٤٣ .

وكان المتنبى راوية لأثار أبى تمام · لهذا فنحن نشك فى بعض عبارات وردت فى الرسالة الحاتمية ، تزعم أن المتنبى كان يستخف بأبى تمام ، بل ورد على لسانه – فيها – انه قال : (اقسمت غير محرج فى قسمى أننى لم اقرأ شعرا قط لأبى تمامكم) فقال المتنبى للحاتمى : (السوءة قراءة شعر مثله – (٣) فقال له الحاتمى – زعما – (هذه سوءة لو سترتها كان أولى) فقال المتنبى للحاتمى : :السوء قراءة شعر مثله (١) ·

نقول : نحن نشك فيما زعمه الحاتمى ، بل نتجاوز الشك الى التكذيب ، وسندنا فى ذلك :

١ – أنه ليس من المعقول أن يكون شاعر فذ كالمتنبى قد استنكف رواية شعر أبى تمام الذى كانت حماسته وأثاره مشغلة أهل عصره ، وكل عصر ، كما سوف نوضح ، وكما سبق أن اتضح لنا من خلال حديثنا عن الصولى ، ومن خلال (ثبت الكتب المختصة بأخبار الشعراء الذى أوردناه منقبل)

٢ – ما ورد من أن المتنبى سمع بيتا منسوبا لسيف الدولة فقال :

(هذا يشبه قول أبى تمام) ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى · يقول الخالديان راويا الخبر :

(فقلنا : قد سررنا لأبى تمام اذ عرفت شعره ، فقال : أو يجوز للأديب الا يعرف شعر أبى تمام ، وهو أستاذ كل

---

(١) الرسالة الحاتية · ٢٦٤ (ط دار المعارف ملحقة بالانا عن سرقات لتنبى للعميدى (ت ٤٣٣ هـ) والخاتمى هو محمد بن الحسن من تلاميذ ابن دريد كان شاعرا وراوية (ت ٣٨٨ هـ) ·
وانظر أيضا – الصبح المنبى : ٢٨ك – ١٤٢ ·

من قال الشعر بعده فقلنا : قد قيل انك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك ٠ وما زال – بعد ذلك – اذ التقينا ينشدنا بدائع أبى تمام ، وكان يروى جميع شعره) (١)

٣ – ماروراه البديعى عمن يثق به من (أنه لما قتل المتنبى وجد معه ديوانا أبى تمام والبحترى بخطه ، وعلى حواشى الأوراق علامة كل بيت أخذ معنـاه وسـلخه (٢) وأما عن رواية المتنبى بصفة عامة ، فقد كان دؤبا على الحفظ ، حفيا بالاستظهار على عادة رواة عصره ، وأدبائه ، ومما روى بشأن قوة حافظته ، قول أحد الوراقين : (ما رأيت أحفظ من ابن عيدان قط) ، أى المتنبى ، وكان ذلك مما نودى به ٠

ثم يستطرد راوى الخبر قائلا : (كان اليوم عندى ، وقد أحضـر رجل كتـابا نحو ثلاثين ورقة ليبيعـه ، فأخـذ (ابن عيدان) ينظر فيه طويلا ٠ فقال له الرجل : ياهذا ، أريد بيعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فاذا كنت تريد حفظـه ، فهذا يكون – ان شاء الله – بعد شهر) فقال المتنبى له ٠

(فان كنت حفظته فى هذه المدة ، فمالى عليك ؟) (٣)

قال : (أهب لك الكتاب) قال (فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه حتى انتهى الى آخره) (٤) ٠

---

(١) الصبح المنبى : ١٤٣ ٠
(٢) الصبح المنبى : ١٨٦ ٠
(٣) الصبح المنبى : ١٨٦ ٠
(٤) الصبح المنبى : ص ٢١٢٠ ، وابن عيدان ، هكذا بالياء المثناة التحتية ، لقب المتنبى ، وعيدان أبوه ، وكان يعـرف بعيدان السـقا ، وصحفه جورجى زيدان الى (عبدان) بالباء المفرده التحتية ، وانظـر (تاج العروس) مادة (ع ٠ ود) ٠
وانظر : تاريخ آداب اللغة العربية : ٢/٢٨٥ ٠

ومهما يكن فى الخبر من دلائل المبالغة ، فهو لا يفقـــد مغزاه واشارته الى ما كان يتمتع به أبو الطيب من ذاكرة قوية · وهو أمر لو لم نجـد عليه الشـاهد والدليل لكان علينا أن ندركه بداهة بالنسبة لكل شاعر آنذاك ، ثم يتاكد الأمر ويقوى حين يكون ذلك الشاعر ، هو المتنبى ·

وبخاصة لو علمنا أن المتنبى كانت توافيه آثار شـعراء الغرب الاسلامى ، ومن بينهم ابن عبده ربه ، وأن المتنبىكان يســـائل عنه رواة الاندلس الضـــاربين على الشـــرق ، ويستنشدهم أشـــعاره ·

اذا ما علمنا ذلك كله زدنا يقينا بشغف المتنبى بالرواية، واحتفائه بها (١) · كما كان المتنبى ينتهج طـريق الرواية فى اذاعــة آثاره يدلنــا على ذلك ما ذكره الحــاتمى فى رسالته ، من أنه حين ذهب الى المتنبى ليحاوره ، ألفى عنده (فتية هناك تأخذ عنه شيئا من شعره) (٢) ·

على أن فريقــا كبيرا مـــن الرواة ، كانوا على اتصـــال وثيق بالمتنبى ، وبعضـــهم كانوا من أهــل الاندلس (٣) ، وفيما يلى تعريف بجهود أهمهم :

أ ـ ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : أبو الفتح عثمان بن جنى الموصـــلى ، تتلمـذ على أبى على الفارسى ، حيث لازمـــه أربعين عاما (٤) ، بل انه لما مات أبو على الفارسى ، تصدر ابن جنى فى مكانه فى بغـــداد ، وأخـــذ عنه جمـــع كبير من العلمـــاء (٥) ·

---

(١) نفح الطيب : ١٠٤/٥ ·
(٢) وفيات الأعيان : ٤٨٤/٣ ·
(٣) انظر أمثلة من ذلك فى : نفح الطيب : ٢٨/٤ ، ٤٢١/٣ ·
شذرات الذهب : ٧٥/٥ عام ٥٢٥ هـ ·
(٤) بغية الوعاة : ١٣٢/٢ ·
(٥) بغية الوعاة : ١٣٢/٢ ·

وتدل بعض الأخبار على أن ابن جنى كان فى بداية أمره (يحضر عند المتنبى ويناظره فى شىء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة واكبارا لنفسه) (١) .

ومع ذلك يطالعنا خبر آخر ، يجعلنا على حذر من قبول الخبر الأول ، وهو أن المتنبى مع ما كان يراه من انصراف ابن جنى عنه ،وأنفته أن يروى شعره ،كان يقول عن ابن جنى:

(هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس (٢) ، ومبعث حذرنا فى قبول هذا القول ، وتوقفنا عن تصديق سابقه ، ما نعلمه من أن ابن جنى كان من أوثق العلماء صلة بأبى الطيب ، وأقبلهم على رواية شعره ، حتى قال صاحب (دمية القصر) نفسه عن ابن جنى (انه كشف الغطاء عن شعر المتنبى) (٣) .

ولقد بلغت عناية ابن جنى برواية آثار المتنبى حدا جعلته يقرأ ديوان المتنبى عليه ، ويرويه عنه رواية جيدة ، حتى استحق شهادة الشاعر له بقوله : (ابن جنى أعرف بشعرى منى) (٤) .

ومن دلائل هذه العناية أيضا أن ابن جنى قام بشرح ديوان أبى الطيب مرتين (٥) .

---

(١) الباخرزى : دمية القصر : ٢٩٧ .

(٢) دمية القصر : ص ٢٩٧ .

(٣) (نفس المرجع .

(٤) شذرات الذهب : ٣/١٤ .

(٥) دمية القصر : ٣/٢٩٧ . وانظر الخلاف حول سر اللقب فى (بروكلمان : ٢/٨٢) .

وانظر - أيضا - بعض أسانيد ابن جنى فى مروياته عن المتنبى فى (بيت الدهر . ١/١١٤) (والصبح المنبى : ٢٨٨) .

بل أن ابن جنى قد انفـرد برواية بعض أخبار أبى الطيب ومن بينهـا قوله (سـمعت أبا الطيب يقـول : انى لقبت المتنبى لقـولى :

أنا ترب النـدى ورب القوافى

وسمام العـدو وغيظ الحسود

ب ـ على بن حمزة البصرى (٣٧٥ هـ) (١) : ويمثل البصـرى راوية من أهم رواة المتنبى ٠ فقـد حل أبو الطيب ضيفا عليه أثناء مقامه فى بغداد ، وأقام عنده عاما كاملا ، مما مكنه من رواية آثاره وأخباره (٢) ٠

لكن على الرغم من العلاقة المباشرة بين الشـاعر وعلى ابن حمزة ، فان بعض الأسانيد توقفنا على أن بعض روايات البصـرى تأتى عن ابن جنى (٣) ٠

وأهمية رواية البصرى لآثار المتنبى ، تبدو فى كونه قد أتاح لآثار الشاعر أن تذيع ، ولقوافيه أن تشرد عبر آماد المسافة ، فى كل من العراق وصقلية والأندلس (٤) ٠

فأما العراق ، فلأنه موطن البصرى ، وأبى الطيب المتنبى على السواء (٥) ، وأما صقلية ، فلأن البصرى كان قد انتقل اليها ، وأقام بها الى حين وفاته فى سنة ٣٧٥ هـ (٦) ٠

---

(١) أبو القاسم على بن حمزة من علماء الأدب ورواته ـ وانظر (معجم الأدباء : ٥/٢٠٣)

(٢) معجم الأدباء : ٢/٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

(٣) المرجع السـابق ٠

(٤) بغية الملتمس رقم : ٦٢٥

(٥) ولد المتنبى فى الكوفة وقضى بالشام شبابه (يتيمة الدهر : ١/٧٨ ـ ١٦٢) ٠

(٦) فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير الاشبيلى : ٤٠٤ ٠

(الشـعر ـ ١٣)

وأما الأندلس ، فبحكم صلاتها بصقلية من جهة ، ثم عن طريق الرحالة الذين كانوا يفدون الى العراق وغيره من أصقاع المشرق للرواية والأخذ ٠

٩ ـ ابو على صالح بن رشيدين (١) :

ذكره صاحب اليتيمة فى شعراء مصر والمغرب قال : (صحب المتنبى وروى شعره) (٢) ٠

وقد كان ابن رشيدين أحد شعراء مصر ورواتها ذكره الثعالبى فى قسم : (شعراء المغرب ومصر) من جهة ، ولأننا من جهة أخرى نعثر فى كتاب التكملة لابن الأبار فى ترجمة لابن عبد البر على قوله : (سمع شعر المتنبى بمصر من صالح بن ابراهيم ابن رشيدين) (٣) ٠

ويعنى هذا أن ابن رشيدين قد روى شعر المتنبى أثناء وجود أبى الطيب بمصر ٠

وعدا من قدمنا له ذكرا من (رواة المتنبى) ، نجد اشارات فى ثنايا المصادر لطائفة أخرى من الرواة منهم عبد الله بن محمد بن أبى الجوع ، وكان أحد رواة المتنبى الأدباء ، وأصحابه العلماء) (٤) ، وهو ممن روى عنه

---

(١) ذكره صاحب اليتيمه فى سطر ونصف السطر فقط ، ووصفه بأنه أحد أئمة الكتاب المهرة فى سائر الاداب ٠ وذكر له طائفة من شعره ولم يذكر له تاريخ مولد أو ٠

(٢) يتيمة الدهر : ٣٥٧/١ ٠

(٣) ولاحظ أن أن (ابن ابراهيم) زيادة على ما فى اليتيمة ٠

(٤) ـ وصفه صاحب اليتيمة بأنه ممن تمهر فى لغات العرب وأجاد أنواع الأدب ٠ وأنظر : (اليتيمة : ١ / ٣٥٢) ٠

بمصر (١) ، ومحمد بن أحمد المغربى راوية المتنبى الذى ألف رسالة (الانتصار المنبى عن فضائل المتنبى) يرد فيها تهمة السـرقة (٢) .

الببغـاء (ت ٣٩٨ هـ) :

وهو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بنمحمد المخزومى ، لقب الببغاء للثغة كانت فى لسانه ، وهو أحد الشعراء الذين اجتمعوا فى بلاط الحمدانيين فى حلب ، حيث غادرها بعـد ذلك عندما توفى سيف الدولة الحمدانى (٣) .

وتبدو أهمية الببغاء فى رواية آثار أبى الطيب ، فى كونه أحد المطلعين على دفائن أحواله وأخبـاره ، حتى أثر عن الببغاء قوله : (كان أبو الطيب المتنبى يأنس بى ، ويشـكو عندى سيف الدولة ، ويأمننى على غيبته له ، فكانت الحال بينى وبينه صـافية عـامرة دون باقى الشـعراء ، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه وتغاضيه ، ويجفو عليه اذا كلمه ، والمتنبى يجيبـه فى أكثـر الاوقات ، ويتغاضى فى بعضـــها (٤) .

ولهذا فنحن نتوقع أن يكون الببغاء أقدر رواة المتنبى على

---

(١) ـ بغية الوعاة : ٢ / ٥٤ . وصفه السـيوطى بالنحوى الأديب الوراق المصرى وجعل تاريخ وفاته ٣٩٥ هـ ، كما نقل عن الصفدى أنه كان محققا للغة والنحو والبلاغة .. جيد الخط مليح الضبط .

وانظر فى رواة المتنبى أيضا بغية الوعاة ٢ / ٩٦ . وانباه الرواة : ٢ / ١١٦ .

(٢) معجم الأدباء ٣/١٠٤ ، ٦/٢٢٤ ـ ٢٢٧

(٣) ـ وانظر يتيمة الدهر : ١ / ١٧٣ ـ ٢٠٥ .

(٤) انباه الرواة ٣ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وانظـر الرواية ذاتهـا وخبرا مماثلا فى الصبح المنبى : ٩٢ ، ٩٣ .

رواية دفائن أخباره ، مما قد يعز على غيره الوصول اليها ، لأنها من قبيل الخصوصيات التى آثر المتنبى بها صديقه ، واختصه بها دون غيره من رفقائه وذوى مودته ٠

وبعد فتلك أضواء على رواية آثار المتنبي نتبين منها :

١ - أن نشاط الرواية لآثار الشعراء قائم فى عنفوانه ٠

٢ - أن تقليد الرواة المصاحبين للشعراء الذى عرفناه فى الجاهلية والقرون الثلاثة الأولى للهجرةما زال ملتزما ٠

الفصل الرابع

البلاغيون والرواية الشعرية

لعب البلاغيون دورا هاما فى رواية الأثار الأدبية قبل القرن الرابع : شهدنا ذلك فى جهود ابن سلام والجاحظ ، وغيرهم : أولئك الذين أسهموا فى وضع علم البلاغة العربية ، وكانوا فى الوقت ذاته من أئمة الرواة ·

ويعزى لابن سلام بالذات ، الفضل فى اثارته للانتحال ، ومناقشته للآثار من حيث كونها منتحلة ، وعنايته بتوثيق مروياته (١) ·

على أن القرن الرابع قد نضجت فيه علوم البلاغة العربية مع ما نضج من العلوم الأخرى ، وذلك بفضل أمثال : قدامة بن جعفر ، وأبى هلال العسكرى ، والمرزبانى والآمدى ، وابن طباطبا العلوى ، والقاضى الجرجانى ·

ومن دلائل العلاقة بين البلاغة والرواية ، الالتقاء بينهما على قضية الانتحال : فالبلاغيون يتحدثون عن (السرقات الشعرية ويتناولون القضية من جهة (اللفظ والمعنى) ، فالسرقة ــ عندهم ــ قد تقتصر على اللفظ ، وقد تقتصر على المعنى دون اللفظ أما الرواة ، فعند حديثهم عن الانتحال لا يعنيهم سرقة المعنى دون اللفظ لأن السرقة ــ عندهم ــ تتجه الى اللفظ ، أى الى النص الشعرى ذاته ، أما موضوع

---

(١) وانظر دراسة مفصلة ، احداهما عن الجاحظ ، والاخرى عن ابن سلام فى رسالتنا للماجستير ·

« المعنى » ، فيقع فى دائرة عناية أهل البلاغة وحدهم ٠

والبلاغيون ، فى حديثهم عن السرقة الشعرية ، يلتفتون لأقل وجوه التشابه بين النصين ، ولو كان جزءا من بيت ، أما الرواة ، فالانتحال — لديهم — يعتبر (البيت من الشعر) هو الحد الأدنى من السرقة ولا ينظرون الى ما دون ذلك ٠

ثمة فارق أخيرا بين السرقة ، فى مصطلح البلاغيين والانتحال ، فى مفهوم أهل الرواية ٠ فالبلاغيون يدخلون فى دائرة السرقة كل تشابه فى المعنى أو فى اللفظ ، أو فيهما معا ، سواء كان هذا التشابه عن سرقة مقصودة متعمدة ، أو عن توارد فى الخواطر ، ليس الا ، كما أن السرقة أمر يتصل بالشاعر وحده (١) ٠

أما عند أهل الرواية ، فان الانتحال — غالبا — ما يكون عن سوء نية من جهة الشاعر ، حين يسطو على بيت واحد ، أو على قصيدة بأكملها ، ثم هو موضوع لا يتصل بالشاعر وحده ، وانما يتصل بالشاعر ، وبالراوية أيضا ٠ فكما يسرق الشاعر نصوص سواه ويدعيها ، فكذلك قد يخلط الراوية فى الشعر ، ويغلط فى نسبته ، ولهذا ميز الرواة بين الانتحال والنحل : فالأول ادعاء الشاعر ، والثانى غلط ، أو افساد متعمد من الراوية ٠

ولهذا لاحظنا عند دراستنا لهذه الظاهرة وجوب أن نتناول الشاعر والراوية ، وهما طرفان أساسيان فى القضية ٠

---

(١) ابن رشيق : العمدة : ٢ / ٢١٥ ٠

واذا كنا فى حديثنا عن (معايير النقد العلمى) قد تناولنا (المعيار الفنى) فيجب الالتفات الى أن هذا المعيار مشترك بين الرواية والبلاغة ، بل ويعقد أصرة العلاقة بينهما ، لأن هذا المعيار ليس الا أثرا للحاسة الفنية التى تتوجه البلاغة ـ أساسا ـ اليها لصقلها وتنميتها ٠

فاذا أردنا التخصيص فى ضوء الواقع التاريخى للقرن الرابع ، لاحظنا ما يلى :

١ ـ موضوع السرقات ـ الذى هو من الموضوعات الوثيقة الصلة بمباحث أهل الرواية ، قد كثر التأليف فيه فى القرن الرابع بالذات كثرة لم نألفها فيما قبله من القرون الثلاثة الأولى (١) ٠

ولم يقف الأمر عند حد التأليف فى موضوع السرقات بل نجد كتب البلاغة فى هذا القرن تلتفت فى وضوح الى ظاهرة الانتحال ، وتزخر بشكل واضح باشارات الى الأبيات المنتحلة ، وتصحيح النسبة (٢)

وتأتى بعض هذه الاشارات على شكل قضايا عامة مثل : (ويقال أن كثيرا من شعراء امرئ القيس ليس له، وانما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره) (٣) ٠

---

(١) وانظر : محمد مصطفى هدارة : مقدمته لكتاب سرقات أبى نواس لمهلهل بن يموت : ص ٨ ٠ اونظر : معجم الأدباء : ٢/٢٤٠ والفهرست ٠ ١٦١ ٠

(٢) الموشح : ٤٦٥ ـ ٤٩٢ ـ ٤١٣ ـ ٥٠٦ ـ ٥٥٥ ٠

(٣) الموشح : ص ٣٧ فى موضعين بنفس الصفحة ٠

٢ – أن المؤلفين فى البلاغة كانوا من أهل الرواية والتحقيق · فالمرزبانى صاحب الموشح – مثلا – كان من أئمة الرواة فى القرن الرابع الهجرى ، وقد وصفه ابن النديم بقوله : (آخر من رأينا من الاخباريين المصنفين · راوية صادق اللهجة ، واسع المعرفة كثير السماع) بقوله (راوية مكثر) (٢) ، وبأنه كثير (المشايخ) (٣) · وتصانيفه شاهد : روايته الواسعة ، سواء فى عناوينها ، أو فى عددها كما أن شيوخ المرزبانى هم شيوخ (مرحلة الاتصال) (٤) وفى مقدمتهم أبو بكر الصولى وابن دريد والأخفش ، ومحمد بن أبى الأزهر مستملى المبرد ·

٣ – رأينا من أئمة البلاغيين فى القرن الرابع الهجرى ، من يعنى عناية واضحة ببيان العلاقة بين البلاغة والرواية) ، وذلك عند التعرض لقضية (الابداع الشعرى ومقوماته)· فالقاضى الجرجانى يقرر أن الشعر : (علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال ، فهو المحسن المبرز والجاهل والمخضرم والأعرابى والمولد) (١) ·

---

(١) الفهرست : ص ١٩٠ ·
(٢) انباه الرواة : ٣ / ١٨٠ ، ١٨١ ·
(٣) نفس المرجع ·
(٤) عددها فى انباه الرواة (ص (٤٢) كتابا : (انباه : ٣ / ١٨٠ ، ١٨١) ·

وذكر ياقوت ما ذكره القفطى وزاد عليها سبعة آخرين (معجم الأدباء ١٨ / ٢٥٠ ، ٢٥١)

وأما ابن النديم فذكر له (٤٨ كتابا) من بينها اربعة لم ترد فى الانباه ولا فى معجم الأدباء ·

(٥) القاضى الجرجانى (ت ٣٦٦ هـ) : الوساطة بين المتنبى وخصومه (ط صحيح) : ص ٢١ ·

ولا يقف الجرجانى عند حدود هذا البيان ، بل يخص الرواية وصلتها بقضية الابداع الشعرى بحديث يكشف لنا عن وعى بها وبضرورتها ، ففى رأى القاضى الجرجانى ، أن الرواية للآثار الشعرية ، عامل أساسى فى صقل الملكة الشعرية وتفجيرها ، يستوى فى ذلك (القديم والمحدث والجاهل والمخضرم والأعرابى والمولد (١) ٠
لكنه يخص (المحدث) (٢) بمزيد عناية ، فيرى أن (حاجة المحدث الى الرواية أمس (٣) وبأنه (الى كثرة الحفظ أفقر)٠

كما يقرر بأنه (لا طريق للرواية الا السماع ، وملاك الرواية الحفظ) (٤) ثم يختم القاضى الجرجانى حديثه بما يدل على أن البلاغيين فى هذا القرن كانوا مازالوا مرتبطين بتقليد عرف منذ العصر الجاهلى ٠ وهو (حاجة الشاعر الى الرواية) ، وما ترتب على ذلك من دور الرواية فى رعاية الموهبة الشعرية ٠ يقول القاضى : (وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها بعضا برواية شعر بعض ، كما قيل أن زهيرا كان راوية أوس ، وأن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جؤية ، فبلغ هؤلاء فى الشعر حيث ما تراهم ، وكان عبيد راوية الأعشى . ولم تسمع له كلمة تامة كما لم يسمع لحسين راوية جرير ومحمد بن سهل راوية الكميت (٥) ٠

٤ ـ ومع ما رأيناه فى مستهل القرن الرابع من انتصار راوية مثل الصولى لآثار المحدثين ، وتبنيه لروايته ، وشرحه ، وتهيئة الاذواق الأدبية لسوغه وقبوله ، أقول :

---

(١) الوساطة : ص ٢١ ٠
(٢) نفس المرجع ٠
(٣) نفس المرجع ٠
(٤) نفس المرجع ٠
(٥) نفس المرجع ٠

مع ذلك ، وجدنا فى عصر القاضى الجرجانى من عرف بالتحامل على أثار المحدثين ، ومن بينهم (رياش القيسى) وجماعته ، وكان رياش أيضا معروفا بالغض من أبى تمام والبحترى خاصة ويبدو أن رياشا هذا كان من الرواة ذوى الوزن والمكانة فى عصر الجـرجانى ، بدليل ما وصفه به الجرجانى بقوله : (ولا نعرف فى زماننا هذا راوية تقدمه) ولهذا كان لتحامله على أثار المحدثين ـ وبخاصة البحترى وأبو تمام ـ أثر فى قلة عناية البعض بهذه الآثار وبخاصة فى العراق ، الذى كان سلطان القديم فيه ما زال قائمـا ٠ وليس أدل على هـذا مما يذكره القـاضى من أن نسـخ الطائيين قلت بالبصرة لقلة الرغبة فيهما (١) ٠

---

(١) الوساطة : ص ٥١ ، والطائيان المذكوران هما : أبو تمام ، والبحترى ٠

الباب الثالث

عصر اليتيمة - القرن الخامس

تمهيـــد :

يقع القرن الخامس الهجرى ـ تاريخيا ـ بين العصرين العباسى الثالث والرابع :

فالثالث يقع بين عـام ٣٣٤ هـ وعام ٤٤٧ هـ

والرابع يقع بين عـام ٤٤٧ هـ وعام ٦٦٥ هـ

أى أن القرن الخامس يكاد يحتل من العصر العباسى الثالث نصفه ويحتل من العصر العباسى الرابع قرابة نصفه أيضا ـ فهـو اذن يمثل فترة من أخطـر فترات التـاريخ الاسلامى ، سياسيا وحضاريا أيضا : فقد شـهد القرن الخامس شـطرا كبيرا من عصـر الامارات الاسـلامية المنقسـمة على الخلافة العباسـية ، كالمروانية بالأندلس والسامانية،فيما وراء النهر والحمدانية بين النهرين وحلب، والبويهية فى العراق ··· الخ كما شهد القـرن الخامس أيضا دخول الســلاجقة ·

وبالرغم من حالات التمزق والضعف التى عانتها الدولة الاسلامية فى ظل الدويلات ، فان ظهور هذه الامارات قد خلق جوا من التنافس الفكرى والحضارى ·

وبالنسبة لدولة السلاجقة ، فان ظهورها كان انقـلابا خطيرا فى حيـاة الدولة الاســـلامية · ولم تنشـأ الدولة السلجوقية فرعا للدولة العباسية ، وانما قامت بها أمة ذات بطش وسلطان · وظهر السلاجقة والخلافة العباسـية قد ضعفت بالانقسامات المتوالية ، وضعف أيضا أمر البويهيين الفرس فى العراق وفارس ، والفاطميين العرب بمصـر

وهما دولتان شيعيتان كانتا قد تغلبتا على أهل السنة ، الذين كان أكثرهم ـ يومئذ ـ من الأتراك والأكراد والعرب) (١) ٠

ولقد كان أمراء الدويلات المختلفة ـ عربا وأعاجم ـ أهل علم وأدب ، ورعاة للعلماء والأدباء ٠٠٠

فالويهيون ـ مثلا ـ كانوا يحبون العلم والأدب ، ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب ٠٠٠ وحسبنا أن يكون من ذوى المكانة من رجالاتها أمثال : ابن العميد ، والصاحب بن عباد ٠

أما الحمدانيون ، فكان أشهر رجالهم هو أمير حلب : سيف الدولة ، وكان سيف الدولة نفسه شاعرا ذواقا للشعر ذا بصر به ٠ وكان ـ الى ذلك ـ يقرب الشعراء وأهل الأدب ، حتى قيل : انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعراء ٠

ولقد اشتهر ـ خلال القرن الخامس الهجرى ـ أسر وبيوتات أغرمت بالعلم وأحبت العلماء كان من بينهم آل الميكالى فى خراسان ، وكانوا فرسا فى الأصل ثم تعربوا كما تعرب سواهم من الأعاجم فصار منهم الشعراء والكتاب كأبى الفضل الميكالى وأبى محمد الميكالى (٢) وغيرهما ٠

وعنى آل الميكالى عناية كبيرة بالمكتبات الخاصة ، فكان

---

(١) وانظر تفاصيل مفيدة عن الدولة السلجوقية فى :
محمد الخضرى : الدولة العباسية : ٤١٢ ـ ٤٢٩ ٠
وراجع : تاريخ آداب اللغة العربية : ٢ / ٢٦١ وما بعدها ٠
(٢) زيدان ١ / ٢٣ ٠

لهم فيها المقتنيات النفيسة ، مما كان تحت يد الثعالبى (ابى منصور ت ٤٢٩ هـ) صاحب كتاب يتيمة الدهر ، يفيد منه ، قراءة ودراسة واقتباسا ٠

على أنه كان لظهور السلاجقة (دور كبير فى تنشيط الرواية ، بل تنشيط الفكر الاسلامى بصفة عامة ٠ فقد أسس نظام الملك السلجوقى ـ أحد وزرائهم أول مدرسة فى التاريخ الاسلامى ، وكان تأسيسه لها فى بغداد عام ٤٥٨ هـ ، وكان لظهور المدرسة النظامية دور واضح فى النهوض بالرواية ، وتأكيد تقاليدها ، فقد كان أئمة الرواة فى القرن الخامس هم المشرفين عليها والمسئولين عن ادارتها والتدريس فيها (١) كما سنفصل القول عند الحديث عن (التعليم والرواية) ٠

كما كان نظام الملك الوزير السلجوقى معدودا من العلماء الرواة الأجواد وكان محبا للعلم ، ومجلسه دائما معمور بالقراء والرواة ، وأهل الخير والصلاح ، وكان يقول عن رواية الحديث ـ الذى كان قد اشتغل به ـ (وانى لست من أهل هذا الشأن ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٠

ويعتبر المؤرخون للفكر الاسلامى والرواية أن أحد حسنات نظام الملك ، هو (حجة الاسلام الغزالى) ٠فالغزالى كان زميلا لنظام الملك فى الطلب والرواية (وبهما ازدانت طوس ، واختالت على ما سواها من بلاد فارس) (٢) ٠

ويحسن بنا قبل الدخول فى التفاصيل ، أن نجمل الحديث

---

(١) وانظر : الخضرى فى الدولة العباسية : ٤٢٦ ٠
(٢) وانظر : الخضرى فى الدولة العباسية : ٤٢٨ ٠

فى اهم ملامح الرواية الأدبية واتجـاهاتها خلال القرن الخامس الهجـرى ٠

١ ـ فأول ما يلفت الانتباه هو أن العناية برواية آثار المحـدثين ، قد سارت جنبـا الى جنب مع رواية أشـعار القـدماء :

فأبو العـلاء المعرى ، قد عنى عنـاية واضـحة بآثار القـدماء ، وهو ما تعكسه « رسـالة الغفران » ، وهو فى الوقت نفسه ، قد عنى بشعر أبى تمام فرواه وشرحه فى كتاب (ذكرى حبيب) كما عنى بآثار البحترى ، فقدم (عبث الوليد) وآثار المتنبى ، حيث صـنف لها كتابا جـليلا هو (معجز أحمد أو اللامع العزيزى)

كان التبريزى (ت ٥٠٢ هـ) مثلا آخر يؤكد الظـاهرة نفسـها : لقد كان التبريزى تلميذا للمعرى ٠ وقد شـرح حماسة أبى تمام ، كما شرح القصـائد العشـر ، وناقش رواياتها ، وبذلك مزج روايته القديم الى عنـايته برواية آثار المحـــدثين ٠

٢ ـ فى القرن الخامس الهجرى ، ظهرت يتيمة الدهر للثعالبى ، وقد جمعت آثار وأخبار المحدثين فى الأصقـاع والأقاليم الاسـلاميـة المختلفـة ، فى الشـام والمـغرب ومصر وغيرها ، فكانت أول وأكبر موسوعة لآثار المحدثين شعـراء وكتابا ، فى الشام والعراق ، وفى مصـروالمغرب وفارس ٠ واتخذ الثعالبى منهجا معينا فى تبويب كتابه ، ولغة خاصة فى كتابته ، تميز فيه باتساع الرواية ، وسـعة العناية مما سيكون له أكبر الأثر : حتى لو قلنا : ان اليتيمة

تمثل عصرا هو (عصر اليتيمة) ومدرسة هى (مدرسة اليتيمة) لما جاوزنا الحقيقة ، وهو ما سوف نعكف على تباينه والتمس الشاهد له تفصيلا ·

٣ ـ فى القرن الخامس أيضا ظهرت حركة واسعة فى رواية الدواوين ، وصنعها وتقدمت هذه الصناعة خطوات أخرى ، سنفردها بالدراسة والتجلية وفى مقدمة أصحاب الدواوين التبريزى (ت ٥٠٢ هـ) والأعلم الشنتمرى (ت ٦٤٧ هـ) ونشطت الى جانب هذا الفن جهود الشراح فى تقريب الآثار الى الأذواق ·

٤ ـ ظهر الشعراء الرواة ، ليكون وجودهم امتدادا لما سبق ، وكان فى مقدمة هؤلاء الشعراء الرواة ، أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ) الذى كان لظهوره أثر كبير فى تنشيط حركة الرواية الشعرية على نحو ما كان لوجود أبى الطيب المتنبى خلال القرن الرابع ·

الفصل الأول

أبو العلاء المعري

(الرواة الشعراء)

ونأخذ فى دراسة المعرى ، باعتباره فى رأى هذه الدراسة أهم شاعر راوية ظهر خلال تلك الحقبة . ويعده المؤرخون خاتمة شعراء العصر العباسى الثالث ، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبى فاتحته (١) .

ونسبة المعرى كان الى (معرة النعمان)، وكانت المعرة تحت سلطان الحمدانيين فى حلب ، وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالى المعرى ويبدو من تتبع أخبار أبى العلاء ، أنه ورث العلم عن بيته فقد كان أبوه من رجال الأدب وجده قاضـــيا (٢) .

وقد تلمذ المعرى على والده وتخرج به ضمن من تخرج بهم من شيوخ عصره وعلمـائه ، وكان أبوه الى جـانب اشتغاله بالأدب – شعرا ونثرا – علما فى الحديث واللغة والنحو ، بل كان جده أيضا من رجال الحديث ، وقد روى عنه أبو العلاء كما روى عن والده (٣) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ / ٢٠٦ .
(٢) بغية الوعاة ١ / ٣١٥ .
(٣) بغية الوعاة ١ / ٣١٥ .

ولقد اختلفت الاراء حول عقيدة أبى العلاء المعرى ، فرماه البعض بالالحاد (١) وذكر بعضهم أنه تاب فى أخريات أيامه (٢) .

وانه مات على الاسلام (٣) ، وذكر لنا القفطى مؤلفات أبى العلاء المعرى ، وقد بلغت قريبا من خمسة وخمسين مصنفا ، من بينها كتبه الثلاثة فى شروح أشعار أبى تمام والبحترى والمتنبى ، وديوانا شعره (سقط الزند) و (لزوم ما لا يلزم) .

وأشار القفطى الى ما رآه بعينيه من كتب أبى العلاء المعرى ، وهى نحو تسعة وتسعين كتابا (٤) اما سائر كتب أبى العلاء ، فيذكر لنا القفطى أن أكثرها قد أعدم ، وأن ما يوجد منهما هو ما خرج من المعرة قبل هجم الكفار عليها وقتلهم من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم (٥) فأما الكتب الكبار التى لم تخرج من المعرة فأعدمت وأن وجدشىء منها فأنما يوجد البعض من كل كتاب (٦) ، ومثل هذه المعلومات تفيدنا فى القاء الضوء على ما لحق بكتب أبى العلاء من وجوه البلاء ، فقد جنى عليها تهمة الالحاد ، التى طاردت أبا العلاء حيا ، وميتا ، كما جنى على كتب

---

(١) مثل ياقوت الحموى . وانظر معجم الادباء ٣ / ١٠٧ - ٢١٨

(٢) الذهبى : العبر حوادث سنة ٤٤٩ هـ وانظر شذرات الذهب نفس السنة .

(٣) الوعاة ١/٣١٦ ، ٣١٧ ، وانظر فى الدفاع عن عقيدة المعرى ماذكره السيوطى بشأن تأليف ابن العديم كتابا فى الدفاع عن عقيدته أسماء (دفع التجرى عن أبى العلاء المعرى بغية ١/٣٧١) .

(٤) انباه الرواة ١ / ٦٧ .

(٥) وهم الصليبيون حيث استولوا على الشام من سنة ٤٩٢ هـ الى سنة ٥٨٢ هـ

(٦) انباه الرواة ١ / ٦٦ .

أبى العلاء أيضا ما تعرضت له من الغزو الصليبى .

كما تفيدنا هذه الاشارات الى كتب أبى العلاء ، الى دور الرواة فى المحافظة على التراث ، وبخاصة حين تتصدى له عوامل الافناء والمحو .

رواية المعرى : رحل أبو العلاء المعرى الى حيث يقيم العلماء وأهل الرواية : مثل بغداد ، التى وردها فى سنة ٣٩٩ هـ ، كما رحل الى طرابلس الشام قبل رحيله الى بغداد .

ويبدو ان رحلته الى بغداد ـ بالذات ـ كانت ذات أثر كبير فى شهرته ، حيث كانت بغداد ما تزال كعبة القصاد ولا أدل على هذا من أن المعرى ما كاد يعود الى بلدته بالشام ، حتى تحلق الناس حوله ، وقصدوه لرواية أثاره والتخرج به ، بل وسار اليه الطلبة من سائر الافاق (١) ، كما كاتبه العلماء ، والوزراء والفضلاء ، (واختاروا عليه التصنيفات) ففعل ، وكان ـ كما وصفه القفطى ـ (نادرة زمانه) (٢) .

وفى بغداد تعرف أبو العلاء بأشهر شيوخها ، وقتذاك وهو أبو احمد عبد السلام بن الحسين البصرى اللغوى ، وكان من اشهر علماء اللغة والقراءات ورواية الأشعار (٣)

ولم ينتفع أبو العلاء بالرواية عن عالم بغداد ، والتى كان البصرى حينئذ يتولى الاشراف عليها ، ويروى ابن ام

---

(١) انباه الرواة ١ / ٥٠ ـ ٥١
(٢) انباه الرواة ١ / ٥١
(٣) نزهة الألباء ٣٣٨

مكتـــوم ، أنه لما وصل أبو العلاء المعرى الى بغداد ، اجتمع بعبد السلام البصرى بدار الكتب ، واستعار منه (ديوان تيم اللات) ، ونسى أن يعيده اليه ، ولم يذكره حتى عاد الى المعرة فأعاده ومعه قصدة موجه بها (١) ٠

وتتضافر جملة من الأخبار على أن ابا العلاء قد نشط فى الـرواية وأنه قد كـانت له تلاميذ حـملوا عنه أثاره وعلومه التى حصلها أيضا بطريقة الرواية ٠

فقد قرىء على أبى العلاء بعض مصنفاته ، ومن بينهـا (اللامع العـزيزى) وهو فى شرح ديوان المتنبى (٢) كما روى عنه أيضا بطريق الاملاء كتابه (ذكـرى حبيب) فى شـرح ديوان أبى تمام ، وطلب المعرى من بعض نسـائبه ان يكتب بخطه اعتماد هذه القراءة ومصادفتها وتوثيقهـا على طريقة أهل الرواية ، ففعل نسيبه ذلك على ظهر الجزء الأول من النسـخة المروية ، وأثبت عليهـا سـند الرواية وتاريخها وهو فى المحرم سنة ٤٤٨ هـ (٣) ٠

كما تدل الأخبار أيضـا على أن المعـرى كانت تجتمـع الطلبة بمنزله ، ولم يكن له من السعة ما يبرهم به (٤) فكان يعتذر عن ذلك فى مرارة بالغـة ٠

وفى انبـاء الرواة الذى وافانا مصـنفه بالكثيـر عن (رواية المعرى) نعثر على وثيقة تفيدنا للغاية فى موضوع رواية شيخ المعرة وهى عبارة عن ثبت بأسماء تصانيفه ،

---

(١) انباه الرواه ١ / ٥٥
(٢) انباه الرواة ١ / ٥٦
(٣) انباه الرواه ١ / ٥٤
(٤) انباه الرواه ١ / ٥٤

كان بعض أهل بغداد قد أحضره الى القفطى أثناء مقــامه بالشام (١) ، ومن أوائل ما ورد بها (قال الشيخ أبو العلاء رضى الله عنه : لزمت مسكنى منذ سنة ٤٠٠ هـ واجتهدت أن اتوفر على تسبيح الله وتحميده ، الا أن أضطر الى غير ذلك فأمليت أشياء تولى نسخها الشيخ أبو الحســن على بن عبد الله بن أبى هاشـــم ٠٠) (٢) ٠

ومن دلائل الرواية أيضــا فى الوثيقة المتقــدمة قــول القفــطى :

(ومن الأمالى التى لم تتم ، ولم يفرد لها اسم ، ما مقداره مائة كراســـة) (٣)

تلاميذه : كان لأبى العلاء المعــرى تلاميذ تخرجوا به ، ونسبوا اليه ، فقيل لهم (المعريون) (٤) ٠ وأشــهر تلاميذ المعــرى اثنان ٠ همــا التنوخى والتبــريزى ، والأول هو التنوخى ابو القاسم على بن المحسن التنوخى صاحب (نشوار المحاضرة) (٥) ، وقد ولد على فى سنة ٣٦٥ هـ ٠ وتوفى فى سنة ٤٤٧ هـ (٦) ، وأما لقاؤه بالمعــرى فقد تم فى بغداد اثنــاء رحلة أبى العلاء اليهــا ، والتنوخى هو

---

(١) انباه الرواة ١ / ٥٦
(٢) انباه الرواة ١ / ٥٦
(٣) انباه الرواة ١ / ٦٦ ٧
(٤) انباه الرواة ١ /٠ ٦٩ فى خبر بشأن رواية المعرى لكتاب (اصلاح المنطق لابن السكيت)
(٥) من أشهر كتب الاخبار فى القــرن الرابع نشــر اخيرا فى بغــداد وصدر عن مكتبة المثنى بتحقيق عبود الشالجى المحامى العراق ٠
(٦) وانظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٣ وانظر ايضــا معجم الادبــاء ١٤ / ١١٠

راوى الخبر الذى حدد لنا تاريخ هذه الرحلة وهو سـنة ٣٣٩ هـ (١) فأما ما رواه التنوخى عن أبى العـلاء ، فهو دواوين الشـعراء ، ولم يذكر لنا الخـبر واسـناده الى التنوخى على وجه التحديد هذه الدواوين ،ولا عناوينها (٢)

كما تدل الأخبار واسـانيدها المختلفة على أن التنوخى قد روى عن أبى العلاء اثاره الشعرية ، ومن بينها – على سبيل المثال – قصيدة أبى العلاء الشهيرة فى رثاء صديقه أبى حمزة الفقيه الحنفى (٣) ٠

ومن أهم تلاميذ المعرى ايضا (أبو زكريا التبريزى) صاحب شرح القصائد العشر ، وصاحب شرح الحماسة ٠ وقد قرأ على المعرى بعض كتب اللغة التى اختص بروايتها ومنها كتـاب ابن السكيت (٤) ، وطـالب الشـيخ بسند الرواية فأعتذر ، كما روى عنه – بطريق القراءة – معجم الازهـرى (٥) المعروف بتهذيب اللغة ، وقد كـان صحبه معه فى مخـلاته عندما شد الرحـال الى معرة النعمـان للرواية عن شيخها الأشهر وسماعه ٠

كما روى التبريزى أيضـا عن أبى العلاء المعرى جملة من أثاره الشـعرية ٠

---

(١) انباه الرواة ١ / ٤٧

(٢) انباه الرواة ١ / ٤٧

(٣) وانظر القصيدة فى سقط الزبد ٩٧١ وانرظ انباه الرواة ١/٤٧

(٤) أبو يوسف يعقـوب من علماء اللغة فى القـرن الثالث وتوفى سنة ٢٤٣ فى خلافة المتوكل (نزهة الالبا ١٧٩)

(٥) ابو منصور محمد بن أحمد ٠

وعن طريق أبى العلاء المعــرى توثقت أســباب المودة بين التنوخى والتبــريزى حتى قال ابن خلكان عنهمــا (كان بينهما مؤانسة وأتحاد بطريق أبى العلاء المعرى) (١) ٠

ولقد تقاطر الرواة على أبى العــلاء المعرى فى بلــدته التى غدت قبلة الوافــدين بفضــل أبى العلاء ، فرحل اليه من (أبهر) : أبو المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهرى النحــــوى (٢) ٠

ويذكــر لنا القفطى ان (الأبهــرى) المذكــور قد لازم أبا العلاء (٣) (وأخذ عنه جميع فنون الأدب) (٤) ٠ وأنه عندما عاد الابهرى الى بلدته حمل الى قومه ما رواه ٠

كما رحل من الرواة الى المعرى ، ابن فورجه ، أحد علماء فارس الفضلاء ومن الأندلس والمغرب رحل اليه جملة ايضا من الرواة حملوا عن شــيخ المعــرة علمه وأثاره (٦) ٠ كما حمله الى المغرب جملة من علماء المشرق ٠

ولعل من أهم أولئك الرواة المتوافدين على شيخ المعرة (أبو الفضل البغدادى) (٧) ٠ وكان قد قدم الى الغــرب الاسلامى بعد عــام ٤٣٥ هـ وأقام فى القيروان حينا ، ثم انصــرف الى الأندلس (ولهــذا الرجل أثر عظيم فى بث شعر أبى العلاء ونشره فى الأندلس) وعن ابى الفضــل

---

(١) وفيات الأعيان : ٣ / ٣٠٣
(٢) ترجم له القفطى ولم يذكر له مولدا ووفاة (انباه ٢ / ٢١٦)
(٣) انباه الرواة : ٢ / ٢١٦
(٣) انباه الرواة : ٢ / ٢١٦
(٤) انباه الرواة ٢ / ٢١٦ ٠
(٥) حمد بن محمد من ائمة اللغة ورواية الشعر فى عصره (ت ٤٨٠ هـ)
(٦) وانظر أمثلة من ذلك فى التكملة لكتاب الصلة ٢ / ٥٩٠ ، ٩٠٣ ، ٩٠٥ ، ٩١٠ وبغية الوعاة ١ / ٣١٢ ونفح الطيب ٣ / ٣٨٥ ٠
(٧) ابن بشكوال : الصلة ص ٩٠٠ ٠

هـذا روى ابن السـيد البطليـموسى (٥٢١ هـ) اثـار المعـرى (١) ·

رسـالة الغفران :

ولو رجعنا الى رسالة الغفران ارأينا كيف كان شـيخ المعرى ريان بالشعر وأثار القدماء ، متمرسـا بالتحقيق ، مقتدرا على طرح المنحـول من المـرويات ، الزائف مـن الاشعار ، فيورد ما يرويه نقيا موثقـا :

فأبطـال شيخ المعرة الذين صنع لهم عـالمه المتخيل ، ليسوا فقط طائفة من الشعراء ، بل فيهم أيضـا جملة من أئمة الرواة امثال أبى عبيدة والاصمعى ، فأبو عبيدة فى عالم الغفران يطالعنا (صافى الطوية لعبد الملك بن قريب) أى الأصمعى (٢) وهو بهذه الاشارة الطريفة يومىء الى ما كان بين الشيخين الكبيرين أبى عبيدة والاصـمعى من وجوه المنافسة والخصومة ·

كمـا نرى أبا العلاء فى غفـرانه يحـدثنا عن مذاكرة أبى عبيدة للقوم بوقـائع العرب ، ومقـاتل الفرسـان ، ومذاكرة الاصمعى لهم بالاشعار ·

فهذه اشـارة الى ابرز ما تميز به كل من الراويين من سمة فى الرواية : فأبو عبيده راوية لأيام العـرب وجـلاد

---

(١) أنظر مقدمة : الانتصار لمـن عدل عن الاستبصـار لابن السـيد البطليوسى _ بتحقيق الدكتور حسان عبد المجيد ·
(ط المطبعة الاميرية سنة ١٩٥٥ م) · ص (و)
(٢) نشره المستشرق برفان سنة ١٩٠٢) ·

فرســانها كما نلاحظ ذلك فى شـرحه للنقائض (١) ، بينما الأصمعى مشهور برواية الآثار الشعرية .

وقد سبق أن أشرنا الى ما حفلت به رسالة الغفران من مواضــع المنحــولات ، وبخاصــة رفضه لما نســـب الى آدم وحــواء وولديهما من أشــعار ، وما نسب الى الامام على بن أبى طالب من نبوءات .

ولم يقف أبو العلاء المعرى عند مناقشة الروايات المتعلقة بالخلاف فى النسبة بل ناقش الخلاف اللفظى وحقق بعض مســائله (٢) .

والى جانب رواياته لآثار القـدماء - وقد زخـرت بهـا رسالته (٣) وصنع لأخبارهم ورواية آثارهم فلكا قصصيا أبدعه خياله : فقد روى لنا أبو العلا بعض أخـبار أســتاذه المتنبى الذى تخرج بشعره وآثاره ، ومحص بعضها ، ونفى منها ما لا يسيغه فكـر العالم وعقـل المحقق ، لم يمنعه من ذلك حبه لأبى الطيب شــيخه ، وهو يدل بهذا على نزعــة عقلية حرة تميز بها مسلكه العلمى والأدبى (٤) .

---

(١) نشرة المستشرق بيفان فى سنة ١٩٠٢) .

(٢) رســالة الغفــران : ٢٠٢ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣٣٥ ومواضــع أخرى .

(٣) منهم : النابغة الجعدى والراعى النميرى وجران العود النميرى وامرؤ القيس وابو كبير الهذلى ، والحسين بن الضحاك وطفيل الغنوى .

(٤) انظـر مثلا : ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ ٤١٧ . (رســالة الغفران)

وكما وقف أبو الفرج موقف التجريح من ابن خرداذبه ، فكذلك كان موقف أبى العلاء فى (رسالة الغفران) : فقد روى لنا خبرا أسنده اليه بشأن سماع عمر بن عبد العزيز وكذلك الامام مالك ، ثم علق على الرواية بقوله :

(هكذا ذكر ابن خرداذبه ، فان يك كاذبا فعليه كذبه) (١)

---

(١) رســـالة الغفران : ٥٠١ .

الفصل الثانى

أخبار الشعراء

(مدرسة اليتيمة)

الثعالبى : (ت ٤٢٩) :

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى ، نسب الى (الثعالب) ، لأنه كان يتجر فى فراء الثعالب ٠ ونيسابور ببلاد فارس ٠ ولم يحفظ التاريخ لنا شيئاعن أسرته ولا نشأته (١) ، وابن خلكان — على عنايته — بايراد أنساب من يترجم لهم كاملة لم يذكر الا جده اسماعيل ويتساءل أحد ناشرى اليتيمة بقوله (ولا ندرى كيف بتر نسبه هكذا ؟) (٢) ٠ ثم يعزو ذلك — احتمالا — الى أن أسرته كانت غير عربية فلم تعن بحفظ نسبها (٣) ٠

ولم يورد له معجم الادباء ترجمة ، رغم كثر ةنقوله عنه ، وشدة اعجابه به ، والسبب أن ترجمته قد ضاعت فيما ضاع من (معجم ياقوت) ٠

والثعالبى — فى عصره — خاتمة مترسلى هذا العصر (٤) ٠ لأنه أكثرهم أثارا وأوسعهم مادة ، وهو

---

(١) انظر مقدمة ناشر اليتيمة (ط الصاوى ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م)
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق ٠
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ٠

الذى ترجم لهم ، وذكر أخبارهم وأقوالهم وكان فى عصره (راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين وأمام المصنفين) (١) ٠

وليس أدل على ذلك من أن مؤلفات الثعالبى قد جاوزت الثلاثين عدا وتميزت بالتنوع ، بين الاخبار واللغة والرواية للأثار الأدبية فى الشعر والخطابة والرسائل والامثال والكنايات وسائر الاقوال المأثورة ٠

وقد أكثر ياقوت الحموى من النقل عن الثعالبى ، وأثنى عليه كثيرا ، وعد كتابه اليتيمة أحد مصادره التى اعتمد عليها (٢) ٠

وكتاب اليتيمة يعد أهم مصدر أدبى فى القرن الخامس ، يرصد لنا الحركة الأدبية أثناء القرن الرابع ، وبخاصة فى بلاد الشام ٠ حيث بدأ الكتاب بها ، فخص بها القسم الأول وهو (فى محاسن أشعار أل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ولمع من اخبارهم)

وبدأ هذا القسم (فى فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان وذكر السبب فى ذلك) ٠

كما ذكر اعجاب الصاحب بن عباد بأدب الشام وبطريقة أهله (التى هى طريقة البحترى فى الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد ما

---

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢ / ٣٢٠ ٠

(١) وانظر معجم الأدباء : ٢ / ١٦١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٦ ـ ١٧٤ ـ ١٧٧ ـ ١٨٤ ـ ٢١٦ ٢١٧ ـ ٥ / ٦٤ ، ٦ / ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٦١ ، ١١ / ١٨٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ٠

يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخم الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره وصار ما جمعه منه على طرف لسانه ، ورأس قلمه (٢) ٠

وكتاب اليتيمة قد أخضعه صاحبه - قبل خروجه بصورة نهائية - لعديد من المحاولات ٠ اذ يذكر الثعالبى فى مقدمة كتابه ، أنه كان قد تصدى لتأليف الكتاب سنة ٣٨٤ هـ (والعمر فى اقباله ، والشباب بمائه (٢) فافتتحه يومئذ (باسم بعض الوزراء مجريا اياه مجرى ما يتقرب به من أهل الأدب الى ذوى الاخطار والرتب (٤) ٠

ثم لاحظ الثعالبى بعد أن ألف اليتيمة فى تلك الآونة آنه قد كتبه على عجل (فى مدة تقصر عن اعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفيته شرطه) (٤) ٠

ثم لاحظ المؤلف - وكان ذلك حافزا آخر لمراجعة كتابه - أن الناس مقبلون على كتابه استعارة ونسخا ، ورواية ، ثم ما اكتسبه الكتاب من صيغة التداول والذيوع ، برغم تأليفه اياه على عجل ٠ وعندئذ بدأ الثعالبى محاولاته نحو اليتيمة ، بالمراجعة والتنقيح والتجويد ، بالاضافة والتعديل والتحصيل لمزيد من الآثار من أفواه الرواة الذين أتيح له بهم لقاء ٠

---

(١) يتيمة الدهر ١ / ٩
(٢) يتيمة الدهر : المقدمة : ٢
(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٤ (المقدمة) ٠
(٤) يتيمة الدهر : ١ / ٤ (المقدمة)

ولقد استغرقت محاولات الثعالبى الدائمة الدائبة لتجويد كتابه شطرا كبيرا من حياته ، اذ يحدثنا فى مقدمته بأن تلك المحاولات قد استمرت حتى (عصر السن والحنكة) (١) ، وشارف (أوان الثبات والمسكة) (٢) ٠٠ وعندئذ وفى سن الشيخوخة ، تناول المؤلف كتابه بتغيير شامل فى تبويبه ، وترتيبه ، الى أن اطمأن الى الصورة التى انتهى بها المطاف الى اهل الآدب والرواية ، وحملت بشكل نهائى اسم راوية نيسابور ودانت بالانتساب اليه ٠

وسوف نشير الى أثر هذا التعهد الدائب للكتاب بالتنقيح والمراجعة فيما اتسمت به اليتيمة من حسن التبويب ، وجودة الترتيب ٠ الامر الذى جعله أمام جمهور الرواة والمصنفين نموذجا حريا بالاحتذاء لأنه فتح امامهم نهجا جديدا فى الرواية والتصنيف ٠

واذا كان الكتاب ـ كما أصدرنا القول بدءا ـ يعد مصدرا هاما من مصادر التاريخ الأدبى فى القرن الخامس الهجرى ، فلقد نطق الكتاب بأصالة مؤلفه من وجوه نوجزها فيما يلى : ـ

١ ـ عناية المؤلف عناية كبيرة بالعنصر المكانى فى التاريخ ، اذ يختص كل قسم من أقسام اليتيمة بأدب اقليم ٠ فالقسم الأول فى شعراء آل حمدان وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب مع لمع من أخبارهم٠ والقسم الثانى (فى محاسن أشعار اهل العراق والدولة

---

(١) اليتيمة : ١ / ٥
(٢) اليتيمة ١ / ٥

الديلمية ٠٠ ، والثالث فى أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ٠٠ والرابع فى أشعار أهل خراسان ، وما وراء النهر ٠

٢ ـ صفة التنقيح والتجويد وقد أشرنا اليها ، ونورد هنا نصوصا صريحة تدل عليها ، منها : أنه بعد تمام الكتاب بانتهاء الباب العاشر منه يقول الثعالبى : وبقى على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرنى أشعارهم وهم ٠٠) (١)

ثم يقول بعد أن أورد أسماء هؤلاء الشعراء : (وسيتفق لى أو لمن بعدى الحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا الباب ان شاء الله تعالى) (٢) ٠

وفى الوقت الذى فتح فيه الباب أمام كل اضافة مفيدة يقدمها عالم أو يزيدها راوية بشأن آثار أهل نيسابور ، نجد بعد الزيادة التى أوردها فى ذكر أسماء (قوم من أهل نيسابور ٠٠) يجيز زيادة قدمها الامير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى) (٣) ٠٠ اذ نجد بعد الختام ما يلى : وهذه زيادة الحقها الامير أبو الفضل عبيد الله ابن احمد الميكالى) رحمه الله تعالى ٠٠ لبعض تلامذته أوان القراءة وقد أجزت ما فعله الأمير وان شئنا أن تثبته فى موضعه من الكتاب فافعل فقد

---

(١) اليتيمة : ٤ / ٤١٠ ٠
(٢) اليتيمة : ٤ / ٤١٠ ٠
(٣) اليتيمة : ٤ / ٤١٠ ٠

أجزتك بذلك(١) .

٣ — عناية الثعالبى بالديباجة ، وتأنقه فى لغة تأليفه لليتيمة فهو يستخدم العبارة المسجوعة ، ويتأنق ، وهو بذلك يضع معلماً آخر من معالم منهج جديد فى التأليف ، اختص به ، فتح الباب إليه لأجيال بعده من أهل الرواية والدراية .

٤ — الكتاب مصدر هام لآثار أدباء القرن الرابع ، الذين لم يضمهم قبل اليتيمة كتاب .

ومعنى هذا كله أن الثعالبى قد أحدث تحولا كبيراً برواية الآثار الشعرية ، حين لفت أنظار جيله إلى مرويات أدباء القرن الرابع ، بعد أن كانت مجرد دواوين ، أو مدونات خاصة أو آثار محفوظة متناثرة هنا وهناك على ألسنة الرواة .

مصادر اليتيمة :

أولا : الرواية

١ — الأخذ من أفواه الرواة :

وقد نص الثعالبى — صراحة — على هذا المصدر الهام من مصادر مروياته ، كما دلت عليه أسانيده فى تضاعيف اليتيمة ، فعند روايته — مثلا — لآثار أبى القاسم الزاهى الشاعر يصرح بقوله : (ولم يقع إلى شعره مجموعاً ، وإنما

(١) اليتيمة : ٤ / ٤١٠ زيادة عثر عليها بإحدى النسخ ناشر لنسخة اليتيمة التى أعتمدنا عليها وهو المرحوم اسماعيل الصاوى فى سنة ١٣٥٢ - ١٩٣٤ م) .

تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات . .[1] وحين يعقد بابا في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرق أشعارهم . . .) يقدم له بقوله .

(هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة)[2] .

وإذا علمنا أن عدة صفحات هذا الباب تبلغ الخمسين وأن معتمده فيه على الرواية ، فاننا نضيف بعداً هاماً من أبعاد الرواية لدى علامه نيسابور .

وأما الرواة الذين أسند الثعالبي إليهم . فهم كثر يطول بذكرهم حديث مفصل . وإنما نكتفي هنا بإيراد أسماء أكثرهم ، مع اختصاص أهمهم بشيء من العناية .

وهؤلاء الرواة هم :

١ - الببغاء

٢ - الصابي = أبو اسحاق

٣ - ابن خالويه

٤ - أبو بكر الخوارزمي

٥ - ابن فارس

٦ - أبو الفضل الميكالي

---

(١) يتيمة الدهر : ١ / ١٩٨

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ١٩٨

٧ - أبو الحسين محمد بن أبى موسى الكرخى ·
٨ - أبو على محمد بن عمر الزاهر ·
٩ - ابن جنى ·
١٠ - أبو نصر سهل بن المرزبان ·
١١ - أبو سعيد نصر بن يعقوب دوست) ·
١٢ - المصيصى = أبو الحسن ·
١٣ - على بن محمد الشاسى ·
١٤ - عبد الرحمن بن وهب ·
١٥ - أبو حفص عمر بن على الفقيه ·
١٦ - أبو منصور سعيد بن أحمد البريدى ·
١٧ - أبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب ·
١٨ - أبو الحسن الافريقى ·

والذى يستلفت النظر فى هؤلاء الرواة جملة - ليس فقط - عددهم ، بل تنوع أقاليمهم وجنسياتهم بين الشام والعراق وفارس وبخارى ·

ونتناول هنا بالدرس راوية واحدا من أهم رواة اليتيمة نكشف عن جوانب شخصيته الفكرية وأهمية مروياته، وهو :

أبو بكر الخوارزمى (٣٢٣ - ٣٨٢ هـ) :

وهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الشاعر الناثر وأبوه كان من خوارزم ، وخال أبى بكر هو الطبرى المؤرخ الشهير (١) ، فلا غرو أن بلغ ما بلغه من العلم

---

(١) بروكلمان : ٢ / ١١٠

والفضل بحكم هذه الوشيجة التى تربطه بواحـد من أجـل العلماء والرواة فى القرن الثالث الهجرى ٠

وقد تقلب أبو بكر فى اقاصى الأرض ، ومارس الرحلةعلى عادة علماء ورواة عصـره ٠ فخـرج من بلده خوارزم الى العراق والشام وعاش فى كنف أمير حلب : سـيف الدولة فى بلاطه الحافل بأهل الأدب والعلم والرواية ٠٠٠ كمـا رحل الى بخارى ، فصحب بها طائفة من علمـائها وورد نيسـابور ، فأتيـح له أن يلقى الأمير أبا نصـر الميكالى ، ومدحه ، ثم توجه الى سجستان فأصبهان ثم شيراز (١) ٠

وبديهى — وتلك رحلته التىبلغت من الاتساع ما رأيناه — أن يكتسب من مجانى الأدب ما يؤهله لمثـل مكانته العلميه كاتبا ذائع الصيت ، وراوية ثقة فى روايته ٠

كما اتاحت له هذه الرحلة أن يوطد علاقته بذوى المكانة والسلطان فى عصره ، اذ يذكر الثعالبى وهـو يترجم له ، أنه (كان يتعصـب لال بويه تعصبا شـديدا ، ويغض من سلطان خراسان ، ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه) (٢) ٠

وتدل أخباره وما وصفته به المراجـع على أنه كان مـن اروى علماء عصره ٠ فصاحب اليتيمة يقول عنه ، أنه كان (يملى ويشـعر ويروى ويقسـم أيامه بين مجلس الدرس ومجالس الأنس) (٣) ، ويصفه بعد أن يروى عنه جـملة

---

(١) يتيمة الدهـر : ١ / ١٩٢ — ١٩٥
(٢) يتيمة الدهـر : ١ / ١٩٥
(٣) يتيمة الدهـر : ١ / ١٩٥

صــالحة من الأثار بأنه (يفصــح بها عــن اتســاع روايته وكثرة محفوظــاته) (١) ٠

كما يصفه صاحب شذرات الذهب بأنه كان (أماما فى اللغة والأنساب) ٠ ويسوق بشأن أبى بكر الخوارزمى خبرا طويلا يتعلق بلقاء أبى بكر بالصاحب بن عباد يفيــدنا بما يدل على سعة رواية الخوارزمى ، وشــهرته بها بين أدباء عصــره (١) ٠

ومن هنا ندرك القيمة العلمية التى تنطوى عليها أسانيد أبى بكر فى اليتيمة ، وندرك أيضا سر كثرة هذه الاســانيد واستفاضتها ٠

وأما مروياته فتتميز - فضلا عن غزارتها وســعتها - بالتنوع ، فهوى يروى لشعراء الشام وبخاصة أولئك الذين عاشوا فى بلاط سيف الدولة امير حلب ٠

ومن بين هؤلاء الشعراء : الناشىء الأصغر ، والخليع ولهذا كثرت أسانيد الخوارزمى فى القســم الأول الخاص بشــعراء الشــام (٣) ٠

فاذا انتقلنا الى شعراء الموصل ، لاحظنا أيضا أسانيد للخوارزمى ، تدل على طول باعه وعظم قدره فى الرواية

---

(١) شذرات الذهب : ٣ / ١٠٥
(٢) شذرات الذهب : ٣ / ١٠٥
(٣) اليتيمة : ١ / ٢٥ - ٨٥ - ٨٧ - ١٩٧ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٤٤ ٠

حتى أن الثعالبى عندما روى أثار السرى الرفاء وأخباره جعل أبا بكر الخوارزمى مصـدره الأول (١) ، ويليه بعـد ذلك ديوان السرى نفسـه ٠

ولقد أفاض الثعالبى فى الثناء على أبى بكـر ، والاشادة بجهـوده فى الرواية وحرصـه عليهـا ، فقال عنـه (كان أبو بكر الخوارزمى فى ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قـد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضـرة سـيف الدولة بحلب فى مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضـلاء ، فأقـام بهـا ما أقام مـع أبى عبـد اللـه بـن خالويه وأبى الحسـن الشمشاطى ، وغيرهما من أئمـة الأدباء ، وأبى الطيب المتنبى ، وأبى العباس النامى وغيرهما فى فحولة الشعراء ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشعراء وأشعار يصيدها ٠ كما أقر له الثعالبى بالفضـل فى امداده بالأثار التى حفلت بها كتابه فقـال : (وما كان أكثر ما ينشدنى ويكتبنى مما يضن به على غيرى من تلك الغرر التى تجرى مجرى السحر والملح التى يقطـر منها ماء الظرف وأنا أكتبها فى أماكنها من أبواب القسم)٠

وهكذا كان الخوارزمى مصدرا من أهم مصادر الرواية للثعالبى وكان محفوظه ، معينـا ثريا نهل منه صـاحب اليتيمة ، ليس فقط فيما يتعلق بالشام ولكن فيما عدا الشام من الأصقاع والاقاليم ، ومن بينها العراق وخراسان (٢) ٠

---

(١) اليتيمـة : ٢ / ١٠٣ ٠
(٢)اليتيمة : ٤ / ١٦ ـ ١٣٩ ـ ٢٣٧

٢ ـ الذاكرة عند الثعالبى :

وكمـا كانت (أفواه الرجـال) مصـدرا للثعالبى مـن مصادر الرواية ، فكذلك كانت ذاكرته ، وهى ريانة موفورة الآثار ، فعند ذكره لآثار الخبز أرزى (٢) يصرح باعتماده على ما علق بحفظه (٣) ، ونفس الأمر عند روايته ـ مثـلا لبعض آثار (الزاهر) (٣) ، أو لآثار لعلى بن أبى على العـلوى (٤) .

وعـدا اعتماده على ذاكـرته فى ترجمته لأفـراد مـن الشعراء ، كانت ذاكرته مصدرا فى روايته لفصول كاملة تضمنت اشتاتا من فنون الشعر حدودها بقوله : (ما علق بحفظى فى فنون شتى (٥) .

٢ ـ الكتب عند الثعالبى :

تعد الكتب المصدر الثانى من مصادر اليتيمة ، وتتنوع هذه الكتب مادة ومنهجا ومصدرا ، وأهم هذه الكتب : ـ

(أ) دواوين الشعراء :

وهى المصدر الأول الذى اعتمده أبو منصور الثعالبى ،

---

(١) هو نصر بن احمد وكان من شعراء البصرة ، سمى كذلك الخبز أرزى) لأن حرفته كانت خبز الخبز المصنوع من دقيق الأرز (ت ٣٢٧ هـ)

(٢) يتيمة الدهر : ٢ / ٣٣٧ .

(٣) وهو غير (الزاهى) بالياء المثناه ، وانظر اخباره فى اليتيمة ٤ / ٣٨٠ .

(٤) احد شعراء نيسابور فى القرن الثالث ، **ترجم له الثعالبى** فى اليتيمة ٤ / ٣٨٤ ، ٣٨٥

(٥) يتيمة الدهر : ٤ / ١٠٥

فى نقله وروايته لأثار من أورد لهم فى اليتيمة ذكرا ورواية .

ومن أمثلتها فى اليتيمة ديوان المتنبى ، وديوان الوأواء الدمشقى (١) وكان ضمنهما كان أبونصر سهل بن المرزبانى - صديق الثعالبى ونزيل بلده ينسابور - قد حرص على جلبه من الأقاليم الأخرى من الدواوين والكتب ، وقد وصــف لنا الثعالبى ديوان الدمشــقى الذى وجده فى خزانة صــديقه بأنه (فى دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم) (٢) .

ويعد أمر الدواوين أحد المعالم الهامة فى «يتيمة الدهر» ، الذى احتفــظ لنا بأسماء الكثيــر مــن دواوين شــعراء القرن الرابع الهجرى ونقل عنها ، ووصــف الكثير منها ، فأعاننا بذلك على تتبع ما قد ضاع منها ، وتجدد الأمل فى امكان العثور على بعضــها فى مظانها المذكورة بها عنـد الثعالبى ، وبخاصة حين نشهد من الثعالبى هــذا الاهتمام الواضــح بالبحث الدائم والتنقيب الدائب عــن الدواوين كقوله مثلا عن ديوان « سيدوك » : (ديوان شعره ضــالتى المنشــودة ودرتى المفقودة ولا يأس من حصــوله) (٣) ، ويقول عــن ديوان على بــن المحســن التنوخى : (أخبرنى أبو نصــر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شــعره ببغداد أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حــال بينه وبين تحصيله ، حتى فاته ، واشتد الأسف عليه . ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفسح

(١) يتيمة الدهــر : ١ / ١٠٧

(٢) يتيمة الدهــر : ١ / ٢٣٥ والوأواء = أبو الحسن على بن الحسن اللحام الحرانى أحد شعراء الدولة السامانية وكان يقيم فى بخارى العاصمة

(٣) يتيمة الدهــر : ١ / ٢٣٥

فى الانتخاب منه) (١) ٠

ولقد استطاع الثعالبى بفضل جمعه بين (الدواوين) والرواية ومواصلته للجهد الدائم للجمع والتوثيق ، أن يحقق بعض الاضافات لعل من أهمها وأجلها روايته لبعض القصائد (لشعراء اليتيمة) ليست موجودة فى دواوينهم ومنها قصيدة للمتنبى (٢) ، وأبيات للسرى الرفاء (٣) ٠

(ب) فأما الكتب التى تلى الدواوين الشعرية فى أهميتها كمصادر فأنها تشمل كتبا فى الأخبار مثل كتاب (الفرج بعد الشدة) لأبى على المحسن التنوخى (٤) (ت ٣٨٤ هـ) ، أو كتبا فى التاريخ مثل كتاب أبى اسحاق الصابى (٥) (ت ٣٨٤ هـ) (فى أخبار الدولة الديلمية) وكان عند الدولة البويهى قد أمر أبا اسحاق بتأليفه ، واسمه (التاجى) هذا الى كتب الاختيارات الشعرية (٥) ، أو فى أخبار الشعراء والندماء (٧) ٠

---

(١) يتيمة الدهر : ٢ / ٣٤٢ وسيدوك هو أبو طاهر الواسطى ، من شعراء العراق ، (ت ٣٦٣ هـ) ، وانظر فى ترجمته اليتيمة ٢ / ٣٤٢ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (ط محيى الدين : ٢/٥٣٧٠

(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٩٣

(٣) يتيمة الدهر : ٢ / ١٠٣

(٣) هو نفسه صاحب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) وكان من أهمرواة الأخبار فى القرن الرابع

(٤) ابراهيم بن هلال وكان من أشهر كتاب عصره ، وجعله عز الدولة البويهى كاتب ديوانه ، وهو من الصابئة ، وانظر خباره فى اليتيمة ٢ / ٣٢١ ٠

(٥) يتيمة الدهر : ١ / ٢٥٩

(٦) انظر اليتيمة ٤ / ٣٦١ ٠

ولقـد كان من أهم العوامل التى هيأت الثعالبى قـدرا حسنا من المصادر – وبخاصة الدواوين الشـعرية ـ هـو علاقتـه بأبى نصـر سـهل بن المرزبان وكان مـن الأدباء المشهورين فى نيسابور ، التى استوطنها بعد (أصـبهان) – بلده الأصلى – ويبدو من عبارات الثعالبى فى ترجمته ،أنه كان أشهر أهل نيسـابور حبـا للثقافة والأدب ، مـن حيث اهتمامه الشديد بجمع الكتب ، وبخاصة دواوين الشعراء ، حتى أنه قصد بغداد أكثر من مرة لجلب الكتب والدواوين ، وأنفق فى سبيل ذلك المال الكثير (١) ٠

ولا أدل على ما بذله (أبو نصر المرزبان) من جهـد غير عادى فى سبيل جمع واقتناء الكتب ، وعنايته الفـائقة فى نسخها من قول الثعالبى : (وليس اليـوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجرى مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشـتمل على بدائع الطرف الا ومن عقده انتثر ومن يدمع انتشر ، ولا بها سواء ومن تسمو همته على يساره) لارتباط الوراقين فى داره ٠٠) (٢) ٠

كمـا كان ابـن المرزبان مـن المؤلفين ، وتوثقت علاقـة الثعالبى به ، حتى ان ابن المرزبان ألف لأبى منصـور كتابا فى (أخبار ابن الرومى) ايستعين به الثعالبى ، ويتخذ منه مرجعـا فى تأليفـه (٣) ٠

(جـ) التعاليق : ، تختلف التعاليق عن الكتب ، فى كونها

---

(١) يتيمة الدهـر ٤ / ٣٦٠
(٢) يتيمة الدهـر : ٤ / ٣٦٠
(٣) يتيمة الدهر : ٤ / ٣٦٠ ٠

بمثابة مذكرات خاصة للعالم أو الأديب أو لأقرانه من العلماء وأهل الأدب ، يرجع اليها فى نقوله وتآليفه ، ليجد فى ثناياها ما ثبت فيها من المرويات أو مما نقله أو نسخه من الكتب ٠

وقد استعان الثعالبى فى تأليفه ببعض هذه التعاليق وقد سبق أن أشرنا الى عبارة صدر بها ما جمعه من آثار شعراء الشام وهى قوله (بأب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة وتطرفتها من أثناء التعليقات) (١) ٠ هذا الى استعانته بهذه التعليقات فى مواضع أخرى من كتابه كقوله: (ووجدت بخطى أبى بكر الخوارزمى) (٢) ، أو قوله (ثم وجدتها فى بعض التعليقات) (٣) ٠ وواضح أن بعض ما رجع اليه أبى منصور الثعالبى من التعليقات كانت من نسخ غيره من العلماء والرواة التى تهيأت له أسباب

الرجوع اليها بحكم صلته بهؤلاء العلما ، كقوله :

كتب لى بخطه صدرا منه) (٤) ٠

(وجدت على ظهر دفتر عراقى) (٥) ٠

الثعالبى والنقد العلمى :

ومن الحق أن نعترف بأن الثعالبى أهم (راوية) فى القرن الخامس الهجرى ، عنى بأثار أهل المائة الرابعة من الناثرين والشعراء ، ومن الحق أيضا أن نعترف له بفضل

---

(١) يتيمة الدهر : ١ / ١٤٦
(٢) يتيمة الدهر : ١ / ٧٥
(٣) يتيمة الدهر ١ / ٧٣
(٤) يتيمة الدهر : ٤ / ٣٨٨
(٥) يتيمة الدهر : ١ / ٨٦

التحقيق لمروياته ، ونقوله وحسن تمحيصه لها فى مواضـع كثيرة ، وتوثيقه اياها سواء منها مانقله أو تلقفه من أفواه أهل الرواية والسماع ٠

ودليل ذلك نستقيه من اشاراته التىيزخر بها كتابه مثل :

(أ) نعوته للرواة ، بما يفيـد تجريحهم ، أو يشـير الى توثيقهم وتعـديلهم كقـوله وهو غيـر ثقة فى الرواية والحكاية) ٠ ولعل من أهمها نعثر عليـه من نصـوص فى يتيمة الثعالبى ٠ ذلك النص الذى أثبته عند رواية وأخـبار (الوأواء الدمشقى الشاعر) فقد اعتمـد فيما أثبته لهـذا الشاعر على الرواية الشفوية والنقل من ديوانه معا ٠

فعند نقله من الديوان (١) ، لاحـظ بعض الزيادات التى اضافها اليه أبو نصر بن المرزبان ، فتوقف عن الاخذ منها ، لأن ابن المرزبان قد كان استملى هـذه الزيادات من راوية غير ثقة ، وقد رفض الثعالبى أن يطلق على هذا الرجل لفظ (الراوية) بل سـماه (١) ـ القـوال ـ ووصـفه بأنه (غير ثقة فى الرواية والحكاية) (٣) ٠

(ب) من دلائل تدقيقه وتمحيصه أيضا تصـريحه بمـا يفيد شـكه فى المرويات ذاتها من حيث نسبتها الى قائلها ، كقوله فى أبيات نسبت الى عضد الدولة البويهى) ، (ومما ينسب اليه وأنا أشك فيه) (٤) وفى شكه ـ نراه حينا يسوغ هذا الشك ويعلل أسبابه ودواعيه ، كما فى المثال المتقدم ،

---

(١) وهى النسخة التى استعارها من صديقه أبى نصر ابن المرزبان
(٢) يتيمة الدهـر ١ / ٢٣٥
(٣) يتيمة الدهـر : ١ / ٢٣٥
(٤) يتيمة الدهـر : ١ / ١٣٤

وحينا يدعم حكمه بالدليل كتعليقه على أبيات منسوبة الى المحسن التنوخى بقوله : (وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته) (١)

(جـ) - كذلك عنايته بتوثيق مروياته عن طريق (الاسناد) أن كانت رواية ، أو ذكر المصدر ان كانت نقولا ، مع العناية بالاشارة الى أن الأبيات - مثلا - موجودة فى ديوان الشاعر ، أو غير موجودة فيه ، أو أنه مما لم يسمعه من راوية ، ووجده فى التعليقات الى غير ذلك (٢) ٠

تلك أمثلة قليلة انتقيناها من كثر مفرق فى اثناء اليتيمة وهى ناطقة بحرص أبى منصور على تقاليد أهل الرواية وتحريه لمروياته ونقوله :

الثعالبى والانتحال :

سبق - فى فصل أفردناه لقضية الانتحال - أن تحدثنا عن موقف كان - من وجهة نظرنا - من أهم مواقف السطو الأدبى فى القرن الرابع الهجرى ، وذلك هو حيلة السرى الرفاء الشاعر فى دسه أشعارا للخالديين فى ديوان أبى الفتح كشاجم لعداوة كانت بين (السرى والخالديين) ، ولرغبته فى الوقت ذاته فى رواج نسخ الديوان التى كان يشتغل بتوريقها ولرغبته - وذلك الأهم - فى الرد على الخالديين الذين دأبا على سرقة بعض أثار السرى ذاته ٠ كما سبق القول ٠٠ والقضية على هذه الصورة بالغة التعقيد من حيث أن السرقة فيها متبادلة بين طرفين ٠ ومن

---

(١) يتيمة الدهر : ٢ / ١٣٠ وأنظر ايضا ٤ / ٩٠

(٢) انظر مواضع مختلفة من اليتيمة مثل : ٤ / ٧٣ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ، ١٤٨ ، ٢ /٢٠٢ ، ٤ / ٥٩ ، ١٢٨ ، ٣٨٨ ٠٠٠ الخ ٠

حيث ما فيها من الانتحال والنحل ، وفى الجملة فالبواعث فيها بالغة التعقيد ٠

أما بالنسبة للثعالبى فأن معاصرته لأطراف القضـية ، واشتغاله بجمع آثارهم وأثار معاصريهم ثم حرصـه على التحرى ، والانصـاف العلمى مع تعدد مصـادره وتباين وسـائله ٠ كان ذلك كله ممـا أعانـه على أن يفصـل فى القضية ، وأن يدلى فيها بقول واضح الحجة ، نقى المقصد وتفصـيل ذلك :

١ ـ أن الثعالبى قد تمكن من العثور على نسـخة من ديوان كشاجم الشاعر ، واكتشف ما فيها من أشعار كشاجم المدسوسة ، وأمكنه أن يتعرف على خط السرى الرفاء ، وقد كان التعـرف على الخطـوط مـن الوسـائل التى يجب أن تستقيم للعالم المحقق ٠

٢ ـ عثر الثعالبى على جملة من الدواوين التى تعينه على المقابلة والتحقيق العلمى وهى : ـ

(أ) ديوان الخالديين

(ب) ديوان السرى الرفاء

٣ ـ اكتشف جـملة من الحقـائق ، انتهى الى نتـائج هامة نوجزها فيما يلى :

(أ) اكتشف بالفعل سـرقة الخالديين أبياتا من شـعر السرى الرفاء ، وفى ذلك يقول (وجدت الضالة المنشـودة من شعر الخالدى ٠٠ وأخيه أبى بكر محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتا كتبها أبو عثمان لنفسه وأخرى كتبها لأخيه ، وهى بأعيانها للسرى بخطه (١) ٠

---

(١) يتيمة الدهـر : ٢ / ١٠٤

(ب) ولكى يؤيد ذلك ويدعمه ، جعل فصلا لشعر السرى فى ذكر سرقة الخالديين منه وإغارتها عليه[1] .

(ج) اكتشف فى شعر أحد الخالديين — وهو أبو بكر — بعض القصائد التى دسها السرى الرفاء على كشاجم ، وذلك فى إحدى النسخ التى أتيح له العثور عليها[2] .

وبذلك أدلى الثعالبى بقول أولى التحقيق والانصاف فى قضية من أغرب قضايا السرقة الأدبية التى شغلت أوساط الأدباء فى عصره .

ومع كل ما قدمنا من ملاحظات نقف بها إلى جانب الثعالبى

فلا بأس ـ انصافاً للحقيقة العلمية أن نسجل عليه بعض الملاحظات ونوجزها فيما يلى :ـ

(أ) قلة عنايته بالجانب التاريخى : إذ يغلب دائماً جانب الجمع للآثار على جانب ذكر التاريخ المتعلق بها كالمولد والوفاة والعصر . ولهذا نجده فى كثير من الأحيان يورد بعض السطور العامة القليلة عن الشاعر ، مما لا طائل وراءها ، ثم يتبع ذلك بمرويات من آثاره[3] . بل قد يروى دون أدنى تعريف بالشاعر أو الكاتب [4] .

(ب) تساهله فى بعض آثار أدباء الأندلس ، واعتماده

---

(١) يتيمة الدهر : ٢ / ١٦٨

(٢) يتيمة الدهر : ٢ / ١٠٥

وابن سعيد المرادى ٨ / ٩ والوزير ابن دريس ٢ / ٩ ، والصبى ٢ / ٢٥ وغيرهم كثير فى الجزء الثانى بالذات .

(٣) أنظر مثلا الوزير بن جهور ٢ / ٣ وابن عبد ربه ٢ / ٥ .

(٤) أنظر مثلا : عز الدولة بختيار : ٢ / ١٩٧

على مصادر ضعيفة ، جعلته موضع مؤاخذة أهل التحقيق من رواة الغرب المسلم : من هذا مثلا نسبته أبياتاً للحكم المستنصر الخليفه الأموى الأندلسى، وليست له ، ثم زعمه بأن هذا الشعر من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر . ولقد استدرك ابن الأبار الأندلسى ذلك على الثعالبى ، فقال معقباً على روايته تلك : وهذا من أغلاط أبى منصور وأوهامه الفاحشة[1] ثم علل سر هذا الغلط من الثعالبى بقوله عنه :

(حكى - لبعد مكانه - مالم يحقق ، وروى عمن لا علم له بشأنه مالم يضبط)[2] .

ثم انتصر ابن الابار لبعض المصادر الأندلسية فى لهجة لا تخلو من عصبية عن نفس الأثر :

(مثل هذا النظم الفائق لم يكن ليغيب عن أبى فرج صاحب (الحدائق)، ولم يكن ليغيب أيضاً عن أبى مروان ابن حيان جهينة أخبار المروانية ومؤرخ أخبارها السلطانية[3] .

(ﺟ) لم ينزه أبو منصور الثعالبى مروياته عن فاحش الآثار ، وبذىء الأشعار ، فروى منها ما يعف العالم عن ذكره وتضمينه كتبه[4] .

---

(١) الحلة السيراء (ط الشركة العربية ١٩٦٢) وبتحقيق الدكتور حسين مؤنس) ١ / ٩ .

(٢) نفس المرجع والموضوع

(٣) الحلة السيراء : ١ / ١٠٩ (بتحقيق الدكتور حسين مؤنس) (ط الشركة العربية ٦٤)

(٤) انظر مثلا — اليتيمة : ١ / ٢٧٣ ، ٢٤٧ ، ٢٧٧

الفصل الثالث

البلاغيون والرواية الشعرية

ابن رشيق : (ت ٤٥٠ تقريبا) ، وكتابه العمدة

تعـــريف :

هو أبو على الحسن بن رشـيق ، أحد علمـاء المغرب ورواته · وقد وصـــف فى ترجمة له بأنه (أحد الأفاضـــل البلغاء) (١) · وقد كان ابن رشيق شـــاعرا نحويا لغويا أديبا حاذقا عروضـــيا كثير التصنيف حسن التأليف (٢) ·

وهو ـ فى الأصـــل ـ من أهل مدينة من مدن افـــريقية تعرف بالمحـــمدية · وأما أبوه رشـــيق ، فهو مملوك رومى لرجل من أهل المحـــمدية (٣) · ثم رحل ابن رشـــيق من المحمـــدية الى القيروان وامتدح صاحب القيروان المعـــز ابن باديس الصنهاجى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ·

وعندما غزا العرب مدينة القيروان حيث يقيم ابن رشيق اضطر الى التحول عنها الى صقلية بطريق البحر ، ونزل بمازر ـ احدى مدنها ـ فأحســـن أميرها وفادته (٤) ، ثم

---

(١) شذرات الذهب : ٢٩٧/٣ ،

(٢) معجم الأدباء : ٨/٢١٠ ـ ٢١٢ ·

(٣) انباه الرواة : ٢٩٨/١ ،

(٤) انباه الرواة : ٢٩٩/١ ·

والمعز بن باديس تولى افريقية وما والاها من الغرب ، وكان مملكا مدحا ورئيسا جليلا جوادا ، خلع طاعة خلفاء بمصر من بنى عبيد وخطب للعباسيين (النجوم الزاهرة ٧١/٥) (ط دار الكتب المصرية)

روى عن ابن رشيق مصنفاته قراءة عليه ، ومن بينها كتابه (العمدة) ، واسمه (العمدة فى صنعة الشعر) ، وظل ابن رشـيق فى مدينة مازر الى أن مـات بهـا فى حـدود سـنة ٤٥٠ هـ (١) ٠

وقد اتخذ أبو على ابن رشيق راوية له هو (أبو الحسن التميمى البزاز) المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (٢) ٠

العمـــدة والروايـة :

العمـدة فى المقام الاول كتـاب نقد وبلاغة ، وصـلته بالرواية تأتى من ناحيتين :

الأولى : أن الرواية قد صارت عمدة أهل الدراية من علماء البلاغة واللغة والنحو وغيرها ٠ من حيث انها هيأت لهم مصادر دراستهم ومادتها ٠ ثم من حيث أن أهل الدراية من العلماء لا يستعينون الا بالمرويات الموثقة ٠ ويلتزمون فى ذلك بتقاليد . الرواية لأنها عندهم أساس كل المعـارف والعـلوم ٠

الثانية : أن علماء البلاغة قد عرضوا الكثير من مسائل الرواية ، وربطـوا بينها وبين علم البـلاغة ، ومن ذلـك ما قدمناه بشأن الانتحال ، ودور الرواية فى صقل الملكات الفنية ٠ وهو ما لمسناه منذ الشعاعات الأولى لفجر الرواية الشـعرية خاصـة ٠

ومظاهر الرواية فى العمدة تبدو فيما يلى :

---

(١) انباه الرواة ٣٠٣/١ ٠

(٢) على بن ربيعة المصرى البزاز ، وانظر فى ترجمته شذرات الذهب ٣٦٤/٣) ٠

(العبر فى أخبار من ١٥٠/٣) وقد ترجمنا له فى حوالى سنة ٤٤٠ هـ

١ ـ **فى المقـــدمة** : فيذكر انه قد عول فى تأليفه للكتـاب على القريحة فيما عدا النصوص التى رواها ، فقد اعتمد فيها على الرواية ، يقول ابن رشيق :

(وعولت فى أكثره على قريحة نفسح ، ونتيجة خاطرى خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما يتعلق بالخبـر وضبطته الرواية ، فانه لا سبيل الى تغيير شىء من لفظه ، ولا معناه ليؤتى بالأمر على وجهه (١) ٠

٢ ـ كذلك من دلائل الرواية فى كتـاب العمدة عنـاية المؤلف بالحديث عن الحفظ فى كثير من مواضع الكتـاب ، وهو يجعـل كلمة (الحفظ) مرادفـا لكلمة (الرواية) ٠

ثم ان ربطه بين الحفظ ـ الذى هو الرواية عنده ـ وبين الفن هو تأكيد لمبدأ طالما سعى الرواة والبلاغيون معا الى تأكيـده ، كما كررنا القـول مرارا ٠

ومعنى هذا أن الرواة والبلاغيين منهم ما يزالون حتى هذه الحقبة الزمنية متفقين على تلك الحقيقة ٠

يقول ابن رشيق موضحا أهمية الرواية بالنسبة للشاعر:

(وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثـال ، وليعلق بنفسه بعض أنفاســهم ويقوى طبعــه بقوة طبـــاعهم) (٢) ٠

٣ كذلك ربط ابن رشـــيق بين الرواية وبين مصـــطلح

---

(١) العمدة مقدمة المؤلف) ص (٣) (ط هنـــدية)
(٢) العمدة ١/١٣١

(الفحولة الشعرية) فجعل الاولى اساسا للثانية : فالشاعر الفحل هو الشاعر الراوية ·

وهذا النوع من (التصور البلاغى) يؤكد أن مفـاهيم الرواية التى قررها أوائل الرواة ما تزال تعمل عملها فى توجيه حركة الابداع الشعرى حتى هذه الحقبة المتأخرة من أحقـاب التاريخ ··

فان مصطلح (فحولة الشعراء) كان من المصـطلحات التى قررها أئمة الرواية الأدبية منذ القرن الثانى الهجرى :

رأينا ذلك مثلا عند الأصمعى (ت ٢١٤ هـ) حين بنى على هذا التصور النقدى كتابا له أسماه (فحولة الشعراء) (١)

ومعنى هذا أن خط الارتبـاط بين (الرواية والبلاغة) ما زال قائما منذ أوائل حـركة الرواية ـ مرورا بالقرنين الثالث والرابع (٢) · حتى هـذه الحقبة الزمنية ، يقـول ابن رشـــيق :

(فقد وجدنا الشـاعر من المطبوعين المتقدمين يفضـل أصـحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة بمن فوقه من الشـعراء ، فيقولون : فلان شـاعر راوية يريد أنه اذا كان راوية عرف المقاصـــد · وسهل عليه مأخذ الكـلام ولم يضـق به المذهب) (٣) ·

---

(١) نشره عبد المنعم خفاجى وطه محمد الزينى (ط الميرية) ، ويرى بروكلمان أن هذا الكتاب هو جملة من التقييدات كتبها أبو حاتم السجستانى من أجوبة شيخه الاصمعى على أسئلته ، وانظر بروكلمان ٢/١٥٠ ·

(٢) وهو ما نجده عند ابن سلام فى طبقاته وابن قتيبة فى الشعر والشعراء والجاحظ فى البيان وابن التبيين المعطب فى طقاته، والقاضى الجرجانى وغيرهم ·

(٣) العمدة : ١/١٣١

وابن رشيق ايضا يجعل مصطلح (الشاعر الراوية) مقابلا لمصطلح آخر ، هو (الشاعر المطبوع) ، فالشاعر (اذا كان مطبوعا لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى ، فلم يصله ، وهو ماثل بين يديه لضعف آلته ، كالمقعد ، يجد فى نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآله (١) . ومصطلح (الشاعر المطبوع) المقابل لمصطلح (الشاعر الراوية) أخذه ابن رشيق من القاضى الجرجانى ، الذى تأثر به فى مواضع (٢) .

٤ ـ كذلك من دلائل الرواية عند ابن رشيق اعتماده على الحفظ فى مواضع من كتابه ، كقوله فى صدر فصل عقده فى أخبار ملوك العرب (وأنا ذاكر فى هذا الباب من ملوك العرب من أخذه حفظى ، وبلغته روايتى على شريطة الاختصار والتخليص) (٣) .

وفى مواضع ترد اشارة أخرى الى اعتماده على الذاكرة، التى لم تسعفه دائما ، كقوله فى موضع آخر (قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له فلم أثق بحفظى حتى صححته ، فأثبته بمكانه من هذا الباب (٤) .

ابن رشيق والتحقيق العلمى :

وكان موضوع (الانتحال) من أهم الموضوعات التى

---

(١) العمدة : ١٣/١ ، وانظر فى موضوع النحولة أقوالا لرؤية ابن الحاج ويونس بن حبيب فى العمدة ١٣١/١ ، وانظر ايضا المزهر للسيوطى ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ ففيه كلام حسن عن صلة الرواية بالشاعرية .

(٢) انظر ـ مثلا ـ الوساطة (مقدمة القاضى الجرجانى)

(٣) العمدة ١٧٥/٢ ،

(٤) العمدة : ٢٩/٢ .

طرحها ابن رشــيق فى (العمــدة) وربط بين الانتحــال ، وبين الســرقات الشــعرية ، بما يشــكل دلائل امتــزاج الرواية بالبلاغة فى نهج صاحب العمدة (٤) ٠

وقد أورد ابن رشــيق عديدا من المصطلحات ، جعلهــا انواعا للسرقة ، منها : الاصطراف ، والاختلاب ، والاغارة، ثم الاغــارة والغصب والمرافدة ، والاختــلاس ٠ ثم جعل (الانتحال) أحد أقسام السرقة الشعرية (٢) ٠

وقد شــرح ابن رشــيق هذه المصــطلحات وحددها ٠ فالاصــطراف : هو أن يعجب الشــاعر ببيت من الشــعر فيصــــرفه الى نفسه ٠

فاذا صرفه اليه على جهة المثل ، فهو اختلاب واستلحاق وان دعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقــال (منتحل) الا لمن ادعى شــعرا لغيره ، وهو يقول الشــعر ٠ واما ان كان لا يقول الشــعر فهو مدع غير منتحل ٠ وان كان الشــعر لشاعر أخذ منه ، غلبة فتلك الاغارة والغصب ، وبينهمــا فــــرق ٠٠٠) (٣) ٠

وقد كان ابن رشيق فى تصحيحاته وتصويباته العديدة يستخدم معايير متباينة مثل : المعيار الفنى الذى هداه الى حسن استخدامه بصره بدروب البلاغة ومســالك الرواية معا ، فاستطاع به ان يميز شعر الشاعر من غيره ، وآثار المحدثين من آثار القدماء ، ويسهم فى تخليص الآثار الشعرية

---

(١) نفســـه ٠
(٢) وانظر الصفحات : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ من الجزء الثانى لنقف على الشواهد ومزيد تفصيل ٠

من فوضى الافســاد والتخــليط (١) • ومن الملاحــظ أن ابن رشيق قد توسع فى استخدام هذا المعيار • كما اعتمد معــايير أخرى سوى المعيــار الفنى مثل (شــهرة الرواية وتداولها بين شيوخ الآثار (٢) •

ومن معاييره أيضا استخدام (الضوابط المتعارف عليها عند أهل اللغة) كقوله (المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب فى الجاهلية مرثية أولها تشبيب الا قصــيدة دريد ابن الصــمه) (٣) •

وهكــذا يتأكد لنا أن الرواية ما تزال قائمة نشــطة فى القرن الخامس الهجــرى • وان البلاغيين فى هذه الحقبة كانوا من شيوخ الرواية الذين تمرسوا بها ، واستخدموا تقاليدهــا •

---

(١) انظر _ مثلا _ ١/١٨٥ ، ٢/٣٢ ، ٢/١٢١ ، ١٩١ ، ٢٢٥ •
(٢) انظــر ٢/١٠١ •
(٣) العمــدة : ٢/١٢١

الفصل الرابع

صناع الدواوين والشراح

تميز القرن الخامس أيضا بظاهرة النشاط الملحوظ فى شرح ورواية دواوين الشعراء ، وكان من أكثر الدواوين اهتمـاما من جانب الرواة الشراح ، دواوين أبى تمـام والمتنبى ، التى شرحها أمثال المعرى وأبى المظفر الهروى ، وأبى حـكيم الخبـرى ، وغيرهم ٠

كما عنى الشراح الرواة أيضا بالاختيارات الشعرية ، تلك التى تمثلت فى حماسة أبى تمام ، واختيارات المفضل الضبى الشهيرة ، ومن أشـهر الرواة الشراح عناية بهما أحمد بن محمد المرزوقى (ت ٤٢١ هـ) ٠

كذلك اتجه الرواة الشراح اتجاهات أخرى شملت بعض المصادر الأدبية الهامة فى القرن الرابع الهجرى ، مثل : نوادر أبى على القالى ، التى عنى بشرحها أبو عبيد البكرى ٠

ولم تتوقف حركة (صنع الدواوين) ، بل اتخذت خلال المائة الخامسة شكلا جديدا هو أن يصدر الشاعر أكثر من ديوان له ، كل ديوان يضم جملة من قصائده ، ويحمل عنوانا معينـا ومحـددا ٠

وقد كان أبو العلاء المعرى ابرز من اتجهوا تلك الوجهة الجديدة ، حين أصدر ديوانيه : الزند ، ولزوم ما لا يلزم ٠

والى جانب الشرح والتجميع ، وجد الاشتغال المتخصص

برواية الدواوين ، كما فعل أبو سعيد بن دوست الذى ذكر صاحب البغية فى ترجمته أنه (سمع الدواوين وحصلها) كما يمر ذلك فى ثبت الدواوين ٠٠٠

وعنـدما نلقى نظرة على ما أمكن جمعــه من الدواوين والآثار الأخرى شرحا ورواية يستوقفنا جملة من الملاحظات يمكن أن نوجزها فيما يلى :

(١) ما زال الاشــتغال برواية الآثار الشعرية قائمــا ونشيطا خلال القرن الخامس الهجرى ٠

(٢) — ان العناية بالدواوين تمثل تيارات ثلاثة :

(أ) تيار العناية بآثار القدماء عامةوالجاهليين خاصة ٠

(ب) تيار العناية بآثار المحدثين وبالذات (أبو تمــام) والمتنبى والبحترى ٠

(ج) تيار المعاصــرين لرواة القرن الخامس ٠ كالمعرى وابن حزم الظاهرى ٠

٣ — أن الشراح من الراة يمثلون اتجاها متميزا خلال القرن الخامس ٠ حيث كثرت فيه الشروح وكثر فيه الرواة الشراح وأهمهم التبريزىوالمرزوقى والمعرى والبطليوسى ٠

٤ — لا نلاحظ أثرا لمنهج حمزة الأصفهانى الذى وضعه فى ترتيب القصــائد حســب الاغراض ، وانما ظـل النفوذ السائد لمنهج (ترتيب القصائد على حروف القافية) ٠

٥ — الشعراء يصنعون دواوينهم بأنفسهم ، ويختارون لها عناوين خاصة ، ويجعلونها فى أكثر من جزء ، فأبو العلاء

المعرى يضم أشعاره فى (سقط الزند)(١) و(لزوم ما لايلزم) يضم الأول آثار شبابه ، ويجمع الثانى أشعار مابعد الشباب .

وهذه ظاهرة جديدة كان المعرى هو البادىء بها .

٦ — ظاهرة أخرى جديرة بالملاحظة : وهى أن بعض الشعراء قد آثر أن يضم قصائده فى نسختين ، احداهما معربة والأخرى مجرده من الاعراب ،كما فعل أحمد بن المطرف بديوانه (٢) .

٧ — كذلك تنوعت اتجاهات العناية بالآثار ، فالى جانب الدواوين ، وجدت الاختيارات ، ووجدت أيضا القصائد المفردة .

فأما الاختيارات ، فمنها ما هو قديم مأثور كالمفضليات وحماسة أبى تمام .. ومنها ما هو مستحدث ، عمله رواة القرن الخامس ، مثل (مختار الاشعار والاثار) الذى صنعه البيرونى (ت ٤١٢ هـ) .

وأما القصائد المفردة ، فان من أشهرها قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) ، التى تمثل عناية رواة القرن الخامس بلون خاص من الاثار ، سيوثونه تلامذتهم ومن خلفهم الشعراء ، فيما بعد القرن الخامس .

هذه العناية تتمثل فى قصيدة كعب التى سيشتغل بها رواة الشعر الدينى ثم يظهر أثر روايتهم أياها فى حركة الابداع الفنى فى الشعر الدينى ممثلا فى قصيدة (بردة

---

(١) انظر مقدمته لديوان سقط الزند (تحقيق لجنة احياء آثار ابى العلاء .

(٢) ذكر ياقوت أن ديوانه (يكون فى ألف ورقة) معجم الادباء / ٦٤ . ونقل السيوطى ترجمة ابن المطرف عن ياقوت ولم يتعرض لذكر الديوان وانظر بغية الوعاة ١ / ٣٩١ .

البوصيرى) وما جاء على شاكلتها · وسيرد ذلك بمزيد تفصيل ·

٨ ـ لم يكن من ورد لهم ذكر فى (رواة الآثار الشعرية) هم كل من عرفهم القرن الخامس من الرواة · فعداهم آخرون ،لكن لم يقدر لهم من الشهرة ما قدر لاولئك المذكورين · والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين لم يتردد ذكرهم كثيرا قد اقتصروا على الرواية فيما يبدو ، دون أن يخلفوا وراءهم مصنفات تلفت الانظار اليهم ·

من هؤلاء (ابن الخالة) والذى يعرف ايضا بابن بشران وهو محمد بن أحمد النحوى ، وكان من علماء العراق فى القرن الخامس · (توفى بواسط عام ٤٦٢ هـ) (١) ·ونحاول فيما يلى دراسةجهود أشهر الرواة الشراح خلالتلكالحقبة ·

ابو زكريا التبريزى :

وفى هذه الدراسة محاولة فيها بعض التفصيل لتناول جهد أبى زكريا التبريزى ، الذى نعده ـ من وجهة نظرنا ـ فى مقدمة (الرواة الشراح) فى القرن الخامس ممن أثرت عنهم مؤلفات : فهو أوفى نصيبا من المؤلفات كما يتضح مما ذكرناه فى الثبت الذى صدرنا به هذا الفصل ، كما جمع بين الدواوين والاختيارات والقصائد المفردة ·

وهو أبو ذكريا يحيى بن على بن محمد بن الخطيب التبريزى · ويرى ياقوت الحموى فى معجمه أن لقب (الخطيب) الذىاشتهر أبو زكريا بهانما هو من قبيل الغلط·

وقد كان أبو زكريا التبريزى أحد الأئمة فى النحو واللغة والأدب ، كما وصفه ياقوت بأنه كان حجة ثبتا ، وعنه نقل ذلك

---

(١) انظر فى ترجمة معجم الادباء : ١٧ / ٢١٤ وبغية الوعاة : ١ / ٢٦ ·

صاحب (بغية الوعاة) ٠

أما شيوخه : فان اشهرهم أبو العلاء المعرى كما قدمنا - من قبل - وكان التبريزى قد رحل اليـه فى معرة النعمان ، وروى عنه ٠ كما تخرج التبريزى - أيضا - بشيوخ سـوى المعرى ، من بينهم عبد القاهر الجرجانى وابن الدهان وابن برهان والمفضل القصبانى ٠

وقد تخرج التبريزى بالحديث على عادة علماء العربية ، الذين كانوا يرون فى الحديث مدرسة تكسبهم الثقة، وتدرب فيهم ملكات التمحيص والتحرى والضبط ٠ وتكسبهم من الورع والحرص ما يجنبهم عثرات كثيرة ٠٠٠ وكان من أشهر شيوخ التبريزى فى الحديث عالمان :

أولهما : الخطيب البغـدادى محدث عصـره وصـاحب تاريخ بغداد ورسالة (تقييد العلم) فى أدب الرواية ٠

والثانى : هو أبو القاسـم التنوخى الذى تعرف به عـن طريق أبى العلاء المعرى ، كما سبق القول ٠

وأما أشهر تلاميذ التبريزى فهو (أبو منصور الجواليقى) شـيخ أبى البركات بن الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) وصـاحب (المعرب) الذى لم يعمل فى جنسه أكبر منه (١) ، وواحـد من أكبر أهل الرواية فى القرن السادس الهجرى ٠

والتبريزى الى ذلك كله ، عالم بالنحو واسـع العلم فيه عميق البصر بمسائله ، متمرس بدروبه وخلافاته ، يتضح ذلك لمن رجع الى شرحه لحماسة أبى تمام ، أو الى شـرحه للقصائد العشر ٠ حيث تزخر بالكثير من المناقشة والتوجيه

---

(١) كانت وفـاته سنة ٥٣٩ فى خـلافة المقتضى لامر الله تعالى (نزهة الألبا ٣٩٧ ، ٣٩٨) ٠

والتأويل والتجريح ، مما اشتهر به أولو الدربة من النحاة (١) ٠

ونتناول هنا كتابه (شرح القصائد العشر) على سبيل **الشاهد** والمثال لجهد احد الرواة الشراح فى القرن الخامس ٠

ففى مقدمة الكتاب أوضح لنا مصنفه الخطوط الرئيسية التى تشكل اطار شرحه ومنهجه وهى :

١ ـ اضافته قصيدة عاشرة الى القصيدتين اللتين كان أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) قد أضافهما فى القرن الرابع، وهما قصيدتا الذبيانى الدالية ، والأعشى اللامية ٠

وأما قصيدة عبيد بن الأبرص البائية ـ وهى تمام العشر ـ فهى التى زادها التبريزى فى مجموعته ٠

ومعنى ذلك أن جهد الرواة الأوائل كان له امتداد الى هذه الحقبة ، فحماد يجمع(القصائد السبع) فى القرن الثانى فيضيف اليها أبو جعفر النحوى المصرى قصيدتين ، وذلك فى القرن الرابع ، ثم يضيف اليها ـ فى القرن الخامس ـ أبو زكريا التبريزى قصيدة ٠ وذلك يعنى أن الجهود متواصلة،والرواية متصلة وآثار القدماء ما تزال تعبرأجواز الزمن ، وتلقى من ضروب العناية من الرواة الشىء الكثير٠

٢ ـ أن التبريزى فى شرحه ، قد خالف نهج السابقين واختط لنفسه طريقا متميزة : فشروح السابقين قد طالت بايراد اللغة الكثيرة والشواهد عليها ٠ بينما يأتى نهج التبريزى ليفى بغرضه الأساسى من شرحه وهو :

(أ) معرفة الغريب ٠

---

(٢) سيرد ذلك فى شواهد نسوقها ٠

(ب) معرفة المشكل من الاعراب ٠
(ج) ايضـــاح المعانى ٠
(د) تصحيح الروايات وتبيينها ٠
(هـ) ايراد ما لابد منه من الشواهد ٠

٣ – هذا مع الاقتصاد والاعتدال ، فلاتطويل يمل ، ولا تقصـــير بالغرض يخـل (١) ٠

تلك هى الخطـوط الرئيسية لشـــرح التبريزى سقناها مجملة ٠ ثم نتناول بضعها فيما يلى بشىء من التفصـــيل

فالنحو – مثلا – تأتى مسائله على النهج التالى :

(أ) أن يأتى على صورة اعـــراب لتوضـــيح أســـباب الضبط ، كتوضيح سبب مجىء الفعل (نبك) ، هكذا محذوف الياء فى قول امرىء القيس (قفا نبك) ،والسبب أنه مجزوم، لأنه جواب الطلب ، والجيد أن يقال : نبك جواب شرط مقدر كأن التقديـــر قفـــا ان تقفا نبـــك لأن الأمـــر لا جـــواب له فى الحقيقـــة ٠

(ب) أن ترد مســـائل النحو على صـــورة (تخريج لمـــا خالف ظاهرة القاعدة) ٠ مثال ذلك فى قول الشاعر لبيد فى معلقتـــه :

باتت وأســـبل واكفـــا من ديمـــة
يـــروى الخمائـــل دائما تسجامهـــا

---

(١) مقدمة المؤلف (ص ٤٥) ٠
(٢) شرح القصـــائد العشر (ص ٤٩) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميـد) ٠

فأن لبيد فى هذا البيت لم يأت بخبر الفعل (بات) ٠ وهنا يحاول التبريزى أن يلتمس لذلك وجوها من التخريج : فيقول (فالمعنى باتت بهذه الحال ، ثم حذف لعلم السامع ويجوز أن يكون (باتت) بمعنى (دخلت فى البيت) فلا تحتاج الى خبر ، كما تقول (أصبح) اذا دخل فى الصباح، ونصب (دائما) مع أنه حال من المضمر الذى فى « يروى » ورفع تسجامها بدائم ، ويجوز رفع دائم على أنه خبر الابتداء قدم ، ويكون المعنى «تسجامها دائم» ،ويجوز أن تنصب دائما على الحال من وجه آخر ٠ ويكون المعنى يروى « تسجامها » دائما ٠ وهكذا يسرف التبريزى فى التماس التخريجات وذكر الأوجه ٠ لأنه كان يحرص على الربط بين مسائل النحو وتفسيره للأبيات) (١) ٠

(جـ) أنه ـ أيضا ـ يروى البيت الواحد بروايات مختلفة ويشير لأوجه التخريج لكل رواية على حدة، وبخاصة اذاكان البيت الذى يعرض لرواياته وتخريجاته من شواهد النحويين ٠

ومثال ذلك فى شرحه لقول امرىء القيس :

وان شفائى عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من معول

هنا يذكر التبريزى أن سيبويه قد روى البيت (وان

---

(١) شرح القصائد العشر (ص ٢٧٦) ٠

شفاء عبــرة) ٠

وقد روى سيبويه البيت على هذه الصورة شاهدا على أن النكرة يخبر عنها بالنكرة (١) ٠

ومما ورد فى قصيدة طرفة ــ من شواهد النحو ــ قوله :

ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى ٠

وأن أشهد اللذات هل أنت مخــلدى

فالبيت يروى بفتح (أحضر) وبضمها ٠ يقول التبريزى : (فمن رواه على النصب ، فهو على اضمار (أن) ٠وأعمله ، فكأنه أضمر بعض الاسم ٠

ومن رواه بالرفع ، فهو على تقديرين : أحدهما أن يكون قدره (أن أحضر) ، فلما حذف (أن) رفع ٠ والقول الآخر فى رفع (أحضر) أن يكون فى موضع الحــال ، وأن يكون (وأن أشهد) معطوفا على المعنى ٠

وهكــذا يروى التبريزى أبياتا من القصــيدة بروايات مختلفة ، ملتمسا لها وجوها من التفسير والتخريج ،مستعينا بمسائل النحو ، وهو ــ بها ــ ريان ممتلىء ٠

ولا يقف التبريزى عند الخلاف اللفظى للروايات ، بل

---

(١) شرح القصائد العشر (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ص ٨٩ وانظر مواضع مماثلة فى ١٠٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٠ ، ٠٠ الخ ٠

الى (الروايات الزائدة للأبيات) ، ويناقشها ، ويشير الى المنحول منهـا والصـحيح ٠

مثال ذلك اشارته الى أبيات أربعة ، أثبتها بعض الرواة وفى معلقة امرىء القيس بعد قوله :

كأن الثريا علقت فى مصـــامها
بأمراس كتـان الى صم جنـدل

فانه يعقب على هذه الرواية بقوله (وزعموا أنهـا لتأبط شرا) ، كما أشار الى زيادات أخرى فى معلقة طرفه برواية جرير ، وعددها بيتان ، ثم قال (وقيل :أنهما لعدى بن زيد) ٠

ولم يكن التبريزى - فيما أورده من الروايات ، وما أثاره من مناقشات للروايات - يتقيد بمذهب معين ٠ ولا أدل عى هذا من أنه روى عن أبى عبيدة ، والأصـمعى ، على مابين الراويين من خـلاف فى الرأى : كما يجـمع بين روايات بصرية وأخرى كوفية وثالثة بغدادية ٠

هذا الى اسـناده لرواة من عصور مختلفة فى القـرن الثانى وما بعده ٠ من أمثال : الأصمعى ، وأبى عبيدة ، وابن الأنبارى ، وأبى جعفر النحاس ٠

وبعـد ٠ فالكتاب مصـدر هام للروايات المخـتلفة فى القصـائد العشر الجاهلية ، ومصدر أيضا لتخريجاتهـا وتفســيرها ٠

لكن ٠ يؤخذ على التبريزى - فيه - اغراقه فى مسائل النحو

واللغة ، وعرضه لوجوه الخلاف ·وبذلك ، لازمه العيب الذى لازمجمهور الرواة الشراح للآثار الشعرية ،وهو عدمالالتفات لمواطن الجمال التعبيرى ، والاقتصار على الشكل اللغوى ، الذى يباعد بين القارىء وروح النص ·

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن الخامس الهجرى

الأثر	مصادره وملاحظات
لزوم ما لا يلزم سقط الزند (كلاهما للمعرى)	والديوانان جمعهما المعرى ، وذكرهما صاحب إنباه الرواة وروى أنه شاهدهما بنفسه ضمن مجموعة كبيرة من كتب أبى العلاء وافانا بها فى كتابه : (إنباه ١ / ٦٧) .
ديوان شعر أحمد بن مطرف العسقلانى (ت ٤٠٣ هـ)	جمعه بنفسه على نسختين ، وروى عنه قبل موته إنشاداً ومناولة وإذنا : (معجم الأدباء ٥ / ٦٤ وبغية ١ / ٣٩١)
ديوان القسطلى الأندلس (ت ٤٦٧ هـ)	جمعه السرقسطى : أبو طالب محمد بن إبراهيم القيسى عاش إلى سنة ٤٩٠ هـ) ورتبه على حروف المعجم ، وزاد فيه كثيرا على ما بأيدى الناس (التكملة لابن الآبار ١ / ٤٠٤) وقرر ابن الآبار أنه شاهد نسخة منه بخط السرقسطى .
الحسن بن المظفر ديوان شعره (ت٤٤٢ هـ)	شيخ الزمخشرى وراوية خوارزم فى عصره . بغية الوعاة ١ / ٥٢١
أبو سعيد بن دوست ت ٤٣١ هـ)	سمع الدواوين وحصلها (بغية ٢ / ٨٩)

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن الخامس الهجرى

الأثر	مصادره وملاحظات
القصبانى = أبو القاسم الفضل بن محمد (ت ٤٤٤هـ). وله (الصفوة فى أشعار العرب).	وانظر بغية الوعاة ٢ / ٢٤٦ .
ديوان ابن حكم الغزال واسمه يحيى بن حكم (ت ٢٥٠ هـ)	وقد جمع هذا الديوان حبيب بن أحمد الشطجيرى القرطبى (ت ٤٣٠ هـ تقريبا) ورتبه على الحروف (جذوة المقتبس ١٩٩).
شرح ديوان الحماسة لثابت بن محمد الجرجانى (ت ٤٣١ هـ) من أهل غرناطة .	معجم الأدباء لياقوت ٣ / ٢٩٨ بغية الوعاة ١ / ٤٧٢ .
البطليوسى = أبو بكر عاصم بن أيوب (ت ٤٩٤ هـ) شرح ديوان الشعراء الستة الجاهليين	ذكره بروكلمان فى موضعين = ١ / ٨٨، ١٠٠ وذكر صاحب البغية (٢ / ٢٤) أنه شرح المعلقات .

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن الخامس الهجرى

الأثر	مصادره وملاحظات
المعرى = أبو العلاء أحمد ابن عبد الله التنوخى (ت ٤٤٩ هـ) شرح الحماسة ودواوين المتنبى والبحترى وأبى تمام	بغية الوعاة ١ / ٣١٧ .
سلدان بن عبد الله الحلوانى (ت ٤٩٤ هـ) شرح ديوان المتنبى	بغية الوعاة ١ / ٥٩٥ .
البيرونى = محمد بن أحمد أبو الريحان (ت ٤٢٢ هـ) شرح شعر أبو تمام ولم يتمه	بغية الوعاة ١ / ١٥ .
ابن الأفليلى = أبو القاسم إبراهيم بن محمد شيخ الأعلم الشنتمرى ومساعده فى تصنيفه (ت ٤٤١ هـ) شرح ديوان المتنبى	وفيات الأعيان ٢ / ٤٦٥ . وانظر معجم الأدباء ١ / ٣١٦ . انظر بغية الوعاة /٤٢٦ . انظر شذرات الذهب ٣ / ٢٠٦ .

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن الخامس الهجرى

الأثر	مصادره وملاحظات
شرح حماسة أبى تمام لأبى القاسم الفسوى (ت٤٦٧ﻫ)	بغية الوعاة ١ / ٥٧٣
شرح ديوان المتنبى لأبى عبد الله بن أبى طالب النحوى	بغية الوعاة ٢ / ٥٩٥
أبو حكيم الخبرى (ت٤٧٦ﻫ) شرح الحماسة وديوان البحترى والمتنبى والرضى والموسوى	بغية الوعاة ٢ / ٢٩ إنباه الرواة ٢ / ٩٨ تلخيص ابن مكتوم ٨٨ كشف الظنون ٦٩٢ ، ٧٧٩
أبو عبيد البكرى (ت٤٧٧ﻫ) شرح نوادر القالى	بغية الوعاة ٢ / ٤٩
المرزوقى = أحمد بن محمد ابن الحسن الإمام المرزوقى (ت ٤٢١ ﻫ) شرح أشعار هذيل والمفضليات والحماسة	بغية الوعاة ١ / ٣٦٠ معجم الأدباء ٥ / ٢٣٤ وذكر ياقوت أنه وجد خط المرزوقى على كتابه (شرح الحماسة) وقد قرىء عليه فى شعبان سنة ٤١٧ ﻫ .

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن الخامس الهجرى

الأثر	مصادره وملاحظات
ابن سيده = أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) شرح المتنبي وهو مختصر من شرح المعري المسمى (اللامع العزيزى)	بروكلمان ٢ / ٨٩٠
الأنيق فى شرح الحماسة	شذرات الذهب ٣ / ٣٠٦
أبو المظفر الهروى = محمد ابن آدم بن كمال (ت ٤١٤ هـ) – شرح ديوان المتنبي – شرح ديوان الحماسة	بغية الوعاة ١ / ٧
أبو الحسن محمد بن عبدالله الدانى (٤٦٠ هـ) وصحفه ناشر الصبح المنبي إلى الدلق بالقاف والتصويب من ياقوت والبغية	بغية الوعاة ١ / ١٢٨ وانظر معجم الأدباء ١٨ / ٢٠٧ الصبح المنبي ٢٠١٨
الحميدى = أبو عبد محمد بن (ت ٤٧٨ هـ) صنع ديوان ابن حزم (ت ٤٥٠ هـ)	والديوان على حروف المعجم وانظر جذوة المقتبس ٣٠٩

الفصل الخامس
القـرن السادس

لا يكـاد القرن الســادس الهجرى يختلف فى ملامحــه التاريخية عن القرن الخامس ، فالاحـداث التاريخية ذات الشأن تمتــد على المدى الزمنى للقرنين معــا ٠ فالحروب الصليبية ظلت ــ فى مرحلتها الاولى ــ ما بين عام ٤٩٢ هـ الى عام ٥٨٢ هـ ، وأحداث الســلاجقة العظــام ، وكرمان والشام والعراق وكردســتان وبلاد الروم ، قد ظلت ثلاثة قرون وهو عمر دولتهم على الاجمال ٠

واذا علمنا أن بداية هذه الدولة كان فى عام ٤٢٩ هـ وأن

نهايتها فى عام ٧٠٠ هـ ، استطعنا أن نتبين أيضــا أن دولة السلاجقة ممتدة أيضا عبر القرنين الخامس والسادس، منتهية مع نهاية القرن السابع ٠

كذلك عندما ندرك أن العصر العباسى فى دوره الثالث قد بدأ فى عام ٤٤٧ هـ ، وانتهى عام ٦٥٦ هـ ، أدركنــا الى جانب هــذا ، مدى اندراج القرنين معا فى اطــار تاريخى واحـــد ٠

فاذا اتجهنا صوب (الفكر والأدب) فى القرن السادس لاحظنا نشاطا ملحوظا فى هذا القطاع الحضارى المتميز فى تاريخ الأمة الاسلامية ، يتمثل ذلك ــ فيما يتمثل ــ فى كثرة

التآليف الأدبية ، وفى مقدمتهـا تلك التى مشت فى ركاب يتيمة الدهر وحاذتها ، وانتهجت نهجها ، فقد ظهرت دمية القصر « للباخـــرزى » ذيلا على « اليتيمة » و (زينة دميـــة الدهر) ذيلا على الدمية وذلك فى القرن الخامس · ثم تأتى الخريدة فى النهاية ذيلا على الزينة ، وذلك من خلال القرن السادس الهجـــرى ·

وسوف نرى أن هذه السلسلة من التآليف ، تمثل ظاهرة الاتصال العلمى ، الذى حققته الرواية ·

أما الرواية ، فانها بقيت محتفظة بوجودها ونشاطها ، بل جد فيها جديد يؤكد وجودها ونشاطها · فهنـــاك رواة الدواوين وصناعها والرواة للأشعار تزخر بهم الحيـــاة فى انحاء مختلفة ، وبخاصة العراق والأندلس ، وهؤلاء الرواة للآثار الشعرية ، سوف نلاحظ أن بينهم من اختص بالرواية ، ومنهم من مارســـها غير مختص بها ، وأنما دفعه الى ذلك شغف بالأدب ومجاراة لعناية أهل صقعه بالرواية ·

وســـوف نلاحظ ظهـــور رواة حققوا فى مجـــال الروائية الأدبية أثارا بعيدة المدى ، ويقف فى مقـــدمة هؤلاء الرواة ابو طاهر السلفى · واذا كانت الحـــروب الصـــليبية قد أثمرت آثارا شعرية فى أغراض ترتبط بتأثيرها ،فان الرواية، الأدبية لم تتخلف عن حفظ هذه الاثار وتوثيقها وحملها على متن التناقل والذيوع ، وسيلعب (أســـامة بن منقـــد) وآل منقذ بصفة عامة دورا كبيرا فى رواية مثل هـــذه الآثار ،

ولم تقتصر العنـــاية على آثار المعاصـــرين فى القـــرن السادس الهجرى ، بل عنى الرواة بنوعين آخرين من الآثار

اولا : آثار القدماء فى الجاهلية والاسلام ·

ثانيا : آثار المحدثين ، وفى مقدمتهم البحترى وأبو تمام

والمتنبى . كما لقيت حماسة أبى تمام أيضا عناية خاصة من روّاة المائة السادسـة .

ولا ينبغى ان نترك الحـديث التمهيـدى عن الرواية فى القرن السادس الهجرى ، قبل أن نشير الى ظاهرة جديدة كل الجدة فى مجال رواية الآثار الأدبية ...

تلك :هى محاولة التأليف فى أصول الرواية الأدبية وتقرير هذه الاصول والقواعد وتأكيدهـا فى الأذهـان على نمط ما فعل المحدثون فى علم مصطلح الحديث ، وقد حقق هذا الاتجاه كمـال الدين بن الانبارى (ت ٥٧٧هـ) فى كتـابه (لُمـع الأدلـة) .

وسوف نرى كيف أن « لمع الأدلة » للانبـارى ، قد كان مسبوقا بمحاولة اخرى لابن جنى فى القرن الرابع . لكنها محاولة ضئيلة للغاية ، لا تكاد تقاس بما قدم صاحب اللمع .

كما وجد ايضا فريق من الرواة كانوا يختصون بأنشاد أثار الشـاعر بين يدى الكبراء ، وكان هذا الفريق يشـكل أحد المصادر التى رجع العلمـاء الجماعون اليها للأخـذ والرواية . ويحدثنا صاحب الخريدة عن أحدهم فى معرض اسـناده اليه فيقول : أنشدنى الشـيخ المؤدب المقـرىء أبو اسحاق ابراهيم بن المبارك البغدادى سنة ٥٥١ هـ ، وكان راوية الشـعراء ، ينوب عنهـم فى الانشـاد بين يدى الكبـراء) (١) .

---

(١) خريدة القصر لابن العماد (قسم العراق بتحقيق العلامة بهجة الاثرى ط بغداد)

كذلك كان لظهور شاعر الأندلس ابن خفاجة دور كبيـــر فى تنشيط حركة رواية الآثار الشعرية ، فقد ذكر ابن الأبار بعضهم ، وترجم له (١) ٠

كما رحل الى ابن خفاجة رواة من شتى أصقاع الأندلس فحملوا عنه ديوانه ، واذاعوه فى الافاق وقد ذكر ابن الابار بعضـــــهم أيضا (٢) ٠٠٠

وفيما يلى من المواضع دراسة مفصلة لأبرز اتجـــاهات الرواية التى ظهرت فى تلك الحقبة ، نأخذها بقدر من العناية واحدة اثر أخرى بادئين باتجاه الاصوليين ٠

أولا : الأصـــــوليون :

أبو البركات كمال الدين بن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) ٠

ونعنى بالأصوليين أولئك الذين بدأوا يؤلفون فى أصول رواية الأدب ، وأول ما ظهر ذلك كان فى القرن السادس الهجرى على يد كمال الدين بن الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) ٠

ونقـــــول أول ما ظهـــر ، لأن ما كـــان قبل كمـــال الدين بن الانبارى لم تكن كتبـــا مؤلفة فى الاصـــول ، وانما هى مجرد عبـــارات واشـــارات وجيـــزة فى تضـــاعيف الكتب لا تعدو ان تكون احكاما بشأن بعض الرواة : بالحكم لهم

---

(٢) انظر ::التكملة ١/٧٨ (ابن بروطة) و (ابن عياد) ١/١٥٢ (ابن قرقول) ٠

(١) انظر التكملة : ١/٣٠٥ (ابن غبون (ت ٥٨٩ هـ) ١/ ٣٢٦ (ابو ربيع ابن سالم شيخ ابن الابار) ١/٧٢٥ (الأركش (ت ٥٨٦ هـ) وانظر ايضا : المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ٢/٣١٦ ٠ نفح الطيب للمقرى ٢/٤١٣

توثيقا وتعديلا ، أو بالحكم عليهم طعنا وتجريحا ٠

ولا نعلم أنه قد كتب منه شيء قبل الذى أورده الجاحظ فى تضاعيف كتبه ، وهو قد توفى سنة ٢٥٥ ، وليس غيره أولى بأن يكون أول من اقتحم هذا الباب من الكتابة(١) وان كان ما أورده قليلا لا حفل به ولا قدر له ٠

ثم جاء بعد الجاحظ اصحاب كتب الطبقات ، كالمبرد (ت٢٨٥ هـ) فى (علماء البصرة) ،وأبى الطيب اللغوى (٢) (ت ٣٣٨ هـ) فى (مراتب النحويين) والسيرافى (ت٣٦٨ هـ) فى (طبقات النحاة البصريين) (٣) ٠ وأبى بكر الزبيدى الاندلسى (ت٣٧٩ هـ) صاحب (طبقات النحاة البصريين)٠

والى جانب طبقات اللغويين ضمت كتب أخرى فى تضاعيفها اشارات وجيزة حينا أو مطولة احيانا عن ٠٠٠ أحوال الرواة كالذى فعله أبو احمد العسكرى (ت ٣٨٢ هـ) فى التصحيف والتحريف (٤) ، والازهرى فى مقدمة تهذيب اللغة (٥) ، وابن جنى فى كتابه الخصائص (٦) ٠٠٠

---

(١) الرافعى : تاريخ اداب العرب (بعناية المرحوم محمد سعيد العريان) ١/٤٠١ وانظر مصادقة كلام الرافعى فى البيان والتبيين ٣٤٧/١ ٠

(٢) ص ١٠٣ وما بعدها ٠

ص ٤٠ وانظر فصلا عن التوثيق والتجريح فى رسالتنا ٠ للماجستير ص ٦٧ وما بعدها وانظر كلاما مفيدا للغاية فى جهود الرواة فى التأليف عن أحوال اللغات ورواتها جرحا وتعديلا ، أورده السيوطى فى (المزهر) (ط صبيح) ٧٣/١ فى الفصل الخاص بمعرفة المتواتر والاحاد ٠

(٤) مضى بعض ذلك مفصلا فى حديثنا عن التصحيف والتحريف ،

(٥) حققه ونشره الاستاذ عبد السلام هارون ، وانظر تهذيب اللغة ١٩/١ وما بعدها ،

(٦) انظر ٣١٢/٣ وما بعدها ٠

فظهور كتاب (لمع الأدلة) ـ وهذا عنوان الكتاب ـ يعد ظاهرة علمية لها شأنها بالنسبة لرواية الأدب : اذ هو دليل على وجود الرواية الأدبية وقيامها ، بل ودخولها مرحلة جديدة من مراحل النضج العلمى ٠

المـــؤلف :

هـــو أبو البركات كمـــال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى ، وهو احد ثلاثة انتسبوا الى (الأنبار) فأوقعوا بهذا التشـــابه فى اللبس ـ أحـــيانا ـ فأول الثـــلاثة هو : (أبو محمد القاسم بن الانبارى) والد أبى بكر بن الانبارى ثانى هؤلاء الثلاثة ٠ واما الثالث فهو الكمال بن الانبارى الذى نتناوله بالدراسة هنا ، وهو أكثر هؤلاء (الانباريين الثلاثة تصـــنيفا) (١) برغم تأخـــره ، زمنا ، وهو تلميـــذ لأبى منصور الجواليقى (٢) ، ولذلك يروى عنه ويســـند فى الرواية اليه ، بمثل قوله (وحكى شيخنا) (٣) ٠

وقد تخرج ابن الانبارى فى المدرسة النظـــامية التى كان قد انشأها الوزير نظام الملك السلجوقى،ثم صار ابن الانبارى معيدا ، فمدرسا فى هذه المدرســـة (٤) ، التى لعبت دورا كبيرا فى تنشيط الرواية ، ورعاية تقاليـــدها ٠ وقد كـــان ابن الانبارى من علماء النحو ذوى التأليف الشـــهيرة فيه ومنها (الانصاف فى مسائل الخلاف) (٥) ٠٠٠

وكان الفضـــل فى تفوقه فى النحو يرجـــع الى شـــيخه

---

(١) محمد ابو الفضل ابراهيم = مقدمة تحقيقه لكتاب نزهة الالبا ،

(٢) بن احمد أحد ائمة اللغـــة والرواية فى القرن الســـادس وتلميذه التبريزى (ت ٥٣٩ هـ) ٠

(٣) نزهة الالبا بتحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ص ٢٩٧ ٠

(٤) بغية الوعاة ٨٦/٢ ،

(٥) حققه ونشره المرحوم محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

أبى السـعادات الشجرى (١) الذى يصفه ابن الانبـارى نفسه بقوله : (فأما شيخنا أبو السعادات الشجرى فانه كان فريد عصـره ووحيد دهره فى علم النحـو) (٢) ، ولهذا وصف ابن الانبـارى بأنه (لازم ابن الشجرى) حتى برع وصار من المشار إليهم فى النحو ، وتخرّج به جماعة) (٣)٠

أما فى الرواية ، فسوف يرد عند حديثنا عن كتابه (لمع الأدلة) ما يدل على تفوقه فيها ، هذا الى ما ورد بشـأنه فى ثنايا كتب التراجم وكلها شاهدة له بهذا التفوق :

فهو يوصف بأنه « كان إماما ثقةً صدوقا » (٤) ٠ وبأنه قد (روى الكثيـر من كتب الأدب « (٥) ٠ وبانه (برع فى الأدب حتى صار شيخ وقته ٠٠ وتردد الطلبة إليه وأخـذوا عنـه) (٦) ٠

هذا بالإضافة إلى أنه كان من أئمة القرن السادس الذين اختصوا بالرواية والشرح لدواوين الشـعر وغيرها فقد شرح ديوان المتنبى ، وشرح حماسة أبى تمام ، وشـرح السّـبْع الطّـوال ٠

هذا الى كتابه (نزهة الألبّا فى طبقات الأدباء) وقد حوى (١٨١ ترجمة) لعلماء فى علوم مختلفة بدأهم ابن الأنبارى بأبى الأسـود الدؤلى (ت ٩٩ هـ (وختمهـم بشـيخه

---

(١) ت عام ٥٤٢ هـ فى خلافة المقتفى العباسى ٠
(٢) نزهة الألبا / ص ٤٠٤ ٠
(٣) بغية الوعاة ٨٦/٢ ،
(٤) بغية الوعاة ٨٦/٢ ،
(٥) بغية الوعاة ٨٦/٢ ،
(٦) انباه الرواه ١٧٠/٢ ، ١٧١ ،
(٧) بغية الوعاة ٨٧/٢ ٠

ابن الشجرى ، وضمّن كتـابه طائفة من الأحكام توثيقًـا وتجريحًا ، وتميّز فيه بالاعتدال والإيجاز المفيد ، الذى جعله مرجعا لا غنى عنه ، مع كثرة أمثاله من كتب التراجم .

لمـــع الأدلة :

وقد ورد فى مراجع شتى يوثق نسبته إلى الكمـال بن الأنبارى ، فذكره - على سبيل المثال - الصفدى فى الوافى بالوفيات (١) ، والسيوطى فى بغية الوعاة (٢) كما نقل عنه السيوطى كثيرا فى كتابه (المزهر) (٣) ، والمرتضى الزبيدى فى (تاج العروس) (٤) ، ذاكرين نسبه للأنبارى .

وقد حاول ابن الأنبارى فى (لمـعه) أن يتحدث عن درجات النقلة فى اللغة ، ويقسّم هـذه الدرجات ويحـدّد كل درجة منها تحديدا دقيقا ويورد اراء لبعض علماء اللغـة ويوجه هذه الاراء ، حتى جاء كتابه - فى النهاية - جـاريا على سمت كتب علماء مصطلح الحديث .

فالنقل - عنده - ينقسم الى قسمين : (تواتر ، وآحاد) : فالتواتر : هو لغة القرآن فى المقام الأول ، ثم يلى ذلك فى

---

(١) انظر حاشية (اراء الرواة) ١ / ١٧٠

(٢) انظر ٢ / ٨٦ .

(٣) انظر مواضع مختلفة فى ١ / ٦٨ وغيرها .

(٤) انظر مقدمة الزبيـدى على (تاج العروس) ص ٣ وما بعدهـا والزبيدى هو أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرازق الشـهير بالمرتضى الزيدى الحنفى الواسطى . نزيل مصر . ولد بالهند سـنة ١١٤٥ هـ وأخذ من علمائهـا ومات فى عام ١٢٠٥ هـ (×) طبـع هذا الكتب فى بيروت سنة ١٩٦٣ م ، وذكره السيوطى فى كتابه . المزهر باسم (لمـع الأدلة فى أصول النحو) ١ / ٦٨ .

(درجــته) التواتر « السنة الشــريفة » (١) ، ثم يلى ذلك « لغة العرب » وهذا القسم قطعى الدلالة « يفيد العلم » ·

وقد حاول ابن الانبارى أن يفسّر لنا المــراد بهذا العلم ، وذكر خلافات العلماء فى ذلك · وأدخلنا فى مناقشات بالغة التعقيد بدا فيها متأثرا بغيره من العلماء ، وبخاصة علماء أصول الفقه ، وساق هذه الآراء دون أن يحدّد لنا أســماء معينة ادّعت هذه الآراء · ومن هذه الدعاوى (التواتر فى اللغة (لا يفضى الى علم البتة) (٢) ، وسند أصحاب هذا الرأى (شبهه ضعيفة) (٣) ، وهى أن العلم لا يحصل بنقل كل واحد منهم ، فكذلك بنقل جماعتهم) (٤) ·

وقــد علّق ابن الانبــارى على الدعوى الاخيرة ، وعلى الشبهة التى ستنند اليها أصــحابها بأنها (شبهة ظاهرة الفساد) ، لأن الجماعة التى يتواتر بينها الخبر هى جماعة متضــامنة ، وهم فى تضامنهم يشــبهون من يتعاونون على رفع حمل ثقيل ، لو أراد كل واحد بمفرده أن يحمله لعجز ، فاذا تضامنوا جميعا قدروا على رفع ذلك الحمل (٥) ·

وقد عرض لنا ابن الأنبارى العــدد الذى ينبغى أن يبلغ (حد التواتر) (٦) فذكر لنا آراء العلماء فى ذلك :

(أ) ففريق لا يرى ذلك محددا بعدد معين (٧) ·

---

(١) لمع الأدلة ص ١٣ (ط بيروت سنة ٤٣ ·
(٢) لمع الأدلة ص ٢٠ ·
(٣) لمع الأدلة ص ٢٠ ·
(٤) لمع الأدلة ص ٢٢ ·
(٥) لمع الأدلة ص ٢٣ ·
(٦) لمع الأدلة ص ٢٤ ·
(٧) لمع الأدلة ص ٢٥ ·

(ب) وفريق يرى التحديد العددى ، بعضهم بسبعين[1] ، وبعضهم بأربعين ، وبعضهم بأثنى عشر ، وذهب آخرون إلى أن شرطه أن يبلغوا خمسة)[2] .

ووافق ابن الأنبارى الفريق الأول الذى لا يرى تحديداً عددياً وإنما يرى (أن يبلغ عدد النقلة إلى حد لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب)[3]

وأما الآحاد : فتعريفه أنه : (ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يوجد فيه شرط التواتر)[4] ، وقد ذكر ابن الانبارى أن خبر الآحاد من الأدلة المأخوذ بها فى علم اللغة ، ثم عرض لنا آراء العلماء المختلفة فى درجة أفادته .

وبهذا الأسلوب الجدلى ، يتضح نهج الأصوليين فى التأثر بالمنطق الأرسطى ، إذ يعرض لنا ابن الأنبارى سائر الأنواع الأخرى للنقل كالمرسل والمنقطع والمفصل والمعنعن والغريب ، وهو يعرض (المصطلح) فيحدده ثم يسوق الآراء ، ويناقشها ، وينتهى إلى رأى خاص به[5] .

وكما ذكر ابن الأنبارى (أنواع الأسانيد) ، كذلك ذكر شروط الراوية ، ومنها العدالة ، فإنه يشترط (أن يكون ناقل اللغة عدلا ، رجلا كان أو امرأة ، حراً كان أو عبداً ، كما يشترط فى نقل الحديث)[6] .

والسبب أن اللغة هى الوسيلة التى تفسر الحديث

---

(١) لمع الأدلة ص ٢٦ .
(٢) لمع الأدلة ص ٢٩ .
(٣) لمع الأدلة ص ٢٢ .
(٤) لمع الأدلة ص ٣٠
(٥) وانظر لمع الأدلة مثلا ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ومواضع أخرى .
(٦) لمع الأدلة ص ٣٩ .

منهج أهل الحديث في كتابة المصطلح

الشريف ، وتعين على فهم معناه ، ولهذا (اشترط فى نقلها ما اشترط فى نقله) ، وان لم تكن اللغة بطبيعة الحال فى درجة الحديث فى « الفضيلة »[١] .

وأجاز ابن الأنبارى نقل العدل ، ولو كان هذا العدل واحداً ، فرأى أنه « لا يشترط أن يوافقه غيره فى النقل » .

ولقد كان مما اشترطه ابن الانبارى فى الراوية للأثر اللغوى ، ألا يكون مجهولا ، لأن الراوية ، إذا كان مجهولا ، جهل العلماء حاله ، حيث صدقه أو كذبه ، ولهذا رفض رأى من أجاز قبول رواية المجاهيل من الرواة[٢] .

وإذا كان كمال الدين قد جارى علماء مصطلح الحديث فى تقسيماته للرواة ، وشروط أهل الرواية ، وفى أسلوب نقاشه وعرضه للآراء ، فانه فى بعض مواقفه كان واقعياً ، فلم يشترط كل ما اشترطه المحدثون فى الرواة . ومن هذا مثلا قوله (نقل أهل الأهواء مقبول فى اللغة وغيرها ، إلا أن يكونوا ممن يتدينون بالكذب كالخطابية من الرافضة[٣] ، فهو - إذن - لا يرد رواية ذوى البدع والاهواء ، لكنه يرد رواية الكذبة ، ومن تمرسوا بالكذب . ولهذا رفض رواية ذوى الاهواء والبدع ، فى حالة ما إذا كانت بدعهم ذات مطعن فى صدقهم ، فقال عن رواية المبتدع : « إذ لم تكن بدعته حاملة على الكذب ، فالظاهرة صدقه »[٤] .

وهكذا وضع ابن الأنبارى هذه الأصول ، لتكون فى

---

(١) لمع الأدلة ص ٣٩ .
(٢) لمع الأدلة ص ٤٢ .
(٣) لمع الأدلة ص ٤٥ .
(٤) لمع الأدلة ص ٤٤ ، ٤٥

كتاب مستقل لاول مرة ٠ وان استفاد ممن جاء قبله من العلماء (١) ، فوضع بذلك اساسا لمحاولات أخرى جاءت بعده ، وتابعت جهده ، حتى نضجت على يد جلال الدين السيوطى فى القرن العاشر الهجرى ٠

ثانيا : رواة الدواوين :

ظلت حركة الاهتمام بالدواوين الشعرية دائبة النشاط الى القرن السادس الهجرى ، وبعده بقرون ، ما بين جمع وصناعة لهذه الدواوين ، أو رواية المجموع منها : الباعث على الاهتمام فى هذه الحقبة ، هو الباعث ذاته فى كل حقبة سبقتها ، أو جاءت اثرها وهو (حفظ آثار الشاعر عن طريق جمعها فى ديوان يغدو فيما بعد مصدرا هاما لآثاره) ٠

واحتفظت الدواوين — فى القرن السادس — باتجاهات محددة كانت مسبوقة بها فى القرون السابقة ، ومع هذا — فهى من جهة أخرى — قد حققت اضافات جديدة :

فهناك الشعراء الذين صنعوا لأنفسهم دواوينهم مثل ابن أفلح (ت ٥٣٧ هـ) (٢) ٠ وقد صنع ابن أفلح لديوان شعره الذى جمعه بنفسه مقدمة ، كما رتب الديوان حسب أحرف القافية ، وذكر عدد ما فى كل قافيه من بيت ، واعتنى بديوانه وهذبه (٣) ٠

---

(١) سبق ذكر ذلك ونضيف الى من قدمنا فقه اللغة (ابن فارس مقدمة المؤلف) ٠

(٢) جمال الملك أبو القاسم على بن أفلح العباسى (وفيات الاعيان ٣ / ٦٨) ٠

(٣) وفيات الاعيان ٣ / ٦٨ ٠

والجديد هنا هو تلك المقدمة التى صنعها اا
ثم فى ذكره لعدد الابيات فى كل قافية من قو
الى وجوه أخرى من العناية والتهذيب
ابن خلكان ، الذى قرر أنه رأى ديوان شعره (١) .

كذلك من الرواة الذين عنوا بجمع دواوين أشعارهم أبو المظفر الابيوردى ، الذى وصفه ابن السمعانى بأنه أوحد عصره ، وفريد دهره ، فى معرفة اللغة والانساب وغير ذلك (٢) ، وهو وصف اذا أضيف اليه ما ذكره المؤرخون له من تصانيفه ، تأكد لنا أنه كان من أئمة أهل الرواية فى زمانه (٣) .

اما ديوانه الذى جمعه بنفسه ، فانه قسمه الى اقسام : منها العراقيات ، والنجديات ، والوجديات ، الى غير ذلك من الاقسام ، كما ذكر ابن خلكان (٤) .

ويضيف القفطى مزيد توضيح لمنهج الابيوردى فى تقسيم ديوانه فيقول : وشعره كثير ، قد فننه فنونا على البلاد ، فمنه العراقيات ، ومنه النجديات الى غير ذلك (٥) .

والاضافة الجديدة فى هذا الديوان ، هو منهج التقسيم ، حيث قسم القصائد حسب البلاد .

---

(١) وفيات الاعيان ٣ / ٦٨ .
(٢) نقله عنه القفطى فى انباه الرواة ٣ / ٤٨ _ ٥١ والسيوطى فى بغية الوعاة ١ / ٤٠ .
(٣) من هذه الكتب : المختلف والمؤتلف وما اختلف وائتلف فى انساب العرب ، وانظر انباه الرواة ٣/٥٠ .
(٤) وفيات الاعيان ٤ / ٧١ .
(٥) من هذا الديوان عدة نسخ مخوطة بدار الكتب المصرية . وطبع بالمطبعة العثمانية فى لبنان سنة ١٣٢ هـ . كما نشرت أجزاء منه مستقلة ، وانظر تاريخ اداب اللغة العربية (١٩/٣) وحاشية انباه الرواة ٣/٥١ .

كذلك ممن حرصوا على جمع دواوينهم من الشعراء : أبو الفتح محمد بن عبد الله ، المعروف بابن التعاويذى (ت ٥٨٣ أو ٥٨٤) ، وهو احد شعراء العراق ٠ قال فيه ابن خلكان : كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله ٠٠ وفيما أعتقد لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه (١) ٠

وقد جمع ابن التعاويذى ديوان شعره ، قبل أن يكف بصره ، ثم بدا له أن رتبه على أربعة فصول ، وأضاف اليه بعد ذلك زيادات ، ولهذا فان ديوانه يوجد بروايتين : احداهما بالزيادات ، وأخرى من غيرها ، كما انه كتب لديوانه مقدمة أيضا ، والجديد هنا : هو التقسيم الذى ، وان كنا لا نعرف نوعه ، الا انه ليس حسب القوافى على الأقل كما كان دأب سواه من جماعى الدواوين ٠

ومعنى هذا ان القرن السادس الهجرى قد تأكد فيه نهج جديد فى ترتيب قصائد الدواوين ، وهو ترتيب تتنوع طرائقه ، ولكنه يتفق على شىء واحد هو (عدم الترتيب حسب القوافى) ٠ ويزداد هذا الحكم تأكدا عندما يلوح لنا أن شعراء آخرين ، عدا من قدمنا ذكرهم ، قد رتبت قصائد دواوينهم ، بمعرفة سواهم من الأدباء ومن ذلك ديوان الأسطرلابى (٢) الذى جمع ديوانه ابن حجاج ، ورتبه على ١٤١ بابا ، وجعل كل باب فى فنون من شعره (٣) ٠

وبالاضافة الى حركة (جمع الدواوين) فى القرن

---

(١) وفيات الاعيان ٤ / ٩٦ . ٩٧ . وانظر ايضا شذرات الذهب ٤ / ٢٨١ ٠

(٢) احد من ذكرهم ابن شاكر فى فوات الوفيات (ت عام ٥٣٤ هـ) ، انظر فوات الوفيات ٢/٦١٥ ٠

(٣) فوات الوفيات ٢/٦١٥ ٠

السادس قامت حركة اخرى استهدفت روايتهـا ، تراها فيما أثبتاه فى صدر هذا الفصل وغيره من المراجع (٣) ٠

وانما خصصنا بالذكر والتفصيل ظـاهرة الاهتمـام (بالترتيب الموضـوعى) ، وهو ترتيب خـرج على المعهود الشائع ، وكان حمزة الاصفهانى قد بدأه ، ولم يقدر له حظ من الاتساع فى تطبيقه (إلا فى المائة السادسة) ٠

انظر مثلا تكملة ابن الابار ٥٣٧/٢ ، ٥٥٦ ، وفيات الاعيان ٣٥/٣ ، بغية الوعاة ١٧٥/٢ ، معجم الادباء ٥٧٦/٤ ٠

ثالثا : الشــراح :

كذلك ظهر خلال القرن السادس جمع من شراح الدواوين، وغيرها من الاثار · وغير خاف ان الشراح كان دائما مقرونا بالرواية ، وقد اتجهت عناية (الرواة الشراح) الى دواوين المتبى وحماسة أبى تمام والمفضليات وغير ذلك ،كما ظهرت أيضا العناية بشرح ورواية القصائد المفردة ·

والتى منها مقصودة ابن دريد ، وقد شرحها كمــال الدين الانبارى ضمن ما شرحه من دواوين الشعر للمتنبى وغيره ·

ومن القصائد المفردة ايضا لامية العرب ، للشنفرى ، التى كــان من شــراحها جــار الله الزمخشـــرى المتوفى عام ٣٥٨ هـ ·

وبالإضافة إلى عناية علماء وأدباء القرن الســادس الهجرى بدواوين أشعارهم ، وأشعار قرنائهم فى الحقبة ،فقد عنوا أيضا بدواوين القدماء المتقدمين عليهم فى العصــر ، وانصرفوا ، فى الاعم الأغلب الى ديوان أبى الطيب المتنبى·

ونذكر على – سبيل المثال – من هؤلاء الرواة للدواوين أبا الحسن على بن عبد الرحيم ، احد الراوة وعلماء اللغة فى القرن الســادس الهجرى (ت ٥٧٦ هـ) ، ومن تلاميــذ ابن الشــجرى والجواليقى (١) ، وقد كان ابن عبد الرحيم « عارفا بديوان المتنبى علما ورواية ، وقرأه عليه جمع كثير فى العراق والشام ومصر » (٢) ·

---

(١) وفيات الاعيان ٣/٢٥ ·
(٢) وفيات الاعيان ٣/٢٥ ، وانظر فى ترجمة ابن عبد الرحيم : معجم الأدباء (١١/١٤ – بغية الوعاة (٢/١٧٥) ·

رابعا : الرواة والحفــاظ :

وهم أولئك الرواة الذين دأبوا على الحفظ ، وبخـاصة حفظ آثار المتقدمين من الشعراء . وأهم ما عنى به هؤلاء الرواة لآثار المتقــدمين : ذى الرمــة ، وشــعر رؤبة ابن العجاج وأرجازه – وأشعار الهذليين .وكان الدافع الى الحفظ هو ما فى هذه الآثار من الغريب ، وما حوته من اللغة.

ونأخذ هنا مثالين لأولئك الحفاظ من الرواة : أحدهمـا من المشرق والثانى من الأندلس : فمن المشرق : ابن زُهْر الإشبيلى (١) ، الذى انفرد بالإمامة فى الطب فى وقته ، وكان فى الوقت نفسه من أشهر شعراء الأندلس ووشّـاحيه فى زمانه ، وأحد شيوخ ابن دِحية الكَلْبى ، صاحب كتـاب (المطرِب من أشـعار أهل المغرب) (٢) والذى جمع فيـه طائفة من مرويات شيخة ابن زهر .

وقد كان – كما نقل عنه تلميذه ابن دحيه – يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث اللغة ، كما حفظ أيضا الأشعار الجاهليـة ، وأشعار الإسلاميين وأشعار المولّدين ، مع المشاركة فى ســواها (٣) .

وأما الراوية الحافظ فى المشرق فهو (أبو العبـاس) التوماثى (٤) ، أحد رواة العراق ، وعلمائه وممن روى عن

---

(١) انظر شذرات الذهب ٤/٣٢٠ ، معجم الادباء ١٨/٢١٦ ، التكملة لابن الابار ١/٢٧٠ ، نفح الطيب ١/٢٧٠ .
(٢) انظر ص ٣٠٣ وما بعدها (ط الخرطوم) .
(٣) انظر المطرب ص ٢٠٣ وما بعدها .
(٤) وانظر (وفيات الأعيان ٤/٦١) .

ابى منصور الجواليقى ، وأبى السعادات الشجرى (١) ·

وكان التوماثى يحفظ المجمل وشعر الهذليين وأخبار الأصمعى وشعر رؤية بن العجاج وذى الرمة ، وغيرهما من المخضرمين وأهل الإسلام والجاهلية (٢) ·

---

(١) انباه الرواة : ٣٥٦/١ ·
(٢) انباه الرواة ٣٥٦/١
والتوماثى : هو الخضر بن ثروان · وتوماث إحدى قرى الموصل بالعراق · وقد لقبه ياقوت الحموى - كما روى ذلك فى عام ٥٤٤ · ولم يذكر له تاريخ وفاة : وانظر معجم الأدباء ٤٣١/٢ - ٤٣٢ وبغية الوعاة ٥٥١/١ - ٥٥٢ ·

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن السادس

الأثر وراويه	المصدر والملاحظات
ملك النحاة = أبو نزار الحسن بن	معجم الأدباء : ٨/ ١٢٣ -- ١٣٩
صافى ين عبد الله (ت ٥٦٨)	بغية الوعاة : ١ / ٥٠٤ ٥٠٥
- ديوان شعره .	
ابن ثروان التومائى = الخضر بن	مر بتفصيل وانظر بغية الوعاة١/١٥٥
ثروان بن أحمد (ت ٥٤٤)	
- حفظ شعر الهذليين	
- حفظ شعر رؤبة	
- حفظ شعر ذى الرمة	
الوأواء = عبد القاهر بن عبد الله	بغية الوعاة ٢ / ١٠٦
الحلبى النحوى (مه ٥٥١ ﻫ)	
-- شرح ديوان المتنبى ورواه	
ابن الأخضر الأشبيلى (ت٥١٤ ﻫ)	بغية الوعاة ٢ / ١٧٤
- شرح ديوان أبى تمام	
- شرح ديوان الحماسة	
أبو المحاسن البيهقى = مسعود بن على	بغية الوعاة ٢ / ٢٨٤ معجم الأدباء
الملقب بفخر الزمان (ت ٥٤٤ ﻫ)	١٩ / ١٤٧
- شرح الحماسة	
الميدانى صاحب مجمع الأمثال	معجم الأدباء ٥ / ٤٥
(ت ٥١٨ ﻫ) شرح المفضليات	
على بن عبد الرحيم (ت ٥٧٦ ﻫ)	بغية الوعاة ٢ / ١٧٥ ومعجم الأدباء
- عارف بديوان المتنبى	١٤ / ١١

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن السادس

الأثر وراويه	المصدر والملاحظات
ابن هداب (ت ٥٦٢ هـ)	
حفظ عدة دواوين من شعراء العرب	
	معجم الأدباء ١٠ / ١٨٠
كمال الدين بن الأنبارى (ت ٥٧٦ هـ)	وفيات الأعيان ٣ / ٢٥
– ديوان المتنبى « شرح »	بغية الوعاة ٢ / ٨٧
– شرح السبع الطوال	
– شرح الحماسة	
– شرح مقصودة ابن دُريد	
محمد بن أحمد (كان حياً سنة ٥٥٧ هـ)	
– نُكَتٌ على شرح أبيات سيبويه	بغية الوعاة ١ / ٤٩
– شرح مقصودة ابن دريد	
محمد بن خلف الإشبيلى (ت ٥٨٦ هـ)	
– شرح الأشعار الستة	الوافى بالوفيات ٣ / ٤٦
محمد بن المعلّى (المائة السادسة)	بغية الوعاة ١ / ٢١١ - ١٠١
– شرح ديوان تميم بن أبى مقيل	بغية الوعاة ١ / ٢٤٨
ابن منذر الإشبيلى (ت ٥٨٤ هـ)	معجم الأدباء ١٩ / ٥٥
– شرح الحماسة	
أبو الغنائم الضرير = حبشى بن محمد	
الشيبانى (ت ٥٦٥ هـ)	بغية الوعاة ١ / ٤٩٣
سمع كثيرًا من كتب الأدب ودواوين	إنباه ١ / ٣٣٧ ، ٣٣٨
العرب	(ولم يذكر القفطي روايته)

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن السادس

الأثر وراويه	المصدر والملاحظات
البطليوسى = ابن السيد (ت ٥٢١ هـ)	وكلها وقعت للبطليوسى
— ديوان المتنبى — ديوان سقط الزند — ديوان امرىء القيس — ديوان النابغة الذبيانى — ديوان الحماسة — قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير — المفضليات — لامية العرب للشنفرى	برواية التبريزى = يحيى بن زكريا الخطيب (ت ٥٠٢ هـ) وانظر : — بروكلمان فى (تاريخ الأدب العربى) ١/٧٤، ٦٩، ٨٠، ٨٥، ٨٩، ١٠٠، ١٠٨، ١٠٩
— القصائد العشر — شرح ديوان المتنبى	الصبح المنبى ٢٦٨
— ديوان زهير بن أبى سلمى — ديوان النابغة الذبيانى — ديوان علقمة الفحل — ديوان المتنبى — ديوان الحماسة — قصيدة ذى الرمة	وكلها برواية الأعلم الشنتمرى = يوسف بن سليمان الشنتمرى الأندلسى (ت ٤٧٦ هـ) وانظر — بروكلمان (فى تاريخ الأدب العربى) ١/٨٩، ٩٠، ٩٧ — الصبح المنبى ٢٦٨ — وفيات الأعيان ٤/ ٧٩
— المعلقات السبع	برواية وشرح الزوزنى = الحسين بن أحمد (ت ٤٨٦ هـ) وانظر بركلمان فى (تاريخ الأدب العربى) ١/ ٧٠، ٢١٣

ثبت بالدواوين والشروح فى القرن السادس

الأثر وراويه	المصدر والملاحظات
ابن عفيون الداقى = محمد بن أبى بكر أبو عبد الله (ت ٥٩٦ هـ)	تكملة الصلة ٢ / ٥٣٧
- جمع شعر ابن جبير	
لحمد بن عبد الله العجلى أبو الحسن النحوى (ت ٤٦٠هـ بمصر)	بغية الوعاء ١ / ١٢٨
- شرح ديوان المتنبى	
الخوارزمى = أبو عبد الله محمد بن على (ت ٤٢٥ هـ)	بغية الوعاة ١ / ١٧٢
- شرح ديوان المتنبى	
على بن عبد الرحيم = مهذب الدين ابن العصار ت ٥٧٦ هـ)	بغية الوعاة ٢ / ١٧٥ (معجم الأدباء ١٤ / ١١ / ١٤
- عارف بديوان المتنبى	
- شرح لامية العرب للشنفرى (أعجب العجب فى شرح لامية العرب)	بروكلمان ١ / ١٠٧

خامسا : مدرسة اليتيمة (العماد الأصفهانى والخريدة):

تحولت (يتيمة الدهر) ، التى ألفها الثعالبى الى مدرسة ، فتحت بابا على مصراعيه لنمط معين من التصانيف الادبية والرواية ، وكانت الخريدة حلقة اتصال وتواصل باليتيمة ، ـ كما سبق أن أوضحنا ـ صدر هذا الباب ٠

ولم يكن هذا الباب ، الذى فتحته اليتيمة قاصرا على من احتذى نهجه من رواة المشرق فحسب ، بل امتد ايضا الى رواة المغرب ، حتى رأينا ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) فى احد اقسام الذخيرة (١) يقول فى مقدمة القسم الرابع : (وقد أثبت اضا آخر هذا القسم طرفا من كلام أهل المشرق ، وان كانوا لم يطرأوا على هذا الافق حذو أبى منصور الثعالبى ، فانه ذكر فى يتيمته نفرا من أهل الأندلس ، فعارضته أو ناقضته ، والأدب ميدان يليق به المتاح ، ويستحسن فيه الجماح) (٢) ٠

العماد الأصفهانى (ت ٥٩٧) :

هو ابو عبد الله محمد ابن صفى الدين الملقب عماد الدين الأصفهانى ، وزاد ابن خلكان فى ذكر اسمه ونسبه لفظ (الكاتب) قبل لفظ صفى الدين الملقب « عماد الدين الاصبهانى » (٣) ، وزاد (الاصبهانى) (٤)

---

(١) هو كتاب : « الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني والكتاب طبع بلجنة التأليف والترجمة والنشر سنة (٣٦٣ هـ = ١٩٤٢ م)

(٢) القسم الرابع / المجلد الاول ص ٢

(٣) زيدان : ٦٧/٣

(٤) وفيات الاعيان : ٢٣٨/٤

كما وصفه ابن العماد فى صدر ترجمته له بالوزير العلّامة(١) . وقد ولد العماد بأصبهان بلده الذى إليه نسب ، ثم تفقه ببغداد فى مذهب الشافعى وأتقن الفقه والخلاف والعربية(٢) ، ثم تقلد العديد من المناصب ما بين ديوان الإنشاء ، وغيره من الوظائف ، حتى توثقت صلته بصلاح الدين الأيوبى ، بعد أن استولى على الشام ، حتى صار العماد فى عهده من « الصدور المعدودين كالوزراء العظام »(٣) ، إلى حين وفاته عام ٥٩٧ هـ .

علمه وثقافتـه :

وصفه البعض بأنه «كان واسع العلم فى الأدب والشعر والتاريخ والفقه»(٤) كما استحق أيضاً أن يلقب « مؤرخ العصر الأيوبى »(٥) وسنرى كيف تأكدت هذه الصفات من خلال دراستنا لكتاب الخريدة، الذى حشد فيه العماد آثاراً مشرقية وآثاراً مغربية .

كما تتضح لنا هذه الصفات من خلال مصنفاته التى أثرت عنه ، ومنها :

(١) الفتح القسى فى الفتح القدسى ، وقد وصف فيه فتح صلاح الدين بيت المقدس .

(٢) البرق الشـامى ، ترجم فيـه لنفسه ، كما بسط شيئـاً

---

(١) شذرات الذهب ٤ / / ٣٣٢

(٢) شذرات الذهب ٤ / / ٣٣٢

(٣) زيدان ٣ / ٦٧

(٤) زيدان ٣ / ٦٧

(٥) جمال الدين الالوسى : مقال له بمجلة الأديب اللبنانية (١١ نوفمبر سنة ١٩٧٢) ص ٤٥ .

من أخبار صلاح الدين وانتصاراته .

(٣) نصرة الفطرة وعصرة القطرة — وهو فى تاريخ السلاجقة ووزرائهم .

الخريدة :

خلدت الخريدة شعراء القرن السادس الهجرى ، وروت من أخبارهم وأشعارهم ما روت ، وهم كثر فى عددهم ، كثيرة أشعارهم ، زخرت بهم الأرض الاسلامية ما بين خراسان وفارس فى أقاصى الشرق ، حتى المغرب على ضفاف المحيط الاطلنطى ، فالأندلس فى جنوب غربى أوربا وصقلية فى البحر المتوسط[1] .

وقددفعه وفاؤه للعراق وإعجابه به وقد قضى شطراً كبيراً من عمره، وتلقى العلم به فى ساحة المدرسة النظامية . إحدى معالمه الفكرية البارزة، دفعه ذلك كله إلى أن يختص إقليم العراق بنحو ثلث الكتاب ، وبلغ بعدد من روى آثارهم من شعراء العراق وأدبائه (٢٨٨ شاعراً) بينهم من بغداد وحدها (١٩٣) شاعراً ، فيهم الخلفاء والأمراء والوزراء[2] .

هذا من الوجهة المكانية لمرويات الكتاب ، وأما من الناحية الزمنية أعنى الفترة الزمنية التى روى فيها العماد لاصحابها ، فنحن ندع العماد نفسه الحديث عنها بلفظه ، يقول : وقد ذكرت أهل عصر آبائى وأعمامى

(١) مقدمة ناشر الخريدة (قسم العراق) ١ / ٤ .
بتحقيق العلامة محمد بهجت الأثرى (ط العراق) .
(٢) المرجع السابق .

فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضى والحاضر النامى ٠ واكثر ما أوردته شعر من أروى عن واحد عنه ، ان لم يكن أدركته وسمعت عنه (١) ٠

مصـــادره :

(١) الرواية

فاذا كان الشاعر من معاصريه ، ومن أتيح له لقاؤه ، والاجتماع به روى عنه مباشرة ، والاروى عن واحد عنه٠كما اوضح لنا فى مقدمته السابق ذكرها ٠

وقد أسند العماد مباشرة ـ بالفعل ـ الى شعراء انيح له أن يلقـاهم ، بما يؤكد روايته عنهم دون واسـطة (٢) ٠

كما اسند عن واحد عن شاعر فى أكثر من موضع أيضا (٣)،

ومن الملاحظ أن اولئك الذين روى العماد آثارهم بواسطة الغير ، هم من ذوى القرابة الراوية الذى نقل العماد عنه ، فمنهم من يروى عن والده ، أو عن خاله ، أو عن عمه (٤) ٠

وهكذا يؤكد ان « عامل القرابة » ما زال يلعب دوره ، منذ بواكير الرواية والى القرن السادس الهجرى على الاقل٠

وقد وضح هذا العامل فى قسم شعراء العراق ، بالذات ، وبخاصة عند رواية اثار بعض العـائلات مثل (بنو مزيد الاسديون) النازلون بالحـلة السيفية على الفرات ، وقد

---

(١) مقدمة العماد (القسم العراقى » ص ٧ ـ ٨

(٢) انظر مثلا (قسم العراق) ٧/٤ ، ٢٤ ، ١٢٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٤٧ وغيرها ٠

(٣) انظر ١٤١/٢ ، ١٤٣ ، ١٨١ ، ١٩٦ وغيرها ٠

(٤) انظر : ٢٠٤/٤ ، ٢٠٩ ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٣ ٠

ترجم العماد لرجال من هذا البيت (١) ٠

ومن ناحية عناية العماد بهذه العائلات المتأدبة اتضحت لنا حقيقتان ترتبطان بظاهرة الرواية : الأولى دور العائلات المتأدبة فى تنشيط الحياة الأدبية عن طريق الرواية والثانية دور الرواية فى تحقيق « التواصل الفكرى » بين الاجيال المتعاقبة لهذه العائلات ، حيث يروى الابن عن الجد ، والحفيد عن هؤلاء جميعا ، فتتصل داخل العائلة الواحدة سلاسل الاسانيد ، وتتصل معها عرى الرواية والتواصل بين باحثينا

وتلك حقيقة بحاجة الى درس مفصل يتناول مثل هذه العائلات المتأدبة ممثلة فى آل زهير فى الجاهلية والاسلام ، ثم (آل المنجم) ، واليزيديون ، وآل التنوخى وآل العديم ٠٠ وآل منقذ (٢) الخ ٠

(٢) المصادر المدونة

وتتنوع كثرةً وقلة حسب الأقسام ، وطبيعة الرواية فيها ٠

فهو فى قسم العراق ـ مثلا ـ يغلب عليه الاعتماد على الرواية الشفوية ثم يلى ذلك قسم الشام ٠

أما المغرب والأندلس ، فيغلب عليه الاعتماد على المدونات ، ويقل الاعتماد على الرواية الشفوية (٣) والسبب فى ذلك واضح ، فهو يروى حيث تتاح له اللقيا والرواية

---

(١) ١٥٣/٤ الى ١٨٢ ٠

(٢) أشرنا فى بحثنا للماجستير الى الرواية الشعرية عند « زهير من أبى سلمى » واثر عامل القرابة فى امتداد الرواية وامتداد خصائص زهير من جهة اخرى ٠ ولكن ما تزال ظاهرة العائلات المتأدبة ، بحاجة الى جهد علمى ينهض به بعض دارسينا للكشف عن ابعاد تلك الظاهرة الهامة فى مجال الرواية والانتاج الادبى على السواء ٠

(٣) انظر : مقدمة الناشر لقسم شعراء المغرب ص ٧ (ط تونس)

وهى متاحة اكثر ما تكون فى العراق - حيث مقامه - وكذلك فى الشام · أما فى المغرب والاندلس ، فالفرصة امامه قليلة ، بل هى نادرة (١) ·

ومدونات العماد تتنوع وتختلف فيما بينها :

بين كتب التاريخ ودواوين الاشعار ، فاما كتب التاريخ ، فان من اهمها ذيل السمعانى ، وذيل ابن الهمذانى (٢)

وبالنسبة للدواوين الشعرية ، فان العماد لم يقنع بالنقل عنها ، وانما دعم نقله بالرواية الشفوية (٣) ·

ومن الملاحظ أن العماد - وبخاصة فى القسم العراقى - الذىأتيح له قدر وافر من الرواية الشفوية - لم يكن يثبت فى الخريدة الاثار الا بعد عرضها على الشعراء ، وهو بهذا العرض ينتهج تقليدا من تقاليد أهل الرواية ، فيوثق مروياته ويصحح منها ما يلحقه من تحريف او تصحيف ، ومسلكه فى هذا هو مسلك الثقات وأهل الرواية والسماع ·

ويبدو أن العماد الاصفهانى لم يكن دائما يعتد بتدوين الاثار من افواه اصحابها ولهذا نراه احيانا يبدى ندما شديدا ان فاته تدوين آثار الشاعر ، لو عرض له بترجمة ، ولم تسعفه مدوناته أو ذاكرته باثبات شىء من آثاره الشعرية كقوله (وسمعته كثيرا ينشد قصائده ··· وما اتفق لى اثبات شىء من شعره لوثوقى بالزمان وامتداده ، وانى بواسط ولا يفوت ذلك ، ولم أدر أن الليالى

---

(١) انظر مقدمة القسم المغربى ·
(٢) انظر قسم العراق ٤/٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٣٥٣
(٣) انظر مثلا قوله (وانشدت قصيدة على انها لابن المندائى ، قاضى واسط ، فلما أنشدتها للوادى قال هى لى لاله ٤/٣٩٤ ٣ العراق) ·

فى قصد المرء وتعويق مراده (١) .

عوامل اتســاع روايته :

(١) وظيفتــه :

فان وظيفته فى الوزارة ، قد أتاحت له أن يلقى الكثيـر من الشعراء ، وبخاصة اذا علمنا أن بعض من عرفهم من الشعراء وروى عنهـم ، انما كانوا يحضـرون اليه للشـكوى ، وانجـاز مطالب خاصة بهم .

ومن شواهد ذلك ترجمته للشاعر العراقى الشريف علم الدين بن الافساسى فقد تعرف على نسبه من شقيقه الاكبر، وهو بحكم سنه أدرى بنسب العائلة من الشاعر نفسه ، وكانا (اى الشاعر وشقيقه) قد وصلا فى سنة ٥٥٨ هـ من الكوفة الى ديوان الخلافة يسألان اعادة الاملاك التى أخذت (٢) .

(٢) اتصـاله بابن هبيرة :

وكان ابن الخليفة المقتفى (٣) ووزيره فى الوقت نفسه ،وكان ابن هبيره من أعلم وأتقى وزراء السلاجقة ، حتى أنه خوطب (بالوزير العالم العادل عون الدين جلال الاسـلام صفى الامام) (٤) ، وبالقاب اخرى كثيرة تدل على ما كان له من عظيم الفضـل فى زمانه ، وكان ابن هبيرة ، كما اخبـر

---

(١) الخريدة (العراق) ٤/٣٩٤

(٢) الخريدة (العراق) ٤/٢٦٦

(٣) ابو عبد الله الحسين المقتفى لامر الله ابن المستظهر ، أحد حكام السلاجقة بويع سـنة ٥٣٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٥ هـ (الخضـرى ـ الدولة العباسـية ٤٥٠) .

(٤) شذارت الذهب ٤/١٩٦ .

ابن الجوزى «ذا معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض» (١)، ومن هنـا زخرت مجالسه بالشـعراء وأهل الأدب ، الذين حرص على استضافتهم (٢) ، ولهذا فكثيرا ما تأتى روايات ابن العمـاد ، مقترنة باسـم ذلك الوزير العالم ، الذى كان لوجوده اكبر الأثر فى تنشيط الحياة الأدبية ، وثراء صاحب الخريدة بالمرويات كقول صاحب الخريدة :

(أ) وكنا نجتمعفى دار المولى الوزير عونالدين بن هبيرة كل غدوة ، وننتظر اذنه الخواص فى اللقاء ، وجلوسه لاهل الفضل « وأنباه الرجال » (٣) ·

(ب) ويسـجل صاحب الخريدة عبارة من حديث له مـع أحـد الشعراء الوافدين عليه ، يتضـح من فحواها أكباره لابن هبيرة فيقول « فذكرت له التفات الوزير الى ، وتحدثت بانعامه على ولولاه ذل أهل الفضل ، وعز اؤلى الجهل فهو الناقد البصير ، العارف الخبير عاش الفضـلاء فى ذراه ، فياضيعة ذوى الأدب وأولى الحسد لولاه ···· » (٤) ·

(ج) الـكثير من أسـانيد الخريدة تسـجل أن مرويات العماد جاءت أثناء سماعه لها ، وقـد عكف الشـعراء على القائها فى مجالس الوزير ابن هبيرة (٥) ·

٣ ـ خلقـه :

من خلال سيرة العماد ، وما وصف به من دماثة الخلق ، ولين الجانب وسماحه الطبع ، ندرك بعدا هاما وراء ثـراء

---

(١) نفس المرجع ·
(٢) نفس المرجع ·
(٣) خريدة القصر (العراق) ٤/٢٥٠·
(٤) خريدة القصر (العراق) ٤/٢٥٠·
(٥) خريدة القصر (العراق) ٤/٢٦٦ ، ٣٠٢ ·

روايته ، فكل هذه الملامح الخلقية قد يسرت له سبيل التعرف بشعراء عصره ، او برواتهم ، فسمحت لهم نفوسهم باجابته الى كل مطلب برواية ، غير باخلين ولا أشحاء بل كان منهم من يعيره مجاميعه ومذكراته الخاصة ، يقضى منها مطالب الرواية ، وكثيرا ما توحى عباراته بهذا الجو النفسى الذى نجح العماد فى خلقه مع رواته ، وهو جو يلقى ظلالا من المودة والالفه والتقارب ، ومن عباراته فى ذلك قوله : « فاستأنس الشريف بمحاوراتى استئناسى بمحاورته ، وأتحفنى من رقيق عبارته ببيتين له ٠٠٠٠ » (١) ٠

٤ ـ منزلة عمه :

وعمه هو الصدر الشهيد عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد ، أحد شعراء الدولة الايوبية ، وكان ابن العماد قد ألف الخريدة ليخلد فيها آثار الشعراء ممن مدحوا عمه ، الذى نال ارفع مكان لدى الأيوبيين ، فكان الكتاب وفاء لحق الشكر لمادحى عمه من الشعراء ٠ وقد كان الاصفهانى قد جمعمن المدائح التى قيلت فى عمه مجلدات،لكنها ضاعتاثناء غاراتالصليبيين٠يقول صاحب الخريدة: «والذى دفعنىأولا على جمع هذا الكتاب اننى وجدت المعاصرين لعمى الصدر الشهيد عزيز الدين ابى نصر أحمد بن حامد من الشعراء ما فيهم الا من أم قصده ٠٠ ، وكانت المدائح المجموعة فى عمى العزيز مجلدات غير أن العدو لما نكبه نهبها ، وذهب بها وأذهبها ٠٠٠ » (٢) ٠

وكثيرا ما كان الشعراء يلبون رغبة صاحب الخريدة فى

---

(١) الخريدة (رالعراق) ٤/٢٥٠ ٠
(٢) الخريدة (العراق) ٤/٨٠

رواية آثارهم وفاء منهم بفضل عمه عليهم ، حتى كان منهم من يعطيه آثاره ، فيعـرض عليه العماد مالا فيأبى أخـذه ذاكرا لفضـل عمه وأياديه (١) ٠

٥ _ الاخلاصـه العلمي :

وهو عامل ، يقوم من كل ما أسلفنا من العوامل الاخرى ، مقام السند ، والنصير ، فقد تجرد ابن العماد فى سعيه وراء العلم ، ونشاطه الدائب فى الرواية والتحصيل ، وذلك ما ذلل الصعاب أمامه ، وطوى له المكان والزمان معا ، على مدى عشرين عاما أنفقها فى تأليف موسوعته الكبرى ٠

ولولا دأبه ، لكان حسبه شواغل الوظيفـة ، وأعبـاء الديوان لتكون شافعا له امام أى اتهام له بتقصير أو انصراف عن الرواية والتصنيف ٠

فلقد سعى ابن العماد وراء الرواة : ممن أتيح له لقاؤهم، ومن الدفاتـر والتعاليق الخاصـة ، التى سنحت له فرصـة استعارتها ، ومن مدوناته وتقييداته التى كان قـد احتفـظ بها ، ثم ضاع الكثير منها فى هجمة الصليبيين ، ومن الكتب والمكتبات ، كما سافر الى مصر ، والى الشـام ، ولقى بكل منها رواة من المغـرب المسام ، وتطرف من أفواههم آثارا وأخبارا لأدباء المغرب والاندلس وصقليه مما ذكرناه جميعه فى موضـعه ٠٠٠٠

بل ان ابن العمـاد لم يدع فرصـة من فرص الرواية الا وقصد مصدرها واتجه الى مظانهـا ، لا يستثنى من ذلك اصحاب الدكاكين ، فعند ترجمته لاحد شعراء واسط ورواية بعض أثاره يقول : « وكنت أسأل لـما جئت بغداد عنـه ، فما

---

(١) الخريدة (العراق) ٤/٢٥٠ ٠

يعرف أحد ، أنشدني بعض النصارى الطارئين ببغداد يقال له (ابن ثومة) ، وكنت جالسا بباب دكانه وذكر أنه كان شيخا حلاويا ،فترك الحلاوة، واشتغل بالشعر وأنطايب(١)

كما كان يتردد على حوانيت بعض الوراقين ، بغية الافادة العلمية ، ومن ذلك حانوت « سعد بن على الوراق الكتبى الحظيرى » ، الذى وصفه العماد بأنه : كتبى يعرف الكتب وما فيها ، والمصنفات ومصنفيها والمؤلفات ومؤلفيها (٢) ، وقد روى عنه العماد كثيرا من الآثار ٠

وكما قصد حوانيت الباعة ، والوراقين ، قصد كذلك خزنة دور الكتب (٣) ، لمعرفتهم بالكتب بحكم وظيفتهم ، وتعرفهم على المترددين ، من العلماء وأهل الادب والفضل ومشافتهم لهم ، ولهذا كان العماد يروى أحيانا آثارا يعز وجوها عند « خازن دار الكتب النظامية » (٤) ، التى كان نظام الملك الوزير السلجوقى قد ألحقها بمدرسته فى بغداد ٠

واذا كان الثعالبى قد فتح باب مدرسة جديدة فى الرواية والتأليف بكتابه اليتيمة وكان كتاب الخريدة أحد المعالم الفكرية فى « مدرسة اليتيمية » فما هى شواهد انتساب الخريدة لليتيمة ؟ ثم ما أوجه الاختلاف بينهما ؟ ٠

شواهد التأثر تكمن فى حرص العماد على تخليد آثار اهل المائة السادسة من الشعراء ، كما حرص صاحب اليتيمة على تسجيل آثار اهل القرن الرابع ، من الشعراء ٠ والاتجاه

---

(١) الخريدة (العراق) ٤ / ٣٥٨ ٠
(٢) الخريدة (العراق) ٤/٣٥٨ ، وانظر ايضا ٤/٩٦ ، ٤/٢٨ الى ١٠٦
(٣) الخريدة (المغرب) ٢/١٨٩ ٠
(٤) انظر المرجع السابق ٠

هنا واحد • وهو العناية بآثار المعاصرين ، دون الاقتصار على آثار السابقين ، ومفهوم المعاصرة الذى نقصده هنا ، هو أبناء عصر المؤرخ ، ممن أدركهم أو أدرك من لقيهم • وهذه العناية كانت قمينة أن تلاحق النتاج الادبى والشعرى ـ خاصة ـ فترويه وتخلده، دون أن تقصر جهودها على اثار السابقين ، ومنهم الجاهليون والاسلاميون •

(٢) اعتمدت الخريدة المصادر ذاتها التى اعتمدتها اليتيمة ، وهى الرواية الشفوية ، والكتب ، والتعاليق •

(٣) حاكى العماد شيخه الثعالبى ، واحتذاه ، فى العناية بالصياغة اللغوية ، والتأنق فيها ، وتوشيتها بضروب من الزخارف ، وألوان من البديع ، فلم تصرفه الرواية والتاريخ عن مقتضيات الفن •

(٤) وكما ضعف جانب التاريخ عند الثعآلبى،فلم يحفل فى كثير من المواضع بذكر مولد الشاعر ووفاته أو برواية شىء من اخباره • كذلك كان الامر عند صاحب اليتيمة ، فى أكثر الحالات ، وان قل ذلك نسبيا فى قسم العراق ، وظهر أوضح وأجلى فى قسم المغرب •

ففى قسم العراق مثلا ، يهمل الاضافة فى ذكر :

ابن الريفية (١) ، فيترجم له فى سطرين ونصف السطر ، ولا يذكر له مولدا او وفاة ، وقريب منه (القاضى ابو حامد الاشترى) (٢) والمعلم أبو الازهر (٣) وأبو العز نصر ابن محمد بن مبادر النحوى (٤) وابن الذاقة الكوفى (٥)

---

(١) العراق ٤/١٠٧
(٢) العراق ٤/١١٨
(٣) العراق ٤/٠٢٠
(٤) العراق ٤/٢٤٧
(٥) العراق ٤/٢٧٥

وأبو نصر مواهب (١) وابن رؤاس (٢) وفى قسم المغرب تبدو الصورة أوضح ، حين يشير الى الشاعر بلمحة خاطفة. ثم يفيض فى ذكر آثاره رواية أو نقلا (٣) بل قد يكتفى بذكر اسم الشاعر ويتبع ذلك بآثاره (٤) ٠

(٥) وكما عنى الثعالبى فى اليتيمة برواية آثار أهل زمانه فى كل صقع دون الاقتصار على صقعه ، وخص فى تقسيمه المنهجى ، كل اقليم بقسم ٠ فكذلك كان صنيع صاحب الخريدة ، حين جعل قسما لبلده العراق ، ثم تجاوزه الى المغرب ، ليختصه بقسم ، ثم اختص أدباء الشام بقسم وهكذا ٠

فأما ما تفرد العماد به وفاق فيه أستاذه وشيخه فى الوجهة والمنهج فنوجز أهمه فيما يلى :

(١) انه كان اكثر اتساعا من الثعالبى ، حتى صارت الخريدة اكبر موسوعه فى الآثار الشعرية ظهرت خلال القرن السادس الهجرى ، وهو يتجاوز بجهده حد الاتساع الى حد التفرق لا على شيخه صاحب « مدرسة اليتيمة » فحسب ى بل على أقران له سبقوه فى الانتماء اليها ، وان لم يسبقوه جهدا وفضلا وسعة (٥) ٠

فالثعالبى والباخرزى والحظيرى كانوا متفرغين أما صاحب الخريدة ،فكان مثقلا بالجسيم من الاعباء والشواغل،

---

(١) العراق ٤/٢٨٤
(٢) الخريدة ٤/٣٦١
(٣) ١/٥،٢٧،٥٥
(٤) ١/٢٥ ، ٢٦ ، ٨٣ (الوردانى وابن الصباغ ، ٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ (ابن الوراق وخدوج) ٠
(٥) وراجع تفاصيل هامة فى مقدمة العلامة بهجة الاثرى للخريدة (قسم العراق) ص ٣ وما بعدها (ط بغداد) ٠

فقد بدأ تصنيف كتابه فى بغداد ،وهو نائب عن الوزير العالم ابن هبيرة ، ثم حين وكل اليه صلاح الدين الأيوبى الكثير من الاعمال ، فى وقت الحروب الصليبية وقد تضاعفت الاوزار ، واشتد الامر على ذوى السلطان ، فنهض العماد بالامر كله ، ولم يقصر فيما كان بصدده من أجل خدمة الادب والتاريخ ٠

(٢) أنه - وان جارى أستاذه صاحب اليتيمة فى اهماله الجانب التاريخى بشكل واضح فى قسم المغرب ، وبشكل أقل فى قسم العراق ، فانه وفى قسم العراق بالذات يفيض أحيانا فى أخبار من يترجم لهم ويروى لاثارهم ، ومن هؤلاء (الشيخ ابو المعالى الوراق الحظيرى) الذى ترجم له وعنى بأخباره وكشف جوانب هامة عن علاقته الفكرية به، وبلغت هذه الترجمة نحو (٧٨) صفحة (١) ٠

(٣) وقد فضل العماد شيخه صاحب اليتيمة فى أنه وأن أهمل كثيرا الجانب التاريخى ممثلا فى الأخبار وتواريخ المولد والوفاة ، فقد عوض هذا النقص - وبخاصة فى قسم العراق - بظاهرة هامة ، جعلت « الخط الزمنى » (واضحا لديه فى بعض الاحيان ، وهذه الظاهرة هى ذكره لتاريخ لقائه بالشاعر او تاريخ تركه اياه ، او تاريخ روايته عنه ، ويكثر نحو ذلك فى مواضع من الخريدة (٢) ٠

(٦) أبو طاهر السِّلَفي (ت ٥٧٦ هـ) :

يعد السلفى - من وجهة نظرنا - أهم راوية ظهر خلال

---

(١) قسم العراق من ص ٢٨ الى ص ١٠٦

(٢) انظر مثلا : ٨/٤ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ١١٤ ، ١٧٢ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ٠

القرن السادس الهجرى فى مجال الآثار الدينية والأدبية على السواء ٠ لهذا رأينا أن نفرده بدراسة مستقلة دون وضعه تحت اتجــاه معين فى رواية الأدب ، لانه يمثل عــديدا من الاتجاهات ، كما سيتضح من دراســته ٠

وهو الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سِلَفة ، الملقب صدر الدين ،وسلفه ـ هكذا بكسر السين المهملة وفتح اللام ـ هو لقب جده (أحمد) ، ومعناه : غليظ الشفة ، هكذا أورد ابن خِلّكان نسبه (١) وأصل السلفى من (أصبهان) ، وتدل الدلائل على تميّزه بنبوغ مبكر فى الرواية حتى حدّث هوعن نفسه ، انه روى الحديث فى بلده (أصبهان) وهو ابن سبع عشرة سنة «أكثر او أقل » (٢) ، ثم رحل من أصبهان إلى بغداد التى كـــانت ـ آنئذ ـ كعبة القصــاد من الرحــالة الرواة ، فأدرك فيها طائفة من ثقات الرواة (٣) ، ومن أهم هؤلاء الشيوخ فى رواية الأدب والذين تخرج بهم فىبغداد ـ أبو زكــــريا التبريزى تلميذ ابى العــلاء المعرى وشــــيخ أبى منصور الجواليقى (٤) ٠

وقد ذكره السلفى ضمن شيوخه الذين جمع لهم معجما ، حين عــرّف بهم وذكر آثارهم على طريقــة الرواة (٥) ثم غادر أبو طاهر السلفى بغداد فى طريقه الى مــكة ، لأداء فريضة الحج ، فلم يفته هناك السماع من شيوخها ، ثم قفل من الحج ليبدأ « الرحــلة » وهى من اوسع الرحــلات التى قطعها الرواة فى زمانه ، فقد عاد من الحجــاز إلى العراق مرة أخرى لكنه فى هذه المرة رحل الى الكوفة والبصرة ،

---

(١) وما أوردناه من نسبه مختصر عن وفيات الاعيان (٨٧/١)
(٢) شذرات الذهب ٢٥٥/٤
(٣) شذرات الذهب ٢٥٥/٤
(٤) وفيات الاعيان ٨٧/١
(٥) شذرات الذهب ٢٥٥/٤

ثم غادر العراق إلى همذان وزنجان والرىّ والدّينَور وقَزوين وأذْربيجان مرة أخرى ٠

وبعد هذه الجولة العريضة فى بلاد العجم ، قصد السلفى الشام ومصر حيث درس فقه الشافعية واتقنه (١)، وبرع فى الادب (٢) وأتقن القراءات (٣) ٠

ثم حان من العالم أن يستقر بالاسكندرية ، وقد كان مر بها عابرا فى رحلة أداء الفريضة ، فأقام بها بضعا وستين سنة « مكبا على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب » (٤) ٠

وفى الاسكندرية ــ التى اتخذها السِّلفى موطنا ومقاما توافرت له أسباب الاستقرار الاجتماعى والعلمى ، اذ يذكر ابن عساكر انه « تزوج بالاسكندرية امرأة ذات يسار ، وحصلت له ثروة بعد فقر وصارت له بالإسكندرية وجاهة ، حتى ان الملك العادل ، امير مصر آنئذ ، بنى له مدرسة بالاسكندرية » (٥) ٠

ولقد توافرت لابى طاهر السلفى الكثير من أسباب النبوغ والشهرة وبُعد الصيت ، على امتداد الزمان والمكان ٠

وقد اشرنا لبعض هذه العوامل ، ومنها نبوغه الفطرى واتساع رحلاته، ونضيف اليها استقراره الاجتماعى والمادى

---

(١) شذرات الذهب ٤/٢٥٥
(٢) نفس المرجع
(٣) نفس المرجع
(٤) نفس المرجع
(٥) نفس المرجع

بالإسكندرية ومنها أيضا استمراره العلمى : اذ بنى له (ابن السلار العادل) مدرسة حملت اسمه بمدينة الإسكندرية ، ثم شغفه العميق بالرواية والعلم الذى تمثل فى رحلاته ومكاتباته للادباء والعلماء . وحرصه على الاجتماع بهم فى الاسكندرية وبخاصة رواة وأدباء الاندلس ، وهم فى طريقهم الى مكة لاداء فريضة الحج

ثم ان السلفى ايضا كان من المعمَّرين ، فقد ولد سنة ٤٧٢ هـ ومات سنة ٥٧٦ هـ · اى إنه عاش أكثر من قرن من الزمان ما بين الربع الأخير من القرن الخامس ، والربع الأخير من السادس ، حتى قال الذهبى وهو يدهش لهذا العمر الطويل الذى عاشه السلفى (ولا أعلم احدا مثله فى هذا)(١) ، وحتى إن ابن خلكان وهو يترجم له اضطر الى تأكيد ذلك مخافة أن يلحق بخبره عن « عمر السلفى » اثارة من ارتياب (٢) ·

وقد وثّقه جميع العلماء ، فقال ابن (السمعانى) : « وهو ثقة ورع متقن متثبت حافظ فهم له حظ من العربية » (٣)·

وقال عنه ابن العماد الحنبلى « الحافظ العلامة الكبير مسند الدنيا ومعمّر الحفّاظ» (٤) ،ومن هنا كان مبعث شهرته، حتى قصده الناس من شتى بقاع الارض فاكتسب فى العالم الإسلامى مكانة لم ينافسه فيها سواه من الحفاظ (٥) ·

---

(١) شذرات الذهب ٢٥٥/٤

(٢) انظر : وفيات الاعيان ٨٩/١ ، واختار سنة ٤٧٢ هـ · تاريخيا لوفاة السلفى بعد ان ذكر روايات متعددة (٨٩/١٠) · شذرات ٢٥٥/٤ ·

(٤) شذرات ٤ / ٢٥٥ ·

(٥) وانظر : وفيات الاعيان ١ / ٨٩ ·

أما عن جهود أبى طاهر السلفى فى رواية الادب ، فهى فى نقاط أهمها :

١ ـ أتاح له مقامه بمدينة الإسكندرية لقاء عدد كبير من أهل المغرب والاندلس وصقلية ، وممن لقيهم وروى عنهم من الادباء ومن هذا الفريق :

(أ) أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أبى بشر الكاتب الصقلى وقد ترجم له القفطى فى انباه الرواة ، وذكر انه (عالم بعلمى النحو والعروض قيّم بهما ، بليغ فيهما مشارك فى جميع الأنواع الادبية ، متصدّر لإفادة هذا النوع ، وله شعر) (١) .

وروى القفطى عن أبى طاهر السلفى بطريق « الاجازة العامة » ، خبرا وأبياتا له ، القفطى الى السلفى يؤكد لقاء الشاعر للحافظ ابى طاهر ، وتحديثه اياه (٢) .

(ب) عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسى الافريقى الصقلى (٢) .

(ج) ابن القطاع الصقلى (٣) (٤٣١ هـ ـ ٥١٥) وقد قال الشعر صبيا ، وذكره ابن العماد وقال : « ورأيت انا

---

(١) انباه الرواة : ٢/٢٩٠ .

(٢) وانظر ايضا : خريدة القصر (بتحقيق محمد المرزوقى ومحمد العروسى المطوى والجيلانى بن الحاج يحيى طبعة الدار التونسيه سنة ١٩٦٦ م) قسم المغرب ١/٥ وانظر ايضا أخبارا عن بعض مسلمى صقلية ، فصلت من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس العدد ٣ لسنة ١٩٥٥ بتحقيق الأستاذ المستشرق امبرتو ريزيتانو .

(٣) اخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السلفى) ٥٥ ـ ٥٦ ، ١٧٤ (ط بيروت) . وترجمه له صاحب الخريدة (قسم المغرب) ١ / ٢١ .

(٤) معجم السلفى : أخبار وتراجم أندلسية ١٣٠ ـ وانظر خريدة القصر (قسم المغرب) ١ / ٥١ ـ ٥٥ .

٣

بمصر من رآه وعاش الى آخر زمان الأفضل ورأيت خطه على دفتر في سنة ٥٠٦ هـ ، ونقل له صاحب الخريدة جملة من أشعاره (١) كما روى القفطى عن السلفى بعض أخباره (١) ، ويطول الحديث لو رحنا نستعرض ما جمعه السلفى من أخبار الشعراء وسجل لهم جملة من آثارهم (٣) ، وعباراته فى معجمه تفيد ذلك كقوله (وقد علقت عنه فوائد جمة رحمه الله) ، (وعندى منه مقطعات أنشدنيها) وقوله : (وقد علقت منه جملة) .

٢ ـ ولم تقتصر مرويات أبى طاهر على ما يجمعه من أفواه أولئك الشعراء الذين علق منهم ، بل قد يلقى أحيانا رواة اندلسيين يأخذ عنهم ، ويلقف من أفواههم ما وعته حوافظهم ودفاترهم من آثار صفتهم (٤) .

وكان بعض هؤلاء الذين يروى عنهم أبو طاهر السلفى هم ممن حضروا للقراءة عليه ، والتخرج به ، وقد انتهز السلفى هذه الفرصة ، ليأخذ منهم ويروى عنهم ، كما حدث فى روايته عن أحد علماء الاندلس ، وهو (أبو عبد الله الحمصى) ، الذى روى للسلفى بعض آثار (ابن حزم الأندلسى) (٤٥٦ هـ) (٥) بالسند المتصل بابن حزم . وقد كان (أبو عبد الله الحمصى) هذا كما وصفه السلفى ـ « من أهل العلم وله أنس تام بالحديث ورجاله ـ وقرأ على كثير

---

(١) فريدة القصر (قسم المغرب) ١ / ٥١ ـ ٥٥ .
(٢) أنباه ٢ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٣) وانظر : أخبار عن بعض مسلمى صقلية الفقرات ١ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٨ ومواضع اخرى . وانظر ايضا : معجم السفر : ١ / ١٥٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢ / ٢٨٧ ، ٣٦٠ وغيرها .
(٤) معجم السفر : ٢ / ٣٦٠ وانظر غيرها .

من كتب ورجع الى الأندلس وانتفع به لأبروايته هناك » (٢)٠
وكما روى السلفى أشعارا أندلسية ، فقد روى كتبا أندلسية فى علوم الشعر ٠

٣ـ وكما انتقلت الى المشرق آثار أهل المغرب عن طريق أبى طاهر فقد عبرت آثار المشارقة الى الاندلسى والمغرب ، اذ نجد بعض آثار المعرى مروية بطريق تلميذه الابهرى (١) باسناد متصل الى المعرى ، وفى الأسناد أبو طاهر السلفى (٣) ٠

٤ ـ بل أن بعض ما نستقرئه من أسانيد السلفى فى كتب رواة الاندلس تفيد : أن بعض ما اودعه رواه الاندلس تصانيفهم ، من الآثار الاندلسية ـ قد صحت لهم روايتها عن طريق أبى طاهر السلفى نفسه ومنها أشعار لعبد الملك بن زهرة الأشبيلى (٤) ٠

٥ ـ ولم يكتف السلفى بلقاء رحالة الأندلس للرواية عنهم ، بل كاتبهم ، وظفر من خلال مكاتباته اياهم بمرويات لهم ، ومن هؤلاء العلماء ابن بشكوال (٤٩٤ ـ ٥٧٧ هـ)

---

(١) أبو محمد على بن أحمد بن حزم الاندلسى ، وهو امام المذهب الظاهرى وكان اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، راوية للأشعار والاخبار والسير (والصلة لابن بشكوال ٢/٤٠٩) ٠
(٢) معجم السفر ٢/٣٥٩ ٠
(٣) راجع ترجمته فى الفصل الخاص بأبى العلاء المعرى ٠
(٤) انظر : التكملة لابن الابار ٢/ ٥٩
(٥) انظر : التكملة لابن الأبار ٢/٢٣٥ ٠

الذى كان من ائمة رواة الاندلس فى عصره ، متسع الرواية شديد العناية بها عارفا بوجوهها ، حجة فيما يرويه ويسنده ، حافظا حافلا اخباريا تاريخيا ، ذاكر لاخبار الاندلس القديمة والحديثة ، واسند عن شيوخه نيفا واربعمائة كتاب بين كبير وصغير، كما عمر طويلا ، فرحل الناس اليه ، واخذوا عنه ، وانتفعوا به » (١) .

ومن هنا ـ ومن خلال هذه المكانة العلمية لابن بشكوال فى صقع الغرب الاسلامى ـ ندرك ابعاد القيمة العلمية التى تنطوى عليها مكاتباته المتصلة بينه وبين حافظ المشرق ، ومسند الدنيا فى زمانه .

٦ ـ كذلك اتصلت المكاتبات بين الحافظ السلفى وبين بعض علماء المشرق الا ان بعضهم لم يجب السلفى الى مطلبه للرواية عنه ، ومنعه الكبر او منعته بواعث اخرى . ومن هؤلاء « جار الله الزمخشرى » المفسر والعالم اللغوى الذائع الصيت فى زمانه (٢) .

وقد كان الزمخشرى مجاورا بمكة ، حين وافته استجازة الحافظ السلفى له بمسموعاته ومصنفاته، لكن الزمخشرى لم يجبه وانما « رد جوابه بما لا يشفى الغليل » (٣) ، ومن خلال ما وافتنا به المراجع نعلم ان محاولة أبى طاهر السلفى لاستجازة الزمخشرى قد تكررت ، ومع هذا رد

---

(١) ابن الابار : التكملة ٣٠٥/١ وانظر نماذج من مكاتبات السلفى لعلماء الأندلس سوى ابن بشكوال ـ فى التكملة ٤٥/٢ ، ٥٨٣ .
(٢) ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، صنف الكشاف فى التفسير ، وأساس البلاغة فى اللغة ولد سنة ٤٦٧ ، ومات سنة ٥٣٨ هـ .
(٣) شذرات ١٢٠/٥ .

عليه الزمخشرى مرة أخرى فى رسالة كتبها « بأفصح عبارة وأبلغها ولكنه لم يصرح له بمقصوده » (١) ٠

وهكذا تسجل هذه المحاولات المتكررة من جانب السلفى مدى ما كان يتميز به من رغبة خالصة للعلم وتعلق بأهله ٠

(٧) وكما حرص السلفى على استجازة أهل العلم وتحمل من بعضهم صدودا او مرواغة ، فكذلك كان حرصه على ان يقدم الافادة العملية ، غير باخل ولا ضنين ، حتى ان اجازته العامة التى انتفع القفطى بها كانت من اهم مصادر كتابه « انباه الرواة » (٢) ٠

وهكذا حقق ابو طاهر السلفى نوعا من التواصل والاتصال العلمى بين المشرق والغرب ، مكنه من ذلك عوامل كثيرة ٠

كما استطاع ان يثبت الحيوية الجغرافية الهامة لمصر وما يمكن ان تحققه من الاتصال عبر الازمان والامكنة

---

(١) شذرات الذهب ٥/١٢٠

(٢) انظر مثلا : ١/١٤٠ _ ٧٣ _ ١٣٣ _ ١٣٦ _ ٨٨ _ ٢/٦٦ _ ١٠٨ _ ١٩١ _ ٢١٧ _ ٢٢٠ _ ٢٤٧ _ ٢٨٧ _ ٣/١٠٦ _ ١٩١ _ ٢١٧ _ ٣٤٧ ٠

الباب الرابع

القرن السابع - عصر التراجم التاريخية

تمهيـــد :

الحيـاة السـياسية :

دخل القرن السابع ، ولم تزل للخلافة العباسية ظـلال من وجود وخليفتهم – يومئذ – هو الناصر لدين الله ، الذى انتهت خلافته بوفاته سنة ٦٢٢ هـ ، وقد كان العباسيون قد استعادوا شـيئا من سلطانهم السياسى واسـتمرت هذه الظلال من نفوذ العباسيين الى سنة ٦٥٦ هـ ٠

وفى مصر والشام كانت دولة صلاح الدين الايوبى التى أسـسها منذ سـنة ٥٦٤ هـ ٠

ولقد شهد القرن السابع الهجرى بداية الزحف التترى ، وكان يقترب من أبواب بغداد ، ويحث الخطا اليهـا ، على حين كانت المدينـة تموج بكل ما يصرفهـا عن المواجهـة والتأهب ، وفى مقدمته ذلك النـزاع بين طـائفتى السـنة والشيعة ، الذى أخذ بعد ذلك صورة الصـراع الدموى ، حتى قدر لجيش هولاكو تطويق حاضرة الاسـلام الى أن لفظت أنفاسـها بين يديه ، وعاث فيها وجنوده الفسـاد ، تدميرا واحراقا لكل ما يمت الى الحضارة الاسلامية بنسب، وفى مقدمة ذلك الكتب ٠

أما عن الحياة الأدبية ، فقد ظل الادب ، شعرا ونثرا ، يدور فى فلك الصنعة اللفظية وان لم يتخلف عن لمشاركة الملتزمة فى خضم الحيـاة ، فسجل لنا أهوال الصليبيين ، حتى اعتبـر الادب فى أجماله أحد الوثائق الناطقـة بهذا الحدث السـياسى ٠

ولقـد كان الايوبيون يقـربون اليهم أهـل الأدب ، ويشاركون فى النهوض بالفكر العربى ، رغم كونهم أكرادا

متعـربين ، واشتغلوا بتحصـيل الكتب النفيسة وأشـهر شعراء هذه الحقبة ابن مطروح ، (١) والبهاء زهير (٢) ، والبصرى (٣) وعمر بن الفارض (٤) ٠

كما كان من ابرز الملامح الفـكرية لهذا العصـر ظهور موسوعات كبرى فى التراجم التاريخية ، فى مقدمتها معجم الادباء لياقوت الحموى ، وانباه الرواة للقفطى ووفيـات الاعيـــان لابن خلكان ٠

وفى القرن السابع نضجت فنون شعرية مستحدثة عرفها اهل الاندلس ومنهـا فن الموشحات والازجال ، وكان من مظـاهر هذا النضج تأثر المشـارقة بهذه الفنون الجديدة وعنـايتهم بها ، نظما وتدوينا ٠ ومن أشهر الشعراء فى ذلك ابن ســـناء الملك (٥) ٠

وقد كان من المعالم الفكرية الهامة خلال القرن السابع الهجرى ما زخر به صعيد مصر من ضروب النشاط الفكرى فى الحديث والادب وبخاصة فى مدينة قوص (٦) ، واتصل بين هذا المركز الحيوى الهام وبين الأندلس والمغرب حوار من

---

(١) جمال الدين ابن مطروح ، احد قواد بنى ايوب وشـاعر مصرى (ت ٦٤٩ هـ) وفيات ٢/٢٨٣) ٠

(٢) محمد بن على القوصى ، احد كتاب الانشاء فى الدولة الايوبية بمصر وشاعر مصرى (ت ٦٥٦ هـ) ٥٠/٣٧٦) ٠

(٣) على بن ابى الفـــرج البصرى صاحب الحمـــاسة البصـــرية (ت ٦٥٩ هـ) (زيدان ٣/٢٢)

(٤) أبو جعفر عمر بن ابى الحسن الشـاعر الصوفى ، مصرى المولد والدار (ت ٦٣٢ هـ)

(٥) القاضى السعيد هبة الله بن القاضى الرشيدى المصرى وصاحب دار الطراز فى الموشحات (ت ٦٠٨ هـ) حسن المحاضرة ج ١ فصل من كان بمصر عن الشعراء ٠

(٦) وانظر (الطالع السعيد) للأدفوى فى مواضع شتى ٠

الفكر والادب جرى بدراسة موسعة تكشف أمام الباحثين ابعاده ومداده ، وتولى ابن دقى العبد (ت ٧٠٢ هـ) ــ أحد الرواة الفقهاء والأدباء ــ توجيه الحيــاة الفكرية فى هذه البقعة الذائية من وادى النيــل ٠

وفى الاندلس ظهر ابن مالك ، امام أهل اللغة والنحو فى زمانه ، وكان « بحرا لا يجارى » على حد ما وصف به (١) ، وأشتهرت ألفيته المعــروفة فى النحو ، وكان ظــهورها ذا دلالة علمية هامة ، من حيث الاتجــاه الى نظم العــلوم ، وهو اتجاه سوف يأخذ بعد ذلك طابعا هاما وبخاصة فى القرن الثامن الهجرى وما بعده ٠

أما الرواية الأدبية ــ والشــعرية بخاصــة ــ فقــد ظلت قائمة نشطة وبخاصة بين أصحاب التراجم التاريخية وان كان نشاطها فى الاندلس قد فاق نشاطها فى المشرق ، وقد كان ابن مالك المتقدم الذكر ممن يضرب بهم المثل فى سعة الرواية فى « أشعار العرب التى يستشهد بهــا على اللغة والنحو » (٢) ، وكان يشــتهر بالحفظ الواســـع والذكاء فى الراوية » (٣) ٠

ونحاول ــ فيما يلى ــ دراســة أبرز اتجاهات الرواية الادبية فى القرن الســابع ، بادئين بالرواه المؤرخين من أصحاب السير ، وعلى رأســهم ياقوت الحموى صــاحب (معجــم الأدبــاء) ٠

---

(١) شذرات الذهب ٥/٣٠٠
(٢) شذرات الذهب ٥/٣٠٠ ونفح الطيب ٢/٤٢٢
(٣) نفح الطيب ٢/٤٢٢

الفصل الأول

الرواة المؤرخون

أولا : أصحاب سير الادباء

« ياقوت الحموى (١) ت ٦٣٦ هـ »

ترجمتـــه :

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس الحموى المولد البغدادى الدار ، وأشـــهر مؤرخى العرب فى تراجم أهل الادب ، كما انه أشـــهر الجغرافيين العـــرب القدماء وأوعاهم مادة وأبقاهم أثرا ، وأوسعهم فضلا ونفعا ٠

وأصل ياقـــوت الحمـــــوى من بلاد الروم ، وقد أســـر صغيرا ، ثم حمل من بلاده فابتاعه تاجر فى بغداد يسمى « عسكر الحموى » ، فاتخذه كاتبا له ، وظل عبدا رقيقا له

---

(١) حمل اسم ياقوت من الأدباء وهم على التوالى :

أ) أبو الدر ياقوت المستعصى بن عبـد الله الموصـلى الكاتب ، ولقبه أمين الدين وشهرته الملكى وتوفى سنة ٦١٨ هـ (شـذرات الذهب ٥/٦٧) ٠

ب) أبو الـدر ياقوت بن عبـد الله الرومى الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور ، مولى أبى منصور التاجر الحلبى (٦٢٢ هـ) ٠ شذرات الذهب ٥/١٠٥

جـ) أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس الحموى المولد البغدادى الدار وهـو من نعرض له وصـاحب معجم الأدباء ومعجم البلدان وتوفى سنة ٦٣٦ هـ (شذرات الذهب ٥/١٢١) ٠

الى أن أعتقه وأطلق سراحه سنة ٥٩٦ هـ · فاشتغل ياقوت نساخا بالأجرة فكانت حرفة الوراقة والنسخ هى النافذة التى أطل منها على أرحب آفاق المعرفة ·

وقد تنقل ياقوت الحموى بين البلدان بحكم معيته فى خدمة مولاه (عسكر الحموى) ·

وقد كان ياقوت الحموى « متعصبا على الامام على بن أبى طالب » ، فثار الناس ضده ، فهرب الى مدينة حلب ، ومنهـا تنقل ما بين إربل وخراسان ، ثم مرو ونسا وخوارزم ، ثم فر إلى الموصل من وجه التتار ، « حيث قدمها وهو على حال من العوز والعُرْى والفقر » ، ومنهـا انتقل إلى غيرها ، حتى انتهى المطاف به إلى حلب مرة أخرى (١) ·

ويبدو من تتبع ترجمته فى أماكن متفرقة ، أنه قد استطاع ان يوثق صلته ببعض علماء عصره ، ذكر بعضهم فى معجمه ، وروى عنهم · ومن هؤلاء العلماء (عز الدين ابن الأثير) صاحب التاريخ الكبير ، الذى سلمه كتبه التى كان قد أوقفها على مسجد الزيدى ببغداد (٢) كما زار مصر ولقى بها بعض الرواة ، فاختبر صحة نقلهم وأخذ عنهم (٣)

ولياقوت الحموى عدا معجم الأدباء كتب أخرى مثل : معجم البلدان الذى يعد موسوعة جغرافية فى وصف البلدان مرتبة ترتيبا معجميا (٤)

---

(١) شذرات الذهب ٥/١٢١

(٢) شذرات الذهب : ٥/١٢١

(٣) أنظر : معجم الأدباء ١٨/١٧ ، ١/١٩٩ ·

(٤) طبع بمصر سنة ١٩٠٩ م ومازال بحاجة الى اعادة نشره بعناية لجنة من الجغرافيين والأدباء ·

الدافع الى تأليف الكتـاب :

وهى تتلخص - كما أُوضحها فى مقدمته - فيما يلى :

١ - شغف ياقوت بسير العلماء وأخبار اهل الأدب .

٢ - ان ما كان قد أُلف فى هـذا الفن لا يفى بشـغفه ، ولا طموحه فى التعرف على سير اهل المعرفة . وقد لخص ياقوت هذين الدافعين فى قوله « فما زلت منذ غذيت بغرام الادب ، وألهمت حب العلم والطلب مشغوفا بأخبار العلماء متطلعا الى أنباء الأدباء ، أسائل عن أحوالهم ، وأبحث عن نـكت أقوالهم بحث المغرم الصبّ والمحبّ عن الحُب وأطوف على مصنف فيهم يشـفى العليل ، ويداوى لوعة الغليـــل فما وجدت فى ذلك تصنيفا شافيا ولا تأليفا كاملا » (١) .

مصـــــادره :

وهـو نوعان : الكتب فيمن لم يدركهــم من الادباء ، والرواية عمن أدركهـم ولقيهـم ، أو لقى من لقيهـم من الرواة (٢) .

---

(١) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٤٥ .
(٢) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٤٥ : ٤٦
(٣) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٤٩ .

نهجه فى الأسـانيد :

أما عن اسـتخدام الأسانيد ، فقد أوضح ياقوت نهجـه فيها ، إذ حذف الاسانيد « إلا ما قل رجاله ، وقرب مناله مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة (١) ، وكان هدفه من الاقتصاد فى ذكر الأسـانيد هو « صـغر الحجم » (٢) ٠ والتخفف من اطالة الكتاب بها ٠

على أن ياقوت لم يفته فى الوقت نفسـه توثيق مروياته عن الكتب ، وفى ذلك يقول : « وأثبت مواضع نقلى ومواضع أخذى من كتب العلماء المعول عليها فى هذا الشأن عليهم ، والمرجوع فى صحة النقل إليهم » (٣) ٠

مروياته الشـعرية :

كانت الرواية للآثار الشعرية أحد الأهداف الهامة التى بنى عليها ياقوت الحموى معجمه فى الأدباء ٠ فقال فى مقدمته : « فأودعتُ فى ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر فدوّن ديوانهَ ، وشاع بذلك ذكره وشأنه » (٤) ويعد كتاب معجم الأدباء أحد المصادر الهامة للكثير من الآثار الشعرية والتى من بينهـا :

١ ـ من لقيهم ياقوت من الشعراء أو لقى أقاربهم فروى من الآثار ما سـجله الكثير منه فى معجمـه ، ومن هؤلاء

---

(٤) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٤٩ ٠
(٥) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٥١ ٠
(٦) معجم الأدباء : مقدمة المؤلف ١/٥٢ ٠

الأسوانى (١) ، وأحمد بن على المأمون ، (٢) والمروزى (١)، وابن مماتى (٤) ، وآثار آل منقذ ، ـ حيث لقى منهم بعضهم، ومنهم مرهف بن أسامه بن منقذ (٥) ، وقد روى وأفاض فى آثار آل منقذ ، وشميم الحلى (١) ، حيث لقيه فسمع منه ، كما لقى ياقوت الحموى أيضا رواة آخرين عارفين بآثار شميم الحلى فلم تفته الرواية عنهم والسماع منهم أيضا ، ومنهم أيضا ابن الحجاج وراوية آخر لقيه ياقوت بمرو يقال له (فخر الدين) (٧) ٠

وقد كان مما يسر لياقوت الحموى سعة مروياته للأشعار وأخبار الشعراء تنقله الدائم بين الشام ومصر ومرو ونيسابور (٨) لاتجاره فى الكتب ، وتوثيقه لأسباب الاتصال ببعضهم ، إذ من هؤلاء الشعراء أصدقاء لياقوت جمعتهم به حرفة الوراقة (٦) ، ثم حرصه الدائب على السماع والرواية ، وقد لاحظنا كيف لم يكتف برواية آثار شميم الحلى عن شميم نفسه ، بل سمع أيضا ممن لقوه ٠

ولم يكتف ياقوت برواية آثار شعرية لأهل المشرق ، بل روى آثارا أندلسية ، ومنها آثار لأميه بن أبى الصلت الدانى

---

(١) ٤/٥٢ : ٦٢ ٠
(٢) ٤/١٨٤ ٠
(٣) ٦/١٤٨ ٠
(٤) ١١٠ : ١١٩ ٠
(٥) ٥/١٩٣ : ٢٤٣ ٠
(٦) ١٢/٥١ ـ ٦٦ ٠
(٧) نفس المرجع ٠
(٨) مثل ابن البرفطى الوراق ، وأنظر معجم الأدباء ١٧/٢٢١ ٠
(٩) ٩/١٠٥ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٥ ٠
وأنظر فى أصدقاء ياقوت من غير الوراقين : (محمد بن أحمد الزاهرى الأندلسى الذى لقيه ببغداد ١٧/٢٧٧) و (محمد بن أحمد الأنصارى الدسكرى ١٧/٢٧٩) ٠

الأندلسى (١) ٠

٢ ـ وقد كان ياقوت الحموى فى روايته آثار من لم يلقهم ، يشير أحيانا إلى دواوين أشعارهم ويرجع الى تلك الدواوين للمقارنة والتوثيق شأن أهل التحقيق من الرواة ، (٢) أو يرجع إلى كتب أثبتت ما رواه من الآثار الشعرية (٣) ٠

٣ ـ وعنى ياقوت الحموى فى مواضع من معجمه بظواهر أخرى تدل على انتمائه إلى طريقة أهل التحقيق والرواية من هذا مثلا : إشاراته المتعددة إلى الآثار المنحولة، وتحقيقه للكثير منها (٤) ، وإشاراته إلى الخلاف فى الروايات ، وأختياره لما صح لديه منها كلما أمكنه ذلك (٥)٠

٤ ـوكثيرا ما ترد عبارات ياقوت فى وصف رواته دليلا غير منقوض على تحريه واهتمامه بصحة مصادره كقوله مثلا : « نقل لى بمصر بعض من اختبرت صحة نقله » (٦) ، او وصفه لأحد رواته بأنه : « مختص بأخبار الأمم والأشعار » (٧) ٠

٥ ـ كما عنى ياقوت الحموى بتوثيق مروياته لآثار شعراء متقدمين عليه زمنا . بالإسناد المتصل إلى هؤلاء الشعراء ، مثل روايته لبعض آثار البحترى باسناد متصل بالبحترى ذاته (٨) ٠

---

(١) معجم الأدباء : ٧/٦٤ : ٧٠ وأنظر عن هذا الشاعر رساله ماجستير بدار العلوم : عبد الله الهونى ٠ باشراف الدكتور/أحمد هيكل ٠
(٢) معجم الأدباء : ١٤/١٧١ : ١٧٨ ٠
(٣) منها مثلا : كتاب للصولى فى شعراء مصر (٤/٧٧ : ٧٨) ٠
(٤) ١١/٦٠ ٠
(٥) ١/١٥٨ ، ٣/٢٤٦ ٠
(٦) ١٨/٧١ ، ٦/٢٩٣ ، ٢/٩ ٠
(٧) معجم الأدباء ١٨/٢٦ ٠
(٨) معجم الأدباء ١٦/١٧٨ ٠

ولقد التزم ياقوت الحمــوى بقيود الخلق ، فـرفض أن يروى الفاحش من الاثار ، ومن هنا نفاها من روايته ونزه كتابه عن ذكرها ، وصرح لنا بذلك فى غير موضع منه (١) ، وهو يخــتلف فى ذلك [illegible] عن أمثال الثعــالبى ، وأبى الفرج الأصفهانى ممن ضمنوا مروياتهم فاحش الآثار ٠

وقبل تأليف الحموى لمعجمه فى الأدباء ، صنّف كتابا فى « أخبار الشعراء » أشار إليه فى غير موضع (٢) ، ونقل منه فى معجمه ٠ بما ينهض دليلا آخر على عناية ياقـوت الحموى برواية الآثار الشــعرية ، التى حرص عليهــا فى معجمه ، ونبّه إلى حرصه ذلك من خلال مقدمته التى سبق إيراد نصـــها ٠

مصــادره من المدونات :

رجع ياقوت الحموى فى تأليف معجمه إلى عشرات من المصادر المدونة من الكتب ، ودواوين الاشعار ، والجذاذات التى تأكد من وثاقتهــا ، فنقل عنها مطمئنا الى صــحتها ، وصــحة محتــواها ٠

وقــد كان لاشــتغال ياقوت الحمــوى بحرفه الوراقة ، وما تقتضيه حرفته تلك من وجوب التنقل بحثــا عن الكتب واتجارا فيها ونسخا لها ، كان لذلك أثر واضح فى كثـــرة ما وثق به نقوله من المصــادر كما سيتضح ٠

ونقصر القول هنا على بعض ما يتعلق من هذه المصادر بالآثار الشعرية الواردة فى معجمه ٠ ومن هذه المصادر :

---

(١) معجم الأدباء : ٢٦/١٦ ، ٩٨/١٣ ، ومواضع أخرى ٠

١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ٠
٢ ـ أخبار شعراء مصر لأبى بكر الصولى ٠
٣ ـ أخبار الشعراء لأبى جعفر النحاس المصرى ٠
٤ ـ كتب المرزبانى والآمدى والقـــاضى الجرجـــانى وأمالى القـــالى ٠
٥ ـ الأغانى للأصـــفهانى ٠
٦ ـ وشـــاح الدمية للبيهقى ٠
٧ ـ خريدة القصر للعماد الأصفهانى ٠
٨ ـ معجم الشعراء لأبى طاهر السلفى ٠
٩ ـ المختار من أشـــعار المحدثين لأمية بن أبى الصّلت الأندلسى ٠
١٠ ـ المختار فى الأخبار والأشعار للحسن الرامهرمزى (ت ٠ ٣٠٦ هـ) ٠
١١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ٠

هذا عدا كتابه (فى أخبار الشعراء) وعشرات أخرى من المراجع لا يتسع المجال هنا لذكرها على سبيل الحصر :

ويهمنا ان نسجل هنا بعض الملاحظات بشأن مصـــادر ياقوت الحموى نوجزها فيما يلى :

١ ـ أن كبرى مصادر ياقوت التى اعتمدها فى نقوله كان يرويها بالســـماع على ثقات من مشـــايخ الرواية فى عصره ، وكانت روايته لها بالسند المتصل الى مؤلفيها ، بما يوثق هذه المصادر ، ويجعل النقل عنها ، رواية ليست فقط بطريق « الوجاده » ، ولكن بطريق السماع أيضا ٠

وشاهدنا نستقيه من كـــلام ياقوت نفسه فى معجمـــه ، ونخص به كتابين من اكبر مصادره :

الكتاب الاول هو كتاب الأغانى للأصفهانى ، وقد صرح ياقوت بروايته إياه وروى لنا طرق هذه الرواية ووثق لنا كتاب الأغـانى وأثنى على مؤلفه أبى الفرج ، وصرح بقراءته إياه اكثر من مرة ، وأنه قد انتفع به كثيرا فى تأليف كتـابه الموسوم بأخبار الشعراء (١) ٠

أما الكتاب الثانى ، فهو « العقد الفريد » لابن عبد ربه :

وقـد روى ياقوت العقد - بالسـند المتصل - أيضا الى صاحبه عن أحد علماء المغرب ورواته ، وهو : ابن دحيـة الكلبى (٢) ٠

كما نجد ياقوت كثيرا ما يشير فى تضاعيف معجمه إلى رواياته لكتب الأدب (٣) ٠

٢ - أنه قد احتفظ لنا بأسماء بعض ما لم يصـلنا من الكتب ، وأمدنا أحيانا بنقول عنها ، أوقفتنا على شىء من طبيعة هـذه المصادر ومنهجهـا فقد روى ياقوت مثلا ان أبا طاهر السلفى قد ألف كتابا فى أخبار الشعراء (٤) ذكره احـيانا بهذا العنوان ، وأحيـانا بعنوان آخر هو « معجم الشـعراء » ٠

وذكر انه انتفع بهذا الكتاب فى تأليف كتابه الذى وضعه فى أخبار الشـعراء (٥) ٠

---

(١) معجم الأدباء : ٩٨/١٣ ٠
(٢) معجم الأدباء ٢١٩/٤
(٣) معجـم الأدباء : عز الدين بن الأثير ٧٦/٧ والقفطى ٧٢/٦ . ١٩٩/١٧٦/١٥ ٠
وأنظر أيضا ٢٤٤/١١ ، ٦٣/١٢ ٠
(٤) معجم الأدباء : ٢١٨/١٠ ٠
(٥) نفس المرجع وأنظر أيضا ٢١٨/١ ٠

٣ - كان يتحرى مصـادره ، ويتأكد من توثيقها بما وجده مدونا على ظهورها من السماعات ، وقد قرر ذلك فى مقدمته ، فقال « وأثبت مواضع نقلى ومواطن اخـذى من كتب علماء المعول فى هذا الشأن عليهم ، والمرجوع فى صحة النقل اليهم » (١) ٠

فاذا جاء نقله بالمعنى دون اللفظ صرح بذلك ونبه اليه (٢)، كما يحرص على عقد المقابلة بين ما جاء فيما بين يديه من المصادر ، ومثيله فى مصادر أصلية (٣) ، كما يورد نقوله - فى بعض الأحيـان - موثقة بالأسـانيد المذكورة بهـا فى المصادر (٤) ، وينص على الإقرار بما لم يدعمه سماعه من هذه النقول ، فيقول مثلا : « وجدته فى كتاب (كذا) ولم أسـمعه » (٥) ٠

شـيوخ ياقوت :

بعض هؤلاء الشيوخ من تلاميذ كمال الدين بن الأنبارى فهم اذن من الثقات فى العلم والرواية ، ومنهم :

المنتجب : سالم بن أحمد بن سالم أبو المرجى الحـاجب المتوفى عام ٦١١ هـ ٠ ولقب المنتجب هو لقبه الذى به اشتهر ولكن ياقوت الحموى يذكره باسم (سالم الحاجب) ويذكر انه قرأ عليه العربية والعـروض ببغداد (٦) ، وقد وصفه

---

(١) معجم الأدباء : ٤٩/١ ٠
(٢) معجم الأدباء ١٤٧/٧ ، ١٢٨/١ ٠
(٣) معجم الأدباء : ٢٢٩/١٣ ٠
(٤) معجم الأدباء ٦٧/٢ : ٩٧ ٠
(٥) معجم الأدباء : ١٥/٣ ٠
(٦) معجم الأدباء ١٧٨/١١ ٠

السيوطى بالنحوى العروضى البغـدادى كما ذكر ان « له معرفة بالأدب وتفرداً بالعـروض » (١) ، كما وصفه بأنه كان حسن الأخلاق محبوبا للناس (٢) ، فقـد كان سالم الحاجب شيخ ياقوت ـ إذن ـ من العلماء باللغة والنحو، وقد أضاف القفطى فى معرض ترجمته له ما يفيد كونه شاعرا ، وبأنه نظم أرجوزة فى النحـو على الأبواب (٣) ، وبأنه قد امتدح جماعة بقصائد شعره (٤) ٠

ياقـوت والوراقـة :

سبق فى حديثنا عن الوراقة أن أشرنا الى ياقوت باعتباره من الوراقين واعتبـــرناه فى اشـــارتنا نموذجا يثبت ان الوراقين لم يكونوا مجرد نســاخ وتجار للـكتب والوثائق العلمية ، بل كانوا من أهل العلم والتحقيق ، اكتسبوا ذلك من اشتغالهم بالرواية ٠

ونحــاول هنا فى تلك السـطور أن نلقى أضــواء على « ياقوت الوراق الراوية » فنكون بذلك قد اصبنا هدفين ، الأول أن نحقق مزيدا من تأكيد لما قد قررناه فى فصل الوراقة، ثم ان نستكمل درسنا لشخصية ياقوت الراوية العالم ٠

١ ـ وأول آثار الوراقة هو هذا العدد الهائل الذى سنح له الرجوع إليه من الكتب فى تأليف معجمه ٠

٢ ـ إشــــاراته الدائمة إلى الخطوط ، ووصفه لهـا وحديثه عنها ، فيما عاينه منها على صفحات الكتب ، حيث

---

(١) بغية الوعاة ١/٥٧٥ ، (٢) نفسه
(٣) انباه الرواة / ٢/٦٧ ٠
(٤) نفس المرجع ٠

يكثر وصفه لهذه الخطوط « بالصحة والضبط » (١) مع اقتران ذلك فى أكثر الاحيان بالحسن والجودة

٣ ـ كثرة حديثه عن كتب رآها ، ووصفه لها ، ولخطوطها ، وروايته لبعضها ، وهو شىء ما كان يتاح له لولا اشتغاله بالوراقة ، ثم الاتصال بالرواية والتحقيق ، وكثيرا ما يفيدنا بالمقارنة بين النسخ التى وقعت له ومثيلاتها من النسخ المتداولة فى أيدى الناس ، كما صنع بالنسبة ليتيمة الثعالبى حين لاحظ ان بها « زيادات غير معروفة » مخالفة للمتداول المعروف (٢) ٠

٤ ـ عنايته بالوراقين من أهل العلم والثقة، وافاضته فى فى حديثه عنهم ، فى معرض تراجمه لهم :

ومن هؤلاء أبو حيان التوحيدى ، الذى ترجم له فى نحو خمسين صفحة (٣) ، والقفطى صاحب انباه الرواه ، حيث لقيه القفطى ، وأملى عليه كثيرا (٤) ، بل وكتب اليه ببعض مروياته (٥) ، وياقوت بن عبد الله الرومى الذى وصفه ياقوت بقوله :

« وكان واحد عصره فى جودة الخط واتقانه على طريقة ابن البواب (٦) ٠

---

(١) معجم الأدباء : ١/١٠ ، ١٢/١٦٣ ، ١٤/١٥٣ ، ٢٤٥ ، ١٨/٢٦ ٠
(٢) معجم الأدباء ٦/ ٢٦٩
(٣) معجم الأدباء ١٤/ ٥ ـ ٥١ ٠
(٤) معجم الأدباء ١٥/ ١٧٦ ـ ١٩٩
(٥) ٦/٦٢
(٦) معجم الأدباء ١٩/٣١٢ ٠

وقد ذكر ياقوت اجتماعه به ٦١٣ هـ ، ورؤيته نُسَخًا من الكتب بخطه يتداولهـــا النـــاس ، ومن بينها الصِّحَاح للجـــوهرى (١) .

٥ - مقــدرة ياقوت على التصحيح لأوهام العلمــاء ، تشهد بحذقه وبخبرته النادرة بعالم الكتب خطوطا ومحتوى، فهو فى استدراكاته على العلمــاء أوهامهم العلمية يســتند إلى معايير منها معياران هامان :

المعيار الأول : خبرته الحاذقة بخطوط أصحابها (٢) .

المعـيار الثانى : اطلاعه الواسع على الكتب ، كتصحيحه للبلد الذى ولد فيه المســعودى المؤرخ وهو « إقـليم بابل » من خـــلال عبارة للمسعودى نفســـه فى كتابه « مروج الـذهب » (٣) .

ياقـوت ونقد الرواة :

سبق ان ذكرنا بعض ما يقيم الدليل على أن ياقوت كان يتحرى ، سواء فى نقله ، أو روايته ، وأنه كان يختبـر من يلقاهم من الرواة اذا كانت أحوالهم مجهولة بالنسبة له ، هذا الى حرصه على توثيق مروياته عن طريق ذكر الاسانيد

---

(١) معجم الأدباء ٣١٢/١٩ .

(٢) ٣١٢/١٩ .

(٣) انظر تفصـــيل ذلك فى رد له على القفطى يســتند الى معرفته بالخطوط

(٤) انظر ذلك مفصلا فى رده على وهم ابن النــديم صاحب الفهرست (معجم الأدباء ١٣ ٩١ .

والمصادر والخطوط الى أخر ذلك ٠

ونضيف هنا أن من أبرز الظـواهر العلمية عند ياقوت الحموى عنايته بنقد الشيوخ الذين لم يصح قولهم من وجهة نظره ، ومن هؤلاء ابن الجوزى الذى نختصه بحديث ، لان ياقوت قد اختصه بكثير من انتقاداته ومؤاخذاته العلمية ٠

فقد اتهمه صراحة بالتخليط ، وهو يصرح فى مواضـع من كتابه بعدم اطمئنانه الى آرائه ، اذا كانت هذه الآراء قد تفرد ابن الجوزى بها دون العلمـاء فيقول صراحة « وأنا لا أعتمـد على ما تفرد به ابن الجوزى ، فانه عندى كثيـر التخـــليط » (١) ٠

ويبـدو ياقـوت الحمـوى محقا عنـدما تبلغ أوهام ابن الجوزى حـدا بالغ التخليط ، من ذلك زعمـه فى أماليه ، أن السكرى قد لقى الاصمعى وأبا عبيده وأبا زيد الانصارى ، والحقيقة – كما ذكرها ياقوت – أن السـكرى لم يلق هؤلاء الرواة ،لأنه لم يكن فى زمانهم،بل انه قد روى عمن روى عنهم، ثم أن السكرى ولد سنة ٢١٢هـ ، وأبا عبيدة توفى سنة ٢١٥هـ واصمعى مات سنة ٢١٣ أو سنة ٢١٥ هـ (٢) ٠

---

(١) معجم الأدباء : ١٣/٧ ، وابن الجـوزى : هـو أبو الفرج عبـد الرحمن بن على بن محمد البكرى الحنبلى ، الملقب جمال الدين ٠ كان امام وقتـه فى الحـديث والوعظ وتوفى سـنة ٥٢٧ (شـذرات الذهب ١٩٨/٤ سنة ٥٢٧) ٠

(٢) معجم الأدباء ١٤/٢ ، وانظـر أيضـا المعجم فى : ١٣/٧ حيث يصحح لابن الجوزى وهما اخر بشأن قدامة بن جعفر ٠

ولقد كان هذا موقف ياقوت من غير معاصريه من الرواة ، يتحرى فى الرواية والنقل عنهم ، فإذا بدت له بادرة من خطأ نبه إليها ، وذكر وجه الصواب فيها ٠ وقد سبق ما أوردناه بشأن تصويباته أوهاما لابن النديم(١)، ونضيف هنا تصويبه وهما آخـر وقع من ابن قتيبة الذى خلط بين دكين الراجز ، ودكين بن جاء (٢) ٠

ولمثل هذه الاستدراكات على ابن قتيبه بالذات دلالة هامة ، وهى أن من علماء القرن السابع الهجرى من بلغ فى الرواية مبلغا جعله أقدر على تصحيح أوهام الأئمة من علماء القرن الأول وذوى الثقة منهم ٠

(١) فى تصويبه غلطا لابن النـديم ، حيث زعم أن المسعودى ولد فى المغرب ، والحقيقة أنه _ كما نبه الى ذلك ياقوت _ ولد فى اقليم بابل ٠

(٢) معجم الأدباء : ١١/١١٧ ٠

القفطى

ثانيا : أصحاب سير النحاة

القفطى : جمال الدين المصرى (ت ٦٦٤ هـ)

ترجمتـــه :

وهو الوزير أبو الحسن على بن يوسف ابن ابراهيم الملقب « جمال الدين» أحد أعلام العصر الأيوبى ، وعلماء المؤرخين الثقات وكان وزيرا للأيوبيين بحلب ٠

أما قفط – التى نسب اليهـا – فهى مسقط رأسه وفيهـا تفقه وتعلم على علمائها ، الذين حفلت بهم قفط ومثيلاتهـا من بلدان صـعيد مصر الأقصى ، مثـل قـوص وسـوهاج أو سهواج وأسوان ٠

ثم رحل القفطى الى بيت المقـدس ، فأقام بها ، ثم توجه الى حلب ٠

ويبدو من وصف المؤرخين له ، أنه كان موسوعة لمختلف الفنون والعلوم،فهو (القاضى الأكرم أحد الكتاب المبرزين فى النثر والنظم ، كان عارفا باللغة والنحو والفقه والحديث ، وعلوم القـرآن والأصـول ، والمنطق والحـكمة والنجـوم والهندسة والتاريخ) (١) ٠

وقد ذكره ياقوت الحموى ، كما سلفت اشارات منا لذلك

---

(١) شـذرات الذهب ٢٣٦/٥ سنة ٦٤٦ ، وأنظر أيضا ، بغية الوعاة ٢١٢/٢ ٠
وأنظر أيضا : الادفوى = الطالع السـعيد (ط الجمالية سنة ٩١٣) ص ٤٢ وما بعدها ٠

ولقيه وأملى عليه القفطى، وشاهد له كتبا بخطه، وتوثقت بينهما أسباب الاتصال بحكم التشارك والتشابه فى حرفه الوراقة، والرغبة فى العلم والرواية.

واذا كان ياقوت قد نبه الى بعض أوهامه (١) ، فقد أثنى عليه ثناء يوثقه ، فقال عنه : « اذا تكلم فى فن من الفنون كالنحو واللغة والقراءات والفقه والحديث والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل قام به أحسن قيام » (١) .

ولقد اجتمعت للقفطى من العوامل ، ما كون له شخصيته العلمية ، وأفسح له فى طريق المعرفة والرواية ، ومنها رحلاته للعلم والاتجار فى الكتب، مابين قفط والقدس وحلب. وكانت جميعها آنئذ زاخرة بالعلم ، حافلة بالعلماء .

ويضاف الى ذلك تقريب الأيوبيين له ، حتى وزرلهم فى حلب ، هذا الى انقطاعه للعلم وتفرغه له منصرفا عن أهم متطلبات الحياة ، اذ أنه « لم يكن له دار ولا زوجة هذا الى مجموعة من خصال الخلق وفضائل النفس تحلى بها جمال الدين القفطى فذللت له كل صعب (٤) .

ولقد كان القفطى شغوفا بالكتب ، أنفق فى سبيل جمعها ، واستنساخها الآلاف ، وبخاصة بعد ما تولى الوزارة لبنى أيوب فى حلب ، حتى أن داره بها قد صارت قبلة الوراقين ،

---

(١) أنظر معجم الأدباء ٦/٦٥ وقد نضى ذكر ذلك .
(٢) معجم الأدباء ١٥/١٧٥ : ٢٠٤ .
(٣) شذرات الذهب : ٥/٢٣٦ .
(٤) وصفه ياقوت بأنه كان سمح الكف طلق الوجه جم الفضل عظيم القدر وأنظر معجم الأدباء ١٥/١٧٦ ، ١٧٧ .

ومقصد النساخين، يجلبون له الكتب والأسفار وهو يضاعف لهم الثمن ، ويجزل العطاء (١) ، ولذا قال ابن شاكر الكتبى عنه « جمع من الكتب ما لا يوصف ، وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ••• وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى خمسين ألف دينار » (٢) •

أما دافع القفطى الى تأليف كتابه ، فهو دافع عارض ، وليد موقف خاص وليس وليد الطموح العلمى ، والرغبة العلمية المتحمسة ، شأن ياقوت الحموى •

فقد دفع القفطى الى تأليف كتابه أن (بعض منتحلى صناعة التصنيف قد أجرى ذكر أخبار النحاة ، رغب فى جمعها ، وكان عادم المواد • فسأل اعارته بعض ما أنعم الله به من أوعية العلوم) (٣)، وقد سارع القفطى الى بذل العون العلمى لطالبه ، فأمده بما طلب من الكتب ، وأمده بالورق ليدون فيه ، ولكنه لم يكتب ولم يؤلف ، بل باع ما أعطاه القفطى من الورق ، فكان ذلك حافزا للقفطى على تأليف كتابه (٤) •

وكما ترجم ياقوت للأدباء من كل اقليم ، ومن كل مذهب دون تفرقة (٥) ، فكذلك كان صنيع القفطى ، فانه فى كتابه ترجم لمشايخ « فى النحو واللغة ممن تصدر لأفادتها تصنيفا وتدريسا ورواية فى أرض الحجاز واليمن والبحرين وعمان

---

(١) محمد أبو الفضل ابراهيم : مقدمته لانباه الرواة ١/٢ •
(٢) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ٢/١٢١ •
(عادم المواد) أى : فقير
(٣) انباه الرواة : (مقدمة المؤلف) •
(٤) المرجع السابق •
(٥) انظر مقدمة ياقوت لمعجم الأدباء ١/٤٩ •

واليمامة والعراق وأرض فارس والجبل وخرسان وغزنة وما وراء النهر وأذربيجان ٠٠ وأرمنية والموصل وديار مضر والجزيرة والعواصم والشام ومصر وأفريقية ووسط المغرب وأقصاه وجزيرة الأندلس وجزيرة صقلية » (٥) ٠

ولقد كان هذا موقف ياقوت من غير معاصريه من الرواة، يتحرى فى الرواية والنقل عنهم ، فإذا بدت له بادرة من خطأ نبه إليها ، وذكر وجه الصواب فيها ٠ وقد سبق ما أوردناه

وبينما وافانا ياقوت فى مقدمته بمنهجه ، وبتفاصيل مفيدة حول مصادره ،وتقاليده فى الرواية ،فقد آثر القفطى أن يدع للباحث نفسه ، أن يستخلص ذلك كله من خلال التقصى لصفحات الكتاب ، وتتبع مواده ، وهو ما تحاول تلك السطور أن تفى به ٠

مصادر القفطى :

١ ـ الكتب :

وأهمها كتب التراجم مثل : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ مصر لابن يونس ، وتاريخ همذان لشيرويه ، وتاريخ نيسابور لابن البيع ، والمقتبس فى تاريخ الأندلس لابن حيان ، والصلة لابن درستويه ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ، وغير ذلك ٠

---

(١) مقدمة المؤلف ص ٢ ٠

كما اعتمد على كتب فى أخبار الشعراء كطبقات ابن سلام ، والانموذج لابن رشيق ويتيمة الدهر وتتمة اليتيمة للثعالبى والخريدة للاصفهانى ٠

والملاحظ على هذه المصادر ما يلى :

أ — أنها تتميز بالتنوع ، فمنها كتب مشرقية ، ومنها مغربية ، ومنها أندلسية كما أن كتب المشرق تتنوع بين العراق وفارس والشام بالاضافة الى كثرتها للمؤلف مادة علمية غزيرة،لكن مصادره — معهذا — لمتبلغ للمؤلف مادة علمية غزيرة ، لكن مصادره مع هذا لم تبلغ اتساع وكثرة مصادر ياقوت ، كما لم تبلغ مادته فى كتابه شأن مادة ياقوت غزارة وثراء ٠

ب — بعض هذه الكتب قد رآها القفطى ،فنقله منها وأخذه عنها هو رواية لاشك فيها ٠ ولاأدل على هذا من أسانيده التى ترد فيها بلفظ الرواية ، فهو يروى عن خريدة القصر بلفظ « أنبأنا محمد بن محمد بن حامد ، وهو العماد صاحب الخريدة» (١)، ومعنى ذلك أن مروياته ترد باسناد الى مؤلف الكتب ومصنفيها ، فهى رواية اذن ٠

وما يقال عن الخريدة يقال عن مراجع أخرى ، من بينها تاريخ دمشق لابن عساكر ، فأسانيده فيها إلى ابن عساكر إلا أنه هنا قد صرح بطريق الرواية ، وهو المكاتبة ، فان تلميذا لابن عساكر قد كتب إليه بمحتوى الكتاب وأسانيده ومن هنا ترد أسانيد القفطى بلفظ « كتب إلى محمد بن هبة

(١) انباه الرواة : ٢٣٣/١ ، ٢٥٩ ، ٢٣٩ ، ٣٥٩ ، ١٢/٢ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ٢٠٩/٣ ، ٢١٤ ، ٢٧١ ، ٢٥٧ ، (ط دار الكتب المصرية) ٠

الله الدمشقى (١) ٠

ونفس الأمر بالنسبة لتاريخ بغـداد والمطرب فى أشعار أهل المغـرب لابن دحية الـكلبى ، ورواية لـه عن العمـاد الأصفهانى صاحب كتاب الخريدة (٢) ٠

٢ ـ الـرواية :

تكاد نقُول القفطى عن المصادر، التى تقدم ذكرها أن تكون رواية ، لولا أننـا أردنا أن نفرق بين ما تتضح فيه الرواية الخالصة ، وما تمتزج فيه الرواية بالنقل من الكتب ٠ ولهذا فالمحاولة فى حديثنا عن الرواية تتجه الى الرواية الخالصة التى تعتمد على قول التقطه القفطى من أفواه الرواة مباشرة ٠

ومن شـيوخه الـذين قرأ عليهم وسـمع منهم شـيخه « أبـو البقـاء صـالح بن عـادى العـذرى الأنمـاطى ، ويروى عنـه القفطى بلفظ « سـمعت من لفظ الشـيخ ٠٠٠ نزيل قفط » وقد كان أبو البقاء من النحاة نزيل قفط ، ونزل خمسين عاما عند أحد قضاتها وعلمائها الذين «ضمن له كفاية ، وكان للشيخ مجلس علم يقصده بجامع قفط وتوفى فى سـنة ٥٩٣ هـ ، ودفن بقفط ٠

---

(١) كان امام أهل الحـديث فى زمانه وتوفى سـنة ٥٧١ هـ (وفيـات الأعيان ١/٣٣٥) ٠
وانظر فى نقل القفطى عنه ٢/١٧ ٠

(٢) انباه الرواة ٢/٢٤٥ ٠

(٣) انباه الرواة ٢/١٦١ ، ٨٣ ، ٨٤ ـ أنظر فى ترجمة أبى البقاء النحوى الأدفوى : الطالع السعيد (ط الجمالية سنة ١٩١٣ ، ص ١٩

وبعضهم ممن لقيهم ، ولمس فيهم الثقة فى الأخبار فسألهم وأجابوه ومن ذلك عند روايته بعض أخبار وآثار الأسعد بن ممّاتى الكاتب المصرى (ت ٦٠٦ هـ) فقد روى عن رجل كان يعرف بالرشيد الصائغ ، خبرا يتعلق بإتقان (مماتى) - جد الاسعد - لصناعة الفصوص من الأحجار الكريمة (١) ، كما روى عن شيوخ ممن لقيهم فى جامع قفط (٢) ٠

القفطى والشعر :

روى جمال الدين القفطى فى كتابه أشعارا أثبتها فى أكثر التراجم التى أوردها ٠ غير أن هذه الأشعار التى رواها كانت محدودة بالهدف الذى بنى الكتاب عليه ، وهو أخبار النحاة واللغويين : ويبدو ذلك فى أن الكثير من الاشعار التى ضمنها كتابه من أشعار العلماء : لغويين أو نحاة ، فيها سمة الجفاف ، وليست فيها التجربة الفنية التى يتسم بها الشعر عادة (٣) ٠

كما أن القفطى لا يلتفت الى هذه الآثار التفات الراوية المحقق، فيعنى - مثلا - بتحقيق النسبة ، أو مناقشة المنحول من الآثار ، أو الخلاف اللفظى فى الرواية ،فان شيئا من ذلك لا نلحظه فى انباه الرواة للقفطى كما لاحظناه مثلا فى معجم الأدباء لياقوت ، او كما سوف نلحظه لدى عالم مؤرخ مثل ابن خلكان فى وفياته ٠

ومن هنا يفقد « انباه الرواة » الكثير من قيمته العلمية

---

(١) انباه الرواة : ٢/٢٣١

(٢) انباه الرواه : ١/١٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ٠

(٣) انباه الرواة : ٢/٥١ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٧٤ ، ١٨٧،٢٣٧٠

باعتباره مصدرا للآثار الشعرية .

الا أن بعض ما يورده من الآثار الشعرية ، تفيدنا من بعض الوجوه التاريخية فى كونها تنهض دليلا على الصلة التى كانت بين ابن جنى والمتنبى ، بما يلقى مزاعم رددتها بعض الروايات بشأن : انصراف ابن جنى عن رواية آثار المتنبى تكبرا وأنفة .

القفطى وتحامله على العلماء :

بدت من القفطى بعض مواقف التحامل والتجريح الذى يفتقر الى الدليل والموضوعية وذلك ازاء عالمين ممن عرض لهم بالترجمة :

الاول يقال له « المطجَّن » أحد علماء النحو واللغة العراقيين ، وكان مقيما بمصر (١) .

والثانى عالم يقال له : خَزْعَل بن عسكر المصرى من علماء مصر ، وكان قد رحل الى العراق وأخذ بها عن الكمال بن الانبارى ثم عاد إلى مصر ، وقد اجتمع به القِفطى فى جامع قِفط (٢) .

وكلام القفطى فى حق هذين العالمين يشى بالتحامل ، ويكشف شيئا من دفين المنافسة .

---

(١) ذكر القفطى مولده وهو سنة ٥٥٧ هـ ولم يذكر وفاته لانه كان على قيد الحياة والصحيح ان ولادته كانت سنة ٥٧٧ هـ كما ذكر ابن مكتوم ومات سنة ٦٢٩ .

(٢) ذكر القفطى انه مات فى حدود سنة ٦٢٠ هـ .

فعن المطجن يقول : « كان يدَّعى معرفة النحو واللغـة والعربية وعلم الكلام ··· » (١)

ويقول : « مشى طلبة المصريين إليه واختبروه فقصَّر فى كل ما ادعاه فتجنبوه ، وأقام بها مدة لا يبعأ به ··· وادعى الـرواية ، فقـرأ عليـه بعض المبتـدئين » (٢) ·

بل يضيف القفطى صـفات أخرى الى ذلك العالم لاترتبط بعلم ولا تليق بعالم ، إذ يصف لنـا فى سطور طويلة مظهره وملامحه وصفا منفرا (٣) ·

فاذا ما تتبعنا حـال « المطجن » فى بعض مصادر أخـرى رأينـا ثناء العلمـاء عليه وتوثيقهم له ، ويأتى كلام بعضهم مصحوبا بلوم للقفطى فى تحامله عليه ، اذ يذكر ابن مكتوم فى تلخيصه أن المطجن (دخـل ديار مصـر ، ولقى هنـاك قبولا كثيرا وقرأ الناس عليه الادب والطب) · وينقل ماقاله ابن النجار فى تاريخ بغداد بأن المطجن كان صدوقا ، وبأن ابن النجار قد روى عنه مرارا أكثر مسموعاته (٤) ·

ثم يعرض ابن مكتوم للقفطى وحكمه على العلماء بقـوله « وظهر به تحامل القفطى عليـه بما ذكره ، وهذه عادته فى هضم العصريين ، وحط مراتبهم ، وايهامه انه عارف بمنازل العلماء وتمييز طبقاتهم ، ولم يكن هناك ولا قريبا منه » (٥)·

---

(١) انباه الرواه ١٩٤/٢ ·
(٢) انباه الرواه ١٩٦/٢ ·
(٣) انباه الرواه ١٩٤/٢·
(٤) تلخيص ابن مكتوم ١١٤ : ١١٧ ·
(٥) نفســه ·

وابن العماد فى شـذراته يثنى أيضا على المطجن ويقول (ولقد بالغ القفطى فى الحط عليه وظلمه وبخسه حقه) وأما الصـدفى فيذكر له من التصانيف قريبا من خمسة وثمانين كتابا فى اللغة والنحـو والبلاغة والطب وعلم الكلام وغيـر ذلـك (١) ٠

وليس موقفه ازاء العالم المصرى(٢) بأقل من موقفه تجاه عالم العراق وما كان انصـاف العلماء لعالم مصر بأقل من انصافهم له (٣) ٠

---

(١) شذرات الذهب : ١٣٢/٥
(٢) انباه الرواة : ٣٥٣/١
(٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٩ وفيات سنة ٦٢٣ هـ ٠

الأعيان

ثالثا : أصحاب التراجم العامة :

ابن خلكان وكتابه وفيات الأعيان - (ت ٦٨١ هـ)

ترجمتـــــه :

هو قاضى القضـــاة ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن خلكان الاربلى (١) العراقى، وكان من بيت عرف بالعراقة وسمو المنزلة ٠ولد سنة ٦٠٨ هـ ،ثم رحل فى طلب العلم على عادة العلماء فى الرواية ، فخــرج من بــلده (اربل) وتوجه الى حلب فأقام هنـــاك عامين ، ثم غادرها الى بلدان أخرى ، حتى استقر به المقام فى دمشق سنة ٦٢٢ هـ ، فتولى القضاء بها ، وتقلد مناصب مختلفة فى مدارسها ،ثم رحل الى مصر ، حيث عاد بعدها مرة اخــرى الى بلاد الشام ليتولى التدريس بها ٠

وقد لقى ابن خلكان شيوخ الروايه ، وتلقن الفقه والأدب رواية، وكان ممن لقيهم ابن شداد ، الذى أثنى الذهبى عليه، وقال عنـــه « كان اماما فاضلا متقنـــا عارفا بالمذهب حسن الفتاوى جيـــد القريحة بصـــيرا بالعربيـــة علامة فى الأدب ، والشعر وأيام العرب كثير الاطلاع حلو الذاكرة » (٢) ٠

وفيات الأعيان ورواية الشعر :

نقرر مطمئنين أن ابن خلكان امام فى رواية الأدب خلال القرن السابع الهجرى وكتابه (وفيات الأعيان) يعد من أهم

---

(١) بلد العراق ٠

(٢) بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد - وانظر ٣٧١/٥

المصادر الأدبية ، فى اطار الرواية ٠

نقول بهذه الدعوى ونقررها ، ولنا من البراهين والشواهد ما ينهض بها ويدعمها ٠ ونوجز ذلك فيما يلى :

١ ـ ما يقرره ابن خلكان نفسه فى مقدمته لكتابه ، حيث يقول : « هذا مختصر فى علم التاريخ دعانى ، الى جمعه أنى كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم ومواليدهم ، ومن جمع منهم كل عصر ، فوقع لى منه شىء ، حملنى على الاستزادة وكثرة التتبع » (١) ثم يحدثنا المؤلف عن مصادره فيقول :

« فعمدت الى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أفواه الائمة المتقنين له ما لم أجده فى كتاب » (١) ٠

ويعود ، فيؤكد الرواية فى كتابه بقوله : « ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا فى زمنى ، ولم أرهم ، ليطلع على حالهم من يأتى بعدى » (٢) ٠

٢ ـ مايبدو من حرص المؤلف على تجنب أسباب التصحيف والتحريف ، بضبطه الكلمات التى يمكن أن تنزلق الى أوهام التحريف ٠ وفى ذلك يقول ابن خلكان « وقيدت من الالفاظ ما لا يؤمن تصحيفه » (٤) ٠

٣ ـ تحريه للرواة ، وذكره لأحوالهم ، والاستيثاق من أمانتهم فى الرواية : « ولم أتساهل فى نقله ممن لا يوثق به ، بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة اليه » (٥) ٠

---

(١) وفيات الأعيان (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) ٣/١

(٢) نفســه ٠

(٣) نفســه ٠

(٤) نفســه ٠

(٥) نفســه ٠

٤ ـ ما سوف نلاحظه فى متن الكتاب من حرص ابن خلكان على تقاليد الرواية ، فى تثبته ومناقشته للأسانيد ، وعرضه لأوجه الخلاف فى النص سواء من ناحية النسبة ، أو من جهة اللفظ ، ومناقشته لهذه المسائل الخلافية ٠

٥ ـ أن وفيات الأعيان مصدر هام من مصادر الآثار الشعرية بما فيه من هذه الآثار سواء ما وقع منه لمؤلفه بطريق السماع ، وبخاصة فيما يتعلق بآثار معاصريه من الشعراء أو بطريق النقل والوجادة ٠

٦ ـ تمكن ابن خلكان من « الانساب » وتحريه فى ذكرها ، واهتمامه بايرادها ، وان طال بذلك ذكرها ، والانساب وان كانت تمت بصلة الى التاريخ ، الا أنها لم تفقد بالأدب وشائجها وأسباب قرابتها ، بدليل ما نجده فى كتب الانساب وهى ريانة بالشعر والأدب ، ثم فى اهتمام كتب الادب بذكر الانساب ، واعتمادها على النسب فى التمييز بين الشعراء المتشابهة أسماؤهم ، أو كناهم أو ألقابهم (١) ٠

هذا وفيما نورده من حديث مفصل عن كتاب ابن خلكان دليل نضيفه الى ما سبق على كونه من كتب الرواية ، وأن مؤلفه من أئمة الرواة ٠

---

(١) نجد ذلك فى المبدأ الذى قام عليه كتاب المؤتلف والمختلف ، للآمدى مثلا وفى الفصل الذى عقده أبو احمد العسكرى عن المؤتلف والمختلف . وانظر « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » فصل المؤتلف والمختلف ٠ وانظر العلاقة بين الأدب والأنساب كتاب : مصادر الشعر الجاهلى والمختلف ١٣٨ ، ٢٠٨ ومواضع أخرى ٠

مصادر ابن خلكان :

١ ـ الـكتب :

وتتنوع بين كتب التاريخ ، ولابد أنها حوت آثارا أدبية ، على عادة المؤرخين القدماء ، وحوت أيضـا قدرا كبيرا من ذكر الأدباء والشعراء والحياة الأدبية بعامة ٠

ثم كتب فى أخبار الشـعراء وطبقاتهم ، أو فى التاريخ الأدبى حيث تسجل لنا ملامح الحيـاة الأدبية لعصر معين ، وتروى لشعرائه وأدبائه ، كما أن من مراجعه أيضا دواوين الشعراء ، الذين روى لهم آثارهم ، وراجع دواوينهم ، ناقلا أو ناقدا ، ثم هناك كتب فى التراجم واللغة والفقه والانساب والجغرافية ، وعلوم وفنون أخرى منوعة ٠

أ ـ فمن كتب التـاريخ : تاريخ اليمن لعمـارة اليمنى ، وتاريخ أصبهان لابن منده ، وزبدة التواريخ لابن القفطى ، وأخبار البصرة لعمر بن شبة ٠

ب ـ ومن كتب الطبقات والتراجم : الأعيان والأماثل لابى الحسن هـلال بن المحسن ، وطبقـات الحكماء لابن صـاعد الأندلسى ٠

جـ ـ ومن كتب أخبـار الشـعراء : طبقات ابن المعتـز ، وطبقات ابن سلام وابن قتيبة ، والبارع فى أخبـار الشعراء المولدين لابى عبد الله بن المنجم ٠

د ـ ومن كتب التاريخ الأدبى والاختيارات: خريدة القصر

للعماد الأصبهانى ، والمطرب فى أشعار أهل المغرب ، لابن دحية الكلبى ومطمح الانفس للفتح بن خاقان ، والامثال لحمزة الأصفهانى (١) وحماسة أبى تمام ، وغير ذلك .

هـ - اما دواوين الشعراء : فان منها ديوان أبى نواس ، وديوان على بن عبد الواحد الأندلسى ، ودواوين أخرى تزخر بها وسطور الوفيات واشارات صاحبها كما سوف نوضح .

ولقد بدا واضحا حرص ابن خلكان على توثيق مادته العلمية بذكر مصادرها ، واثراء مادته ايضا عن طريق جمع الكثير الزاخر من الكتب المنوعة الثقافات ، المختلفة الاهداف والمناهج .

فنراه مثلا فى ترجمته لابن هانىء الأندلسى يقول : « ومازلت أتطلب تاريخ وفاة ابن هانىء فى المذكور من التواريخ والمظان التى يطلب منها ، فلا أجده ، وسألت عنه خلقا كثيرا من مشايخ هذا الشأن ، فلم أجده حتى ظفرت به فى كتاب لطيف لأبى على الحسين بن رشيق القيروانى « قراضة الذهب » .. ونقلت مدة عمره من موضع آخر رأيت بعض الأفاضل ،قد اعتنى بأحواله فجمعها وكتبها فى أول ديوانه ، وذكر مدة العمر ، ولم يذكر تاريخ الوفاة ، لانه

---

(١) وهو « الدرة الفاخرة فى الامثال السائرة » وقد ضم الامثال على وزن افعل

ما عثر عليه » (١) .

بل ان مما يستلفت انتباه الباحث ، ويؤكد - فى الوقت ذاته دأب ابن خلكان وقوة ذاكرته ، وحرصه على استكمال الحقيقة وتوثيقها من مصادرها ، أن نجده فى ترجمته لأحد العلماء (٢) يترك بياضا فى موضع ذكر وفاته ، لان المظان التى رجع فيها لم تمده بشىء ، ومن بينها الفهرست لابن النديم ، ويترك ابن خلكان هذا البياض خلوا من تاريخ الوفاة اكثر من عشرين عاما متتالية ، الى أن أتيح له مصدر أسعفه بما أراد ، فسارع الى اثبات التاريخ ، وقد قرر هو نفسه ذلك باشارة وجيزة ، فقال : (وكان بين شروعى فى هذا التاريخ ، وظفرى بالوفاة أكثر من عشرين سنة . .) (٣)

ولقد كان ابن خلكان - شأن أهل التحقيق - دؤبا على بحثه عن المصادر وتنقيره عنها فى اماكن وجودها ومن بينه (دواوين الأشعار) ، والدليل قائم فيما زخر به كتابه من اشارات ، كقوله بعد ترجمته للشاعر :

« وله ديوان شعر . . لم أقف عليه » (٤) .

بل انه لا تكاد تخلو ترجمة لشاعر - فى كتابه - من مثل هذه الاشارات بشأن رؤيته لديوان ، أو نقله عنه ، أو وصفه

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٥١ ، ٥٣ البوزجانى من أدباء وفقهاء القرن الرابع الهجرى .

(٢) هو أبو الوفا محمد بن يحيى . ولد سنة ٣٢٨ هـ وتوفى سنة ٣٧٦ هـ وانظر فى ترجمته وفيات ٤/٢٥٣) .

(٣) وفيات الاعيان : ٤/٢٥٣

(٤) وفيات الاعيان : ٤/٨٦ (ابن الكيزانى الشاعر المتوفى سنة ٥٦٢ هـ) .

له ، أو ابداء رأى فيـه (١) ، أو مراجعتـه لديوان لتحقيق مروياته (٢) ، مع الاهتمام بذكر جامع الديوان أحيانا (٣) ·

التعـاليق والمســوّدات :

وهى ـ كما أسلفنا فى أكثر من موضع ـ بمثابة المذكرات الخاصة ، أو « الكشــكول » الذى جمع فيه أشــتاتا من المعارف والاثار من الافواه أو المدونات · وقد تكون خاصة بالعالم أو خاصة بعالم آخر ، ثم وقعت له على سبيل التملك ، أو الاســتعارة ·

وترد الاشارات الـكثيرة الى هذه المسودات دليلا على عنايته بالرجوع اليها ، واعتمـاده اياها مصـادر للنقل والتوثيـــق ·

فكثيرا ما نطالع من اشـاراته :

(ورأيت فى بعض المجاميع) (٤)

(وجدت بخطى فى مسوداتى) (٥)

---

(١) انظر على سبيل المثال ١٣٢/١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ٤٢/٣ ، ٦٨ ـ ١٢٧ ومواضـــع اخرى ·

(٢) انظر : ١٢٧/٣ (عمر بن الفارض الشـاعر المصرى الصـوفى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ) وانظر مواضع اخرى مثل ٨٧/٤ ، ٩٠/٤

(٣) كاشاراته الى ديوان أبى نواس الذى جمعه حمزة الأصـفهانى وفيـــات ١٨٣/٤ ·

(٤) وفيات الأعيان ٤٢٨/١ ، ٢٢٩/١

(٥) وفيات الأعيان ٧٦/٣

(هكذا وجدته فى مسوداتى) (١)

فمن ذلك ما رأيته ٠٠ فى بعض المجاميع) (٢)

(وهكذا وجدت بخط أصحابنا المتأدبين) (٣)

ويبدو أن ابن خلكان كان حريصا فى نقوله وفى مسوداته وتعاليقه ومجاميعه على ذكر مواضع نقله ، ومصادر أخذه ، وأن ذاكرته أحيانا كانت تخونه ، فيسهو عن ذكر مصادره فى مسوداته ، وتأتى بعض عباراته فى كتابه ناطقة بذلك ، كأن يقول :

« هكذا وجدته بخطى فى مسوداتى ، وما أدرى من أين قلته » (٤) ٠

(٣) الرواية الشفوية :

من خلال مقدمة ابن خلكان ، وقد سقنا بعض عباراته عرفنا أن ابن خلكان ، قد اعتمد الرواية الشفوية مصدرا أساسيا فى كتابه ، وتأتى الاثار الادبية لمعاصريه اكثرها بطريق الرواية اما عن الشعراء مباشرة ، وأما عن أقاربهم ورواتهم فقد لقى ابن خلكان البهاء زهير : الشاعر المصرى (ت ٦٦٣ هـ) ، فروى عنه شعره (٥) ، ولقى - عدا البهاء زهير - طائفة أخرى من شعراء مصر ،منهم أحمد بن عبدالغنى

---

(١) وفيات الأعيان ١٦ ، ٢١٠ ، ٢٣٢
(٢) وفيات الأعيان ٤٠٣/١
(٣) وفيات الأعيان ٢٥٢/٦
(٤) وفيات الأعيان ٤٢٥/٤
(٥) وفيات الأعيان ٤٠٣/١

المعروف بالنفيس القطرسى ، وكا القطرسى (١) هـذا من أصـحاب البهاء زهير ، وقد روى ابن خلـكان عن البهـاء طائفة من اخبار وآثار الشاعر القطرسى (٢) ·

وبطريق الرواية الشفوية أيضا وافانا ابن خلكان فى وفياته بأخبار وآثار طائفة من شعراء مصـر لقيهم أو لقى من رواه عنهم ، منهم :

(ا) احمـد بن على الغسـانى الاسـوانى القاضى (ت ٥٦١ هـ) ، وتأتى رواية ابن خلكـان لآثاره عن مرهف بن أسامة بن منقذ ، ولد أسـامة بن منقذ (٣) أحـد أدباء ورواة العصر الايوبى (٤) ·

ب ـ ابن الخيمى : الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمـد بن على الحلى نزيل مصر · وقد كان ابن الخيمى من أصحاب ابن خلكان فروى عنه أخباره وآثاره (٥) ·

والى جانب شعراء مصر روى ابن خلكان طائفة من أخبار

---

(١) ترجم له ابن خلكان ، وذكر انه من اهل مصر وأن له (ديوان شعر أجاد فيه وتوفى القطرسى سنة ٦٦٣ هـ وانظر ترجمته ومروياته فى (وفيات ١/١٤٩ ، ١٥٠) ·

(٢) انظر وفيات الاعيان ١/١٥٠ ·

(٣) ولاحظ ان ياقوت الحموى ايضا قد لقى مرهف بن اسامة ، وترجم له وعرف به ، وروى عنه بمصر طائفة من اثاره واثار والده وأبناء عائلته من « آل منقذ » · وانظر معجـم الأدباء ٥/٢٤٣ ، كما روى طائفة من ثار الاسوانى ايضا وانظر معجم الادباء ٤/٥٣ :٦٢

(٤) انظر فى ترجمته معجم الأدباء ٤/١٨٨ وقال عنه « وفى دنى منقذ جماعة أمراء شعراء لكن اسامة اشعرهم وأشهرهم » وذكر ياقوت ان وفاته كانت بعد سنة ٥٨٠ هـ وحدد مصطفى حجازى ناشر كتاب اسامة : المنازل والديار بعام ٥٨٤ هـ وانظر الكتاب المتقدم ومقدمه ناشره ، وفيات الاعيان ١/٧ ·

(٥) وفيات الاعيان ١/٢٦٧

وآثار شعراء مختلفى الأصقاع والاقاليم الاسلامية منهم :

(ا) صلاح الدين احمد بن عبد الرحمن السيد الاربلى، وأصله – كما يتضح من نسب عراقى ، ومن « اربل » بلد ابن خلكان . وكانت وفاته فى عام ٦٣٧ هـ . وتأتى رواية ابن خلـكان لآثاره وأخباره عن (ابن عـدلان ت ٦٦٦ هـ) النحوى أحد نحاة مصـر ورواة آثارها الأدبية فى القـرن السـابع (١) .

(ب) الحاجرى الشـاعر العراقى ، وبلدى ابن خلكـان والمتوفى عام ٦٣٢ هـ ، وتأتى رواية ابن خلكان عنه مباشرة بحكم صداقته له ، اذ يذكر ابن خلكان عند ترجمته له قوله عنه (وكان صاحبى وأنشدنى كثيرا من شعره) ، وروى له جملة من أشعاره وسـائر آثاره فى كتابه (١) ، سـواء فى ترجمته ، أو فى مواضع أخرى (٢) .

(ج) شاعر حلب : السـواء المعروف بشـهاب الدين أبى المحاسن يوسف بن اسماعيل ، أحد شعراء الشام المعروفين فى زمانه (٣) .

هذا الى شـعراء آخرين ، زخر بهم كتابه اثارا وأخبارا نقلها جميعا بطريق الرواية مثل عمر بن الفارض الشـاعر المصرى الصوفى (ت ٦٣٢ هـ) (٤) ، وتقية بنت غيث بن على

---

(١) انظر فى ترجمته – بغية الوعاة ٢/٧٩ وانظر فى ترجمة الشاعر (وفيات ١/١٦٨)
(٢) وفيات الأعيان ١/١٦٩ .
(٣) وفيات الأعيان ٦/٥٠
(٤) وانظر فى ترجمته : وفيات الأعيان ٦/٢٣٠
(٥) وفيات الأعيان ٦/٢٣٢

(ت ٥٧٩ هـ) (١) ، والشاعر المصرى المعروف بالعــراقى « ت ٥٩٦)(٢) والبهـــاء البخـــارى (ت ٦٢٢ هـ » (٣) ومجد الملك بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢هـ) (٤) وغيرهم كثير، تسجل كثرتهم ارتواء ابن خلكان بالرواية ، وتضع كتابه فى موضع المصادر الشعرية الموثقة لآثار القرن السابع الهجرى وأواخر الســادس ٠

ولقد كان لصلته الوثيقة ، وصداقته المتينة ببعض شعراء ورواة عصره ، وتنقله ما بين العراق والشام ومصر ، كان لذلك أثر كبير فى هذه العناية الواضــحة بالرواية الشعرية عنده ، هذا الى أغرامه بالشعر وسعيه الدائب وراء الموثوق بهم من نقلته ورواته : ٤

(أ) (اجتمعت بخلق كثيـــر من أصـــحابه النـــاقلين عنـــه (٥) ٠

(ب) لهذا نراه يقول مثلا عن ابن‌صابر أحد شعراء القرن السابع (وكانت أخباره فى حياته متواصلة الينا ، وأشعاره تنقلها الرواة عنه) (٦) ٠

(ج) وعن الشواء السابق ذكره يقول :

«وكان بينى وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة ،ومؤانسة كثيرة وبيننا اجتماعات فى مجالس الأدب نتذاكر فيها الأدب ،

---

(٢) وفيات الأعيان ١/٢٦٦ ، ٢٦٧
(١) وفيات الأعيان ١/١٣ : ١٧
(٣) وفيات الأعيان ١/١٩٣
(٤) وفيات الأعيان١/٢١٣
(٥) وفيات الأعيان ١/٣٦
(٦) وفيات الأعيان ١/٣٦

وأنشدني كثيرا من شعره ، ومازال صاحبي منذ أواخر سنة ٦٢٢ هـ الى وفاته » (١)

[illegible] بأئمة رواة عصره اذ كان كبير العناية بالرواية وبخاصة رواية الاشعار . وفي مقدمة هؤلاء الائمة شيخه ابن شداد ([illegible] ٦٣٢ هـ) (٢) ، الذي لازم ابن خلكان الرواية عنه احدى عشرة سنة (٣) ، وكان أول شيخ روى عنه (٤) .

وقد كان لابن شداد فهرست ثبت فيه جميع رواياته وطرق رواياتها ، ودفعه ابن خلكان ، ورواه عنه ، وكان هذا الفهرست يتضمن الكثير من كتب الحديث (وكتب الادب) (٥) ، ويصرح ابن خلكان بأنه روى عن شيخه ابن شداد كل هذه الآثار ، وكان آخرها « شرح الغريب » ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦) ، (ت ٢٢٤ هـ) قد قرأه عليه في مجالس آخرها ، في العشر الأخير من شعبان سنة ٥٧٧ هـ . (٧)

اذن : فقد كانت عناية ابن خلكان بالآثار الأدبية ، وعنايته بتحصيله لهذه الآثار واثباتها في تضاعيف وفياته بطريق الرواية الى جانب الكتب والمصادر المدونة ، وقد

---

(١) وفيات الاعيان ٦/٢٣٠

(٢) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع القاضي ولا بالموصل ، ودرس بالمدرسة النظامية واتصل بخدمة صلاح الدين الأيوبي (ابن خلكان ٢/٢٥٤ - ٢٣٠)

(٣) وفيات الاعيان ٤/١٨٢

(٤) وفيات الأعيان ٤/١٨٢

(٥) انظر في ترجمة القاسم بن سلام : نزهة الالباء (محمد ابو الفضل ابراهيم) ص ١٣٦ .

(٦) وفيات الاعيان ٤/٨٢

(٧) وفيات الاعيان ٤/٨٢

عرف الكثير منها أيضا بطريق الرواية كما اتضح فيما قرأه على شيخه ابن شداد من الكتب ·

وقد كانت هذه العنـاية برواية الأدب مبعث ثناء بعض الباحثين فقـال جورجى زيدان فى بعض الحـديث عنه « لم يخلف ابن خلكان غير هذا الكتاب ، لكنه يساوى مئات الكتب وهو ذخيرة علم وأدب وتاريخ ولغة » (١)

كما أشار الى عنايته بالرواية فقال :

« وتجـد فى خلاله كثيـرا من دلائل العنـاية فى الضبط والرواية » (٢) ·

معايير النقد العلمى عند ابن خلكان :

باستقراء دقيق لكتاب (وفيـات الأعيان) ، يمكن ، أن نستخلص أهم القضايا العلمية المتصـلة بالرواية الأدبية ، التى يكثر دورانها فى الكتاب،كما يمكن الوقوف على معايير النقـد التـاريخى ، وهى ظاهرة وثيقـة الاتصال بقضـيه الرواية أيضـا ·

فأما أكثر الموضوعات التى شغلت ابن خلكان فى موضوع الآثار الأدبيـة » فهو موضـوع « نسـبة الآثار الشـعرية لقائليهـا » ·

هذا الموضوع قد شغل ابن خلكان بصورة تستلفت النظر بحق ، ومن استقرائنا لهـذه الظاهرة نخلص الى عديد من النتائج نوجزها فيما يلى :

١ ـ أنه يجرى تصحيحاته للنسبة فى الأشعار ، دون أن يوثق رأيه بالمصدر أو يدعمه بالدليل ونسجل هذه النتيجة ،

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٣/٧٢

(٢) تاريخ اداب اللغة العربية ٣/٧٢

ونسجل معها أنها برغم وجودها فهى نادرة (١) ٠

٢ ـ توقفه عن ابداء الرأى ، مع ذكره ، وجـود الأثر أو الآثار فى ديوان شارعر آخر مثلا ، أو منسوبة الى آخر فى مصادر أدبية موثوق بها ، ويرد هذا كثيرا بل يقع فى الاعم الأغلب من أحكام ابن خلكان (٢) ٠

لكن : ما تفسير ذلك وسببه ؟

ثم ما تقييم هذا الموقف ! وما الرأى فيه !

أما عن الشق الأول :

فان ابن خلكان ـ وهو راوية ادب ـ كان رجلا ذا ثقافه دينية ، فقهية الطابع ، وذلك ماجعله فى أكثر الاحيان متحفظا فى حكمه متوقفا عن ابداء رأيه ٠

وأما عن الشق الثانى :

فهو قائم على المؤاخذة ، لأنه سلب ابن خلكان مقوما هاما من مقومات شخصيته العلمية ، فلا يضير العالم ان يحكم ، وأن يبدى رأيه مادام له السند ، والدليل ، والمصدر الموثوق بحكمه ، ولا ضير عليه بعد هذا ـ لو ظهر خطأ رأيه ، وبان فيه ما يجانب الصواب ـ لأن « الاجتهـاد العلمى » مبـدأ مقرر، وقد تقرر معه أحتمالات الخطأ والصواب، وانما يضير العالم أحد موقفين :

١ ـ التوقف وتجنب الحـكم بما يضـع الدارس موضع الحيـــرة ٠

---

(١) انظر مثلا : وفيات الأعيان ١٠٨/١

(٢) أنظر مثلا : وفيـات الأعيـان ١١٢/١ ، ٢١٣ ، ٣٣٩ ، ٤٣/٣ ، ١٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٩٦ ، ٣٥٤ ٠

٢ - أن يجازف بالحكم ، والادلاء بالقول دون دليل أو مصـــدر ٠

ومع كل ما يلابس موقف ابن خلكان من دواعى المؤاخذة والانتقاد ٠ فلقد فتح الطريق أمام الراغب فى معرفة الحقيقة القاطعة ، وتحقيق الأمر على نحو يقينى ٠

أما معايير ابن خلكان فى نقده التاريخى فيمكن أن نجملها فى معيارين ٠

الأول : معيار نقلى ، يتمثـل فى اعتماده على الرواية ، أو المصادر المكتوبة ، حين يستشيرها ويفرع أحكامها ، ثم يتوقف فى أكثر الأحيان ٠

والثـانى : معيـار تاريخى ، حين يعتمـد على المـامه بالتواريخ وتسلسل الأحداث التاريخية ، فيدلى بالحكم على ضوء ذلك ، وكذلك العلم بالانســاب ، وهو شىء تميز به ابن خلكان ٠

فأما المعيار النقلى : فيكثر فى مثل قوله :

« رأيت هذه الأبيات منسوبة الى غيره والله أعلم » (١)٠

أو (هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت فى أول ديوانه أنه ٠٠٠٠ والله أعلم بالصواب) (١) ٠

وحول أبيات منســوبة للامام الغـزالى (ت ٥٠٥ هـ) يقـــول :

---

(١) وفيات الاعيان /٦/٤٢٩

(٢) وفيات الأعيان : ٦/٢٨٥

« ورأيت هـذين البيتين فى موضـع آخـر لغيره ، والله أعلم » (١) ، كما ذكر أن العماد فى الخريدة قد نسب الأبيات للامام الغـزالى (٢) ٠

أما عن المعيار الثانى ، وهو المعيار التاريخى ، فان أكثر أحكام ابن خلكان تأتى حاسمة قاطعة تنطق بالثقة ، وهـو يتفنن فى أساليب توجيهاته التاريخية وطرائق أحكامه ٠

فحينا يعتمد على علمه بالتواريخ التى وقعت خلال احداث ، ويتخذها طريقا لأحكامه ٠ وحينا يعتمد على علمه بالأحداث التاريخية وتسلسل وقوعها وكذلك علمه بالنسب٠

من ذلك تصحيحلته لأسماء الأدباء وأنسابهم ، كقوله فى يونس بن محمد الأربلى (ت ٥٧٥أو٥٧٦ هـ) (٣) : هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ، ولم أعلم من أين له هذه الزيادة ، والـذى أعرفه من نسـبه هو الذى ذكرته فى ترجمتـه ٠٠٠ » (٤) ٠

ومن ذلك أيضا نفيه مجموعة من الأخبار نسبها الاسعد ابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ) الى بهاء الدين قراقوش (ت٥٩٧هـ) لما فيها من التشنيع والاسـاءة فى كتابه (الفاشـوش فى احكام قراقوش) ٠ يقول ابن خلكان عن الكتاب المذكور :

« وفيه اشياء يبعد وقوع مثلها منه ، والظاهر أنهـا موضوعة ، فان صلاح الدين كان معتمدا فى أحوال المملكة

---

(١) وفيات الأعيان : ٣/٣٥٤
(٢) وفيات الأعيان : ٣/٣٥٤
(٣) وفيات الأعيان : ٦/٢٥٢
(٤) وفيات الأعيان : ٦/٢٥٢

عليه . ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ، ما فرضها اليه» (١)

هذا الى مواضع اخرى يزخر بها كتابه (٢) .

بقى بعد هذا ان نشير الى عناية ابن خلكان بالرواية حين **تأتى فى تراجمه لهم ، فيفيض افاضة تؤكد التفاته الواضح الى الرواية** » (٣) .

ثم اخيرا فى عنوان الكتاب ذاته وهو :

(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان) .

(د) ابن الأبار (٦٥٨ هـ)

ترجمتـــه :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى وشهرته التى عرفه بها الباحثون هى (ابن الأبار) . أحد مؤرخى الاندلس ورواته الثقـــات بل انــه وابن ســـعيد **(ت هـ ٦٨٥) أشهر من كتبوا عن الأندلس فى القرن السابع**

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٥٤

وكتاب (الفاشوش فى احكام قراقوش) من كتب الأدب الفكاهي تضمن مجموعة من الأخبار الهزلية ضد قراقوش ، وضعه أسعد بن الحظير الكاتب المعروف بابن مماتى أحد شعراء وأدباء القرن السادس الهجرى . وانظر فى ترجمته وأخباره (وفيات الاعيان ١/١٨٩) .

(٢) انظر : وفيات ٣/٣٨٤ ، ٤١١ ٤/٦٩ ، ٦/٣٢٨ ، ٧٤ ، ٢٥٢ وغيـــرها

(٣) وفيات الأعيان : ٤/٤ ، ٧١ ، ٣٩٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ .

الهجـــرى (١) ٠

وقد تولى ابن الأبار الكتابة لأمراء الموحدين فى الاندلس **ثم** لسـلطان افريقيـا ، فقد بدأ ابن الأبار حياته كـاتبا **لأبى** عبـد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن حاكم بلنسـية **ثم** لابنه أبى زيد ، **ثم** لسفيره ، الى أن انتهت حيـاته بقتله مسموما (٢) سنة ٦٨٥ هـ ٠

وابن الأبار **كان** احـد أئمة الحـديث ، والقراءات وهى ثقافات تؤكد تمرسـه بالرواية (٣) ٠

وقد كان ابن الأبار من شعراء الاندلس ، ذكره ابن سعيد **فى** (المغرب) ، وذكر أنه اجتمع به (٤) ، ووصفه بأنه كان « فاضلا فى النظم والنثر وملح الآداب (٥) ، وروى عنه جملة **من** آثاره الشـعرية ٠ كما وصفه ابن العمـاد النحبلى بالحافظ العلامة ، والكاتب الأديب » (٦) ٠

وقد كان والـده من أفاضل علمـاء عصـره ، وتخرج ابن الأبار به ، وروى عنـه ، وقد ذكـره الابن فى كتـابه **التكمـلة** وترجم له (٧) ٠

(١) فى الحلة السـيراء :

وكتاب الحلة من كتب الرجال التى عنى مؤرخو الأندلس

---

(١) انظر : المغرب لابن سعيد (**الدكتور شوقى ضيف**) **٣٠٩/٢**

(٢) وهم زيدان فذكر ان وفاة ابن الابار سـنة ٦٣٥ هـ ، والصـواب ما وأثبتاه ، ولم ينبه الدكتور شوقى ضيف فى حواشى كتاب زيدان ٠

(٣) المغرب فى حلى المغرب ٣٠٩/٢

(٤) المغرب ٣٠٩/٣ : ٣١٢

(٥) شذرات الذهب ٢٠١/٦ سنة ٦٥٨ هـ ٠

(٦) المرجع السابق ٠

(٧) التكملة لكتاب الصلة ٨٨٨/٢ وانظر **مقدمة الدكتور حسين مؤنس للحـلة** السيراء ١٤/١ ٠

بالتأليف فيها عنـايتهم بتسجيل وجمع تراثهم ·

ومصادر الحلة تختلف بين الكتب والرواية :

فأما الكتب فأهمهـا :

١ – أنساب الأشراف للبلاذرى ·
٢ – الأغانى للأصـفهانى ·
٣ – نسب قريش لمصعب بن الزبير ·
٤ – تاريخ الأندلس لابن حيـان ·
٥ – جـذوة المقتبس للدميـدى
٦ – الحدائق لأبى الفرج الجيانى ·
٧ – الكتاب المعرب عن أخبار المغرب ·
لأبى على الحسن بن أبى سعيد القيروانى ·
٨ – جمهرة الأنساب لابن حزم ·
٩ – الحجـاب للخلفـاء بالأندلس ، لعيسى بن أحمد ابن محمد الرازى ·
١٠ – المسالك والممالك لأبى عبيد البكرى ·
١١ – الأخبار المنثورة لأبى بكر الصولى ·
١٢ – الوزراء لأبى بكر الصولى ·
١٣ – اخبار ملوك العبيدية لأبى الحسين بن أبى السرور الرومى الاسـكندرى ·
١٤ – اليتيمة للثعـالبى ·
١٥ – الفرائد فى التشبيه من الأشـعار الأندلسـية لابى الحسن على بن محمد بن أبى الحسن القرطبى ·
١٦ – طبقات النحويين لأبى بكر الزبيدى ·
١٧ – مطمح الأنفس للفتح بن خاقان الاشبيلى ·
١٨ – تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ·
١٩ – زهر الآداب للحصـرى ·

٢٠ — نور الطرف ونور الظرف للحصري ٠
٢١ — ديوان شعر ابن هانيء الأندلسي ٠

وليست هذه المصادر سوى قل من كثر مما رجع ابن الابار اليه ونقل عنه في دأب بالغ ، بصر ناقد نافذ ، وهي مصادر — كما نرى — تتنوع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والأنساب ، كما أن منها ما هو مشرقي ومنها ما هو مغربي ٠

ولم يكن ابن الابار — فيما رجع اليه من هذه المصادر — ليقنع بما ورد بها ، لكنه كان يحقق اضافات علمية شأن الأثبات من أهل الرواية والتحقيق : ومن هذا مثلا صنيعه بدواوين الاشعار ، فقد كان يضيف الى نسخة من هذه الدواوين بعض ما صح لديه من أشعار ليست فيها ، ومن ذلك صنيعه بديوان ابن عمار ، حيث أثبت في نسخته أبياتا (١) ٠

كما ان بعض ما كان تحت يده من المصادر قد سمعها على أصحابها وبخاصة الدواوين (٢) ٠

ويبدو ذكره هذ المصادر واثبات نقوله عنها هاما من ناحية احتفاظه بأسمائها ، وموافاتنا بشيء من محتواها ونهجها ، فصارت لما ضاع منها قيمة تاريخية خاصة (٣) ٠

---

(١) انظر مثلا : الحلة ١/٢٧ ، ٣٠ ، ٢/١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢/٨ ، ٣١١ ، ١١٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠
(٢) الحلة ٢/٨ ، ١٠٣ ، ٢٩٨ ٠
(٣) الحلة ٢/٣٠٠

الرواية فى الحلة السراء :

ورواة ابن الأبار فى الحلة أكثرهم شيوخه الذين قرأ عليهم وتخرج بهم (١) وأسانيده اليهم تأتى بلفظ الرواية الصريح ، مثل حدثنى ، أخبرنى ، أو نحوهما ٠

وفى أسانيده كثيرا ما يشير الى أماكن روايته وسماعه مثل بلنسية (٢) وجيان (٣) وتونس (٤) ٠

ويأتىهذا التحديد لأماكن سماعه ذا دلالة علميةهامة من حيث اشارته الى أماكن تنقله ورحلته ، كما يأتى دليلا على دقته ورغبته الصادقة فى التوثيق ٠

وقد كان ابن الأبار حريصا على الرواية عن أهل الثقة من الرواة والنقلة وقد حرص على بيان ذلك وذكره بلفظ صريح ، كقوله « والذى أوردته من أبيات فمنقول عن أثبات ومجموع من تصنيفات أشتات ، وما كان مقولا عليهم ، ومنحولا اليهم فأنا برىء من عهدته » (٥) ٠

وقد كان هذا دأبه ، حتى وهو ينقل عن المصادر ، فيفاضل بينها مفاضلة تدل على علمه بطبيعتها ، ونصيب كل من الثقة (٦) ٠

---

(١) الحلة ٢/٢٣٥
(٢) نفس المرجع ٠
(٣) نفس المرجع ٠
(٤) نفس المرجع ٠
(٥) الحلة ١/٣٢
(٦) الحلة ١/٢٣٦ ، ٢/١٧٣

النقد العلمى فى كتاب الحلة :

حرص ابن الأبار على النقد العلمى لمروياته ومصادره . واصدار الحكم حاسما صريحا — خاليا من مظاهر التوقف، مدعما بالدليل والسند . تلك احدى الملامح الهـامة فى ابن الأبار بصفة عامة التى تحدد لنا أحد الفروق الهامة بينه وبين ابن خلكـان .

كما يتضح لنا هذا المظهر العلمى الهام، فيما يتعلق بتحقيقات العلمية لمسائل « نسـبة الآثار الشـعرية . يبدو ذلك واضحا فى تدقيقه لنسبة الأبيات الشهيرة فى وصف النخلة والمنسـوبة الى عبد الرحمن بن معاوية (١) ، حيث شـك ابن حيان فى نسبة بعضها الى عبد الرحمن ،لكن ابن الأبار أكد نسبة أبيات القصيدة جميعها الى عبد الرحمن الداخل ، ووثق النسـبة بما نقله عن شيخه ابن شكوال فى كتـابه (الصلة) ، وما رواه عن سائر شيوخه (٢) .

وكما استدرك ابن الأبار على ابن حيـان الأندلسى فى مسألة نسبة الأبيات المتقدمة ، فقد استدرك على صـاحب (مطمح الأنفس) ،الذى نسب — خطـأ — أبياتا لأبى جهور ابن رئيس قرطبة ، وعبارته فى المناقشة والحكم صريحة ، وحكمه فيها حاسم صريح أيضا ،ويحسن أن نوردها عبارة

---

(١) وهى ابيات شهيرة مطلعهـا :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

(٢) الحلة السيراء ١/٣٨

ابن الأبار، لأنها دفيدنا أكثر • يقول عن نسبة الابيات «ونسبها لأبى حزم ••• غلطا منه ووهما لاخفاء به ، وانما هى لجده جهور بن عبيد الله هذا المذكور هنا ، ثم اعقب غلطه بغلط آخر أفحش منه ، فأورد أبياتا لابن فرج يرثيه ، وأتى بعد ذلك برثاء ابن زيدون ، فأفرط وخلط وألحق بالباطل الحق ، أما ابن زيدون ، فرثاؤه لأبى حزم الأخير صحيح غير معترض عليه ••• وللفتح أيضا غلط يضاف الى ما تقدم فى نسبة بيتين لأبى حزم هذا ، وأنشدهما الحميدى لجهور بن محمد التجيبى أبى محمد المعروف بابن الفلو وهو الصحيح ، لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية ، وكتبها من شعره » (١) •

ثم يؤكد ابن الأبار خطأ الفتح فى زعمه أن الحميدى قد لقى أبا الحزم بن جهور ، ويقول : « ولم يلق الحميدى أبا الحزم فيما علمت ، وانما عاصره » (٢) •

فاذا أضفنا الى ما تقدم ، ما سبقت الاشارة اليه بشأن وهم الثعالبى فى اليتيمة فى نسبته أبياتا الى الخليفة المعتضد خطأ منه • اذا انضافت الشواهد كلها الى بعضها البعض تأكد لدينا جانب من جوانب العناية بالتحقيق لدى ابن الأبار ومقدرته على النقد التصويب للعلماء ، لا يستثنى من ذلك أئمة سبقوه الى الرواية والتصنيف •

وقد التزم ابن الأبار بمعايير علمية موثقة لاجراء تصويباته وتصحيحاته منها :

---

(١) الحلة السيراء ١/٢٥٠

(٢) الحلة السيراء ١/٢٥١

١- الرجوع الى المصادر المدونة ·

٢- الرجوع الى الرواة ·

٣- الرجوع الى التاريخ ·

٤ - الاحتكام الى ثقافته الأدبية ·

وعن المعيار الأول ، فقد مضى ما قيل من مفاضلته بين المصادر ومعرفته بمراتب تلك المصادر من حيث الثقة بها ، ولهذا فانه يختار فى (أخبار المعتمد بن عباد) رأيا لأبى قاسم الشـــلبى فى تاريخه لأنه فى رأيه (أمتن علما وأحســن سردا لها) (١) ·

وأما المعيار الثانى ، فقد يلجأ اليه أيضا لتصحيح النسبة كتأكيده نسبة أبيات لأبى جعفر عبد الله بن محمد القرطبى ، ويقول بشأنها (وهى عندى بالاسناد اليه) (٢) ·

وأما المعيــار التاريخى فقد وضــح فى اســتدراكه على صاحب (مطمح الأنفس) ونضيف اليها ما ذكره ابن الأبار من أن عــدم الاهتمام (بضبط المــوالد والوفيات) كان هو السبب الذى قاد أصحاب هذا الوهم الى ما وهموا فيه (٣)·

واذا كان ابن الأبار قد اتسمت أحكامه بالحسم والجرأة، فقد كان يصدر فى ذلك عن استيثاق وتثبت ، لا عن مجازفة

(١) الحلة السيراء : ١/١٣٦ ، ٢/١٧٣
(٢) الحلة السيراء : ١/٢٤٤
(٣) الحلة السيراء : ١/٢٥١

وتسرع . ولهذا فقد كان مضطرا الى التوقف ، عندما افتقد الدليل (١) .

٢ - التكامة لكتاب الصلة :

ولهـذا الكتاب أهمية خاصة ، لأنه جاء ذيلا على كتاب (الصلة) لابن بشكوال شيخ ابن الأبار ، وأستاذه الذى عنه أخذ ، وهنا ينبغى قبـل الشروع فى دراستنا لهـذا المصدر الهام أن نشير الى ظاهرة علمية جديرة بالنظر : وهى ظاهرة أفصحت عن نفسها فى هذا الكتاب من خلال عنوانه ، دون أدنى خفاء ، نعنى بها « ظهور عدة حلقات متصلة من الكتب تنتهج كل منها كتابا معينا ،وتستكمل خطاه وفى نفس الوقت تستدرك عليه ، وتصحح بعض أوهامه وسقطاته » ، لاحظنا ذلك فى اليتيمة والدمية والزينة والخـريدة ، ونلاحظ مثل ذلك فى حلقات من كتب ظهرت بعد (وفيات الأعيان) منها :

« تالى وفيات الأعيان » لموفق فضل بن فخر الصقاعى، وهو فى تراجم من توفى بمصر والشام ، منذ عام ٦٦٠ هـ الى عام ٧٥٧ (٢) ، ثم كتاب (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤ هـ) ، حيثذكر - فى كتـابه - ما فـات ابن خلكان من التراجـم . وأخيرا ، يأتى ، عالم مؤرخ ، عاصر ابن شاكر ، ومات فى نفس العام ، وهو صلاح الدين الصفدى ، فى كتابه (الوافى بالوفيات) ، الذى جمع فيه تراجم الأعيان ممن وقع عليه اختياره ، من الصـحابة والتابعين والملوك والأفراد والقضـاة والقراء والمحـدثين والنحاة والأدباء والشعراء .

فاذا أضـفنا الى ذلك ظاهرة « العائلات المتأدبة » وقـد

---

(١) انظر مثلا لذلك فى الحلة ٢/٦٣

(٢) منه نسخة مخطوطة فى مكتبه باريس . انظر زيدان ٣/١٧٤

أشرنا اليها من قبل — ونذكر منهم عدا من ذكرنا — آل سعيد أصحاب « المغـرب فى حلى المغرب » اتضـح لنا موقف من مواقف الرواية ، تتواصل فيه الجهود وتتصل ٠

مصادر التـكملة :

وهى أيضا تتنوع بين الـكتب والرواية الشـفوية شأنها فى ذلك شأن الحلة الآن الرواية فى التكملة أوضح ،والاعتماد عليها أكثر مما هو فى (الحلة السيراء) ٠

ويمكن القـول بأن كتاب الحلة مضـافا اليه « التكملة » يجعلاننا نقرر مطمئنين ، بأن ابن الأبار أهم راوية ظهر فى القرن السابع الهجرى ٠

الأسانيد فى التكملة :

وأول ما يطالعنا — بشأن الأسانيد — تلك العناية الملحوظة بها لتوثيق مروياتها ، واخـلاء العهدة ٠ ولـكن عناية منه بالاسناد وحرصا منـه على ألا يزحم به كتابه فيمل القارىء به ٠ فقد جاء فى المقـدمة فخصص جـزءا منها لذكر طـرق اسـناده ٠ فاذا قـال : « رويت عن فـلان ٠٠ » فان طريق الاسناد اليه هو فلان عن فلان ٠٠٠٠ الى نهاية السلسلة ٠

ولهذا يقـول فى مقـدمته تلك : « والذين اسـتضأت بشعاعهم ، واستشهدت من اوضاعهم ، أثبت بالأسـانيد اليهم بدءا ٠ ورأيت أن أضع من عناء تكرارها عبئا » (١) ٠

---

(١) التكملة : ١/٤ ، مقدمة المؤلف ،

فاذا تجاوزنا هذه المقدمة – بشأن الاسناد – وجدنا أن الكتاب ذاته ،يلتزم الاسناد التزاما لا اخلال فيه ، فيأتى هذا الالتزام دليلا واضحا على اعتداد ابن الأبار بتقاليد الرواية والسماع ٠ حتى كان من مظاهر حرصه على الاسناد أنه فى مواضع من كتابه يورد الأثر الواحد مرويا بأسانيد متعددة يذكرها جميعا (١) ٠

الرواة :

وقد روى ابن الأبار عن طائفتين من الرواة : الرواة من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم فى الرواية (٢) ، ثم الشعراء أو رواة الآثار الشعرية ، الذين التقى بهم ، واستنشدهم فأنشدوه ، وأحيانا أجازوه ٠

كما كان ابن الأبار اذا ذكر شيخا من أهل الرواية لم يلقه، سارع فنبه الى ذلك بمثل قوله : « فلم يتفق لى أن أسمع شيئا من شعره » (٣) ٠ أو « فاتنى الرواية عنه » (٤) ٠

كما كان يحرص على وصف الموثوق بهم بصفات تعطى القارىء لكتابه نوعا من الطمأنينة كقوله : « حدثنى الثقة » (٥) أو « من أثق به » (٦) كما كان يصف رواته بصفات توثقهم كقوله :

---

(١) انظر مثلا ١/٢٧٥
(٢) انظر مثلا التكملة ١/٨٨ – ، ٩٠٣
(٣) انظر مثلا التكملة ١/٣٧
(٤) انظر مثلا التكملة ١/١٠٠
(٥) انظر مثلا التكملة ١/٩٣٠
(٦) انظر مثلا التكملة ٢/٩٠٣

(كان ذا عناية بالرواية ...) (١)

(كان موصوفا بالدراية والرواية) (٢) .

(وكان أهل العناية بالرواية وسماع العلم) (٣) .

كذلك كان حريصا على التـزام نهج المحدثين فى وصف أحوال الرواة ، توثيقا أو تجريحا بمثل قوله :

« حسن التقييد معتنيا بلقاء الرجال » (٤) .

« حجة فيما يرويه ويسنده » (٥) .

« كان صاحب ضبط واتقان » (٦) .

« لم يكن بالضـابط » (٧) .

« كان يخلط ولا يضبط » (٨) .

« تبرأت من عهدة جميعه بما أثبتت من حاله » (٩) .

« ولهذا الشيخ من التخليط والغلط الذى لا يقع فيه أحـد ممن زاول هـذه الصـناعة أدنى مزاولة ، عفا الله عنـه وسمح لـه » (٧) .

وكما استدرك ابن الأبار على شيوخه فى الحلة،لايستثنى منهم من لقيهم وأخذ عنهم فكذلك كان دأبه فى التكملة ، وكان

---

(١) ، (٨) ، (٩) ١/١٦ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ١٠١
(٢) التكملة / ٤٤
(٣) التكملة ١/٣٠٥ ، ٢٤٦
(٤) التكملة ١/٦٦
(٥) التكملة ١/١٧٠
(٦) لتكملة ١/١٨٦
(٧) التكملة ١/١٧٦

طبيعيا أن يستدرك على شيخه ابن بشكوال مع أن كتابه جاء تكملة لكتاب الصلة ، ومع توثيقه لشـيخه عند ترجمته له ، ووصفه اياه بأحسن وصف .

اذ وصفه بأنه (بقية المسندين بقرطبة فى حفظ أخبارها ومعرفة رجالها) (١) كما وصفه بأنه :

« كان - رحمه الله - متسع الرواية شديد العناية بهـا ، عارفا بوجوهها ، حجة فيما يرويه ويسـنده ، حافظا حافلا اخباريا ممتعا تاريخيا مفيدا ، ذاكر لأخبار الأندلس القديمة والحـديثة .. » (٢) .

فأما استدراكاته فتأتى على صور أهمها :

(أ) مؤاخذة ابن بشكوال فى نقض ما يورده من أخبار العالم أو الأديب الذى ترجم له (٣) .

(ب) اسـتدراكه عليه أخطاءه فى ذكر تواريخ الوفيـات والموالد (٤) .

(جـ) استكماله لمن أغفل ابن بشكوال ذكره من العلماء . وكان من الواجب ذكرهم (٥) .

---

(١) التكملة ١/٧١ ، ٨٠
(٢) التكملة : ١/٣٦٠
(٣) التكملة : ١/٤٥
(٤) التكملة : ١/٣٣
(٥) التكملة : ١/٢٩٤

ومما يدل على موضـوعيته انه لم يقصـد بمثـل هـذه الاستدراكات الاقلال من قيمة الكتاب ، أعنى كتاب « الصلة لابن بشكوال » فقد أثنى على الكتاب (١) كما أثنى من قبل على شيخه صاحب الصلة نفسه ٠

(١) التكملة : ٣٠٦/١ ، ٣٠٧

الفصل الثانى

الرواة الأدباء

ابن سعيد الأندلسى (ت ٦٨٥ هـ)

أولا : رواية الأشعار :

ومصطلح الرواة الأدباء نقصد به أولئك الرواة المشتغلين بالأدب بمعناه الخاص : شعرا ونثرا . واستعملنا هذا المصطلح لنفرق بين رواة السير من المؤرخين ، ورواة الآثار الأدبية وأخبار الأدباء . وهم يختلفون عن رواة السير ، فى أنهم مختصون بالأدب بمعناه الخاص ،لا بمعناه العام ، فهم لا يتعرضون لغير الأدباء .

وسوف نعرض هنا لجهد « ابن سعيد الأندلسى » صاحب (المغرب فى حلى المغرب) و (المشرق فى حلى المشرق) و (الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة) وكذلك(الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة) وغير ذلك (١) .

وانما اخترنا ابن سعيد بالذات لأنه من أوفى أهل التصنيف الأدبى انتاجا واعتمادا على الرواية فى القرن السابع الهجرى .

---

(١) وانظر مؤلفات ابن سعيد والمطبوع منهما والمخطوط فى مقدمة الدكتور شوقى ضيف لكتاب (المغرب) ط دار المعارف سلسلة ذخائر العرب رقم ١٠

ويحسن أن نتناول الحديث هنا فى كتابين لابن سعيد :

الأول يغلب عليــه الرواية للأشــعار ، فهــو من قبيــل الاختيــارات : ونعنى به كتاب « المغرب فى حلى المغــرب » والثانى كتاب فى أخبار الشعراء ، وهو الغصون اليانعة ٠

وكتاب «المغرب» يمثل حقيقة «العمل الجماعى» فى ميدان الأدب والرواية والتأليف ، لأنه ليس من تأليف فرد واحد ، كما جرت العــادة غالبا فى التأليف ، بل هو عمل أفراد من أجيال متعاقبة لأسرة بنى سعيد ٠

واذا ما علم أن أصل (المغــرب) هو مصدر آخر يسمى (المسهب فى غرائب المغرب) للحجارى ، أمكن تأكيد الحقيقة لأن الجهد الجماعى هنا قد تم بين أبناء أسرة ومؤلف آخــر خــارج عنهم ٠

ولقد كان الحجــارى فى الأصل وافدا على رأس هــذه العائلة وعميدها : أعنى به عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد فى (غرناطة) ٠ وكان عبد الملك إنئذ تحت طاعة المرابطين ٠أما الحجارى الوافد ، فكان شاعرا مدح عبد الملك بقصــيدة ، أثارت اعجابه ثم ما لبث أن تعلق بالحجــارى لسعة روايته آثار أهل الأندلس وعلمه بأخبــارهم ، فأشار عليه أن يؤلف فيهم كتابا فكان هذا الكتاب ٠

وعندما بدأ عبد الملك يطالع كتاب الحجارى الذى أشار عليه بتأليفه ثار فى خاطره أن يضيف الى الكتاب ما أغفله مؤلفه ، ويختصر منه ما لم يوافق غرضه لطوله ٠

وتعاقب على الكتاب ـ بعد عبد الملك ـ ابناه : أبو جعفر الشاعر ،وشقيقه محمد بن عبد الملك، فتعهدا الكتاب وأضافا

اليه بعض ما استفاده ، ولم يزل لهما خـزانة أدب يتزايد عمرها الى أن استبد به موسى بن محمد – وكان أعلمهم بهذا الشأن – فاعتنى به أشد اعتناء ، وأضاف اليه ما طالعه فى الكتب والتقطه من أفواه الرجال (١) ٠

وجاء على بن موسى – آخر حلقة فى سلسلة هذه العائلة المتأدبة والمشاركة جميعها فى تأليف (المغرب) ، فتولى على ابن سعيد اخراج الكتاب للناس فى صورته النهائية المسماه (بالمغرب فىحلى المغرب ٠)

ولم يفت (على بن موسى) أن يشـــيد بجهد ســابقيه ، فحفظ بذلك حقهم فىالجهد العلمى ،وحفظ معه أمانة الرواية٠

وقد ترجم على بن موسى لنفسه فى كتابه ، وذكر رحلاته للرواية ، الى حلب التى دخلهـا برفقة ابن العديم (٢) ، ثم اتجه الى دمشق ، ونادم بها السلطان « توران شاه » ثم رحل الى بغداد وأرمينية وأرجان ودخل مكة حاجا ، ثم رحل من حجه الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ثم عاد الى الأندلس ٠ وعاود ابن سعيد الرحلة مرة أخرى الى المشرق سنة ٦٦٦ هـ ، وبعدها قفل راجعا الى تونس فمكث بها الى أن مات سنة ٦٨٥ هـ (٣)

---

(١) انظر مقدمة : المشرق فى حلى المشرق لعلى بن موسى ابن ســعيد نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية تحت رقم ٢٥٣٢ ، وانظر مقدمة ناشر المغرب الدكتور شوقى ضيف ١/١ : ٢

(٢) كمال الدين بن أبى جرادة المعروف بابن العديم المؤرخ وصاحب زبدة الحلب من تاريخ حلب) توفى سنة ٦٦٠ هـ (؟) وانظر معجم الأدباء ٥/١٦ وما بعده ٠

(٣) انظر : مقدمة الدكتور شوقى لتاريخ الوفاة ٠

مصـــادر المغـرب :

وهى تتنوع بين المشاهدة والرواية الشفوية والكتب (١)

(١) الرواية الشـــفوية

وقد اتيح له الكثير منها ، وكان من أسباب هذه الكثرة الملحوظة فى المرويات بطريق « الرواية الشفوية » أن الكتاب قد تعاقب على تأليفه ســتة مؤلفين على مدى مائة وخمس عشرة ســنة متصلة يترجمون لأشــخاص عاصــروهم فى القرنين الســادس والســابع للهجرة ، فكانوا يلتقون بهم ويروون عنهم مشافهة أطرف مالهم من اشعار وموشحات وازجـــال (٢) .

وكان للرواية الشفوية - مضافا اليها المشاهدات - أثر كبير فى اضفاء الحيوية على هذا النص التاريخى الهام (٣)

فأما الرواة الذين روى (على بن ســعيد) عنهــم ففى مقدمتهم والده « موسى » : ومعنى هذا ان الوالد لم يشارك بجهده فى التأليف فقط ، بل أمده ولده بمصادر جديدة ينهل منها لهذا السفر القيم . وهو يروى عن والده بلفظ (قــال والدى) (٤) أو (اخبـــرنى والدى) (٥) او «ذكـــر والدى) (٦) أو «أنشدنى » (٧) فأما اذا كان ينقل عنمدونات

---

(١) وانظر مقدمة الدكتور شوقى ضيه ١/١٣ .
(٢) وانظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف ١/١٤ .
(٣) انظر مقدمة الدكتور شوقى ضيف ١/١٤ .
(٤) المغرب : ١/١٠٥ ، ١٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٧ ، ٢/١٨٠ ، ٢٦٤
(٥) المغرب : ١/١١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٩٢ ، ٣٣٤ ، ٢/٧٣ ، ١١٢ ، ١٤٨ .
(٦) المغرب : ٢/٨٢ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٢٨٨ .
(٧) المغرب ١/١١٠ ، ١٥٠ ومواضع اخرى .

لوالده ، فانه يصرح بذلك ، كقوله « نقلت من تقييد سلفى » (١) ، وقد كان الوالد من أحفظ أهل زمانه وأشهرهم بالرواية فأما اذا كان ينقل عن مدونات لوالده ، فانه يصرح بذلك .

والى جانب الوالد يروى على بن سعيد عن الكثير من الشعراء ، ممن أتيحت له بهم اللقيا ، فروى من أفواههم ، وأودع الكتاب الكثير من أثارهم (٢) .

فمن هؤلاء الشعراء شيوخ لعلى بن سعيد مثل :

« أبو يحيى ابو بكر بن هشام (ت ٦٤٠ هـ) ، الذى قال عنه :

« وهو ممن قرأت عليه وأدركته يكتب عن الباجى (٣) ،نملك أشبيليه .... وبلغنى فى مصر أنه توفى سنة ٦٤٠ ، ومما انشد فيه لنفسه .. » (٤) . كما روى آثارا لابن حيان الأندلسى (ت ٦٣٩ هـ) ؛ وقد لقيه أيضا ، والهيثم بن أحمد (٥) أبن ابى غالب حافظ اشبيلية ووصفه بقوله (لم ألق أحفظ منه (٦) .

ولقد كانت الحاسة الفنية وراء مرويات على بن سعيد

---

(١) ١/١٣٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣/٧٣ ، ١٢٩ ، ٢٢٤ ، ٢٩

(٢) المغرب ١/١٩٤ ، ٣٠٠ ، ٢/٧٣ ، ١٤٥ ومواضع اخرى .

(٣) قام ضد بنى هود في أشبيلية ونجح فى اقصائهم وتملكها

(٤) المغرب ١/٧٤

وانظر نفح الطيب ٢/٢٥٧ .

(٥) أحد الشعراء والرواة فى أشبيلية . توفى بغرناطة سنة ٦٣٠ هـ

وانظر الطيب ٢/٢٥٧

(٦) المغرب ١/٢٦٣ .

الذى يحرص كثيرا على أن يقرن رواياته بأحكام فنية موجزة وسـريعة كوصـفها بالضعف (١) أو بأنها فى نهاية التخلف (٢) .

(٢) - الكتب

وهى مزيج من كتب الرجـال والأدب والتـاريخ العـام والجغرافية ، أكثرها أندلسى ، وبعضها مشرقى ، ومنها :

١ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ)
٢ - الصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)
٣ - جذوة المقتبس للحميدى (ت ٤٨٨ هـ)
٤ - الذخيرة لابن بسام (ت ٥٤٧ هـ)
٥ - سمط الجمـان وسـقط اللألىء وسقط المرجـان لأبى عمرو بن الامام .
٧ - المغرب فى آداب المغرب لابن اليسع (٥٧٥ هـ) .
٨ - المطرب من أشـعار أهل المغرب لابن دحية الكلبى (ت ٥٩٧ هـ).
٩ - الحدائق للجيـانى .
١٠ - خريدة القصر للعماد الأصفهانى (٥٩٧) .
١١ - يتيمة الدهر للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ)
١٢ - الزهرة لأبى داود الأصفهانى .
١٣ - ملح الزجالين للحسن بن أبى نصر الدباغ .

---

(١) ٣٠٠/١
(٢) ١٢٩/٢

١٤ - بعض الدواوين الشعرية · مثل ديوان الرصافى وديوان ابن الزقــاق ·

بقيت بعد هذا ملاحظة يحسن ان نسـجلها : فان كتـاب المغرب ، وان اعتمد الرواية الشفوية مصدرا أساسيا له ، وحرص على توثيق مروياته بذكر المصدر · وعنى عنـاية ظاهرة بالاشارة الى من اشتغل بالرواية ممن ترجم لهم (١)

نقول - برغم ذلك كله - فان جانب النقد العلمى ، ومناقشة الروايات والاسانيد لا يشكل فى الكتاب ظاهرة من ظواهره العلمية ، هـذا الى أن المغرب فى كثير من المواضـع يهمل الجانب التاريخى بالنسبة لمن يروى لهم من الشعراء ، فيغفل ذكر أخبـار الكثيرين منهم ، ويكثر اغفال تواريخ المولـد والوفاة · وان كـان الخط التاريخى اوضح وأجلى فيمـا يتعلق بالخلفاء وذوى السلطان (٢) حتى اضطر ناشر المغرب الى الترجمة لاكثر الشعراء فى حواشى الكتاب ·

وعلى هذا ، فان لدينا نتيجة أخرى جديرة بالتسجيل ، هى أن المؤرخين للسير كانوا أحفل بالتاريخ ، وأكثر اهتماما بالعنصر الزمنى ، وبالنقد التاريخى ، والمناقشة للأخبـار والروايات وان كانوا أقل عناية

أما (الرواة الأدباء) فأكثر احتفالا بجمع الآثار ،ورواياتها ، وأقل عناية بالتاريخ والنقد العلمى · نقرر هذا بالنسـبة للقـرن الرابع ·

---

(١) انظر على سبيل المثال : ١/١٠٦ ، ١١٤ ، ١٥٠ ، ٢٦٣ ، من المغرب فى حلى المغـــرب ·

(٢) انظر المغرب : ١/٣٨ : ٥٧ فى ترجمة بعض خلفـاء بنى امية وانظر المغرب : ١/١٥٥ : ١٦٧ فى ترجمة بعض القضاة ·

فأما القرن الرابع ، فان عناية الرواة الأدباء بالجانب التاريخي والنقد العلمي كانت ظاهرة جديرة بالملاحظة ، وقد رأينا أجلى صورة لها في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، وقد أوضحت دراستنا له في موضعه هذه الحقيقة .

وبالنسبة للمغرب ، فانه يمكن عده - من جملة وجوه - من المصادر الشبيهة بكتاب اليتيمة ، من حيث العناية بالصياغة اللفظية في أسلوب السرد ، ومن حيث غلبة الآثار على الجانب التاريخي .

ومع ما قدمنا يبقى كتاب المغرب من أوفى المصادر في موضوعها ، وأغناها تصويرا للشعر الاندلسي في عصوره المختلفة ، فقد رسم مؤلفوه خطوط هذا الشعر وألوانه ، وكادوا يجسمونها تجسيما ، عن طريق التراجم الكثيرة التي حشدوها فيه ، وقد بلغت نيفا وأربعين وستمائة (١) ، عدا النصوص الهائلة نظما ونثرا .

ولقد كان الكثير من هذه التراجم والنصوص ، مجهولا لدى الدارسين ، مما يجعل للمغرب قيمة تاريخية خاصة تضعه في عداد الوثائق في دراسة الاثار الاندلسية بل والحياة الاندلسية ، روايةودراية .

ولقد كان للقيمة التاريخية لهذا المصدر الهام أثر لدى

---

(١) مقدمة الدكتور شوقي ضيف ١/١٧

الدارسين المعاصرين ، حتى طالب ناشر المغرب وهو الدكتور ضيف باعادة النظر فى الكثير من قضايا الادب الأندلسى ، والمعلومات المتعلقة به ، وأعادة نشر بعض مصادره على ضوء هذا المصدر الهام · وفى مقدمة ما يجب اعادة نشره من هذه المصادر كتاب المقرى « نفح الطيب » (١) ·

---

(١) مقدمة الدكتور شوقى ضيف ١/١٨

ثانيا : رواية أخبار الشعراء

الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة :

اذا كان ابن سعيد قد قصر المغرب على بلده ، فلقد شارك بجهد علمى فى مجال (أخبار الشعراء) فى القرن السابع بالذات ، لم يقصره على أبناء صقعه ، بل جمع فيه اشتات شعراء من بلدان مختلفة ، أتاح لابن سعيد رواية آثارهم وأخبارهم رحلته الواسعة الممتدة بين آفاق المغرب ، ورحاب المشرق ٠

والتحديد الزمنى الذى قيد به ابن سعيد اطار كتابه يجعل له ميزة أخرى ، هى قيمته كمصدر تاريخى لمن رغب فى دراسة هذه الحقبة الزمنية الهامة فى أدب المشرق والمغرب على السواء ٠

ومن أهم الشعراء الذين ترجم لهم ابن سعيد : شميم الحلى (١) الشاعر العراقى ، والعبدوسى العراقى (ت ٦٠١ هـ) ابن مجاور المصرى (ت ٦٠١) - وهذيل الاشبيلى (ت ٦٠٣ هـ) وابن خروف القرطبى الأندلسى (ت ٦٠٤ هـ) ٠

وفى أثناء الكثير من الترجمات ما يشير الى رحلات ابن سعيد الممتدة ما بين الفراتين شرقا وتونس والاندلس غربا ، وما بين الشام وفلسطين فى أقصى الشمال ،

---

(١) على بن الحسن بن عنتر ، من الحلة احدى مدن الفرات بالعراق (ت ٦٠١ هـ) وانظر الغصون اليانعة بتحقيق ابراهيم الابيارى (ط المعارف) ص ٥ ومعجم الادباء لياقوت ١٣/٣٥

ومصر فى الجنوب · ومن اشاراته الى هذه الرحلات نعثر على مثل قــوله :

« وجدت الأسعد بن يعرب شيخ علماء الاسكندرية مليئــا بأخــباره ، (١) ·

وأنشدنى له بعض أدباء حلب (٢) ·

مصــادر الغصون :

وتتنوع بين الرواية والكتب ::

أما الرواية ، فمن ظــواهرها الاشــارات المتقدمة الى مواطن رحلته ومواضـــع أخذه وروايته · وفى مقدمة من روى عنهم ابن سعيد والده الذى أفاد منــه فى كل ما ألف وروى · وقد كـــان والـــده من الرواة الحفـــاظ الذين استفاضت شهرتهم فى أوساط أهل الادب ، حتى أنه عندما ســأل احـــد الشـــعراء أن ينشـــده قال له الشـــاعر : « من يحفظ من الشـــعر ما تحفظ أنت يجب على العـــاقل ألا ينشـــده شيئا (٣) ، كما كان ابن سعيد أثناء ســياحته العــلمية ــ يروى عن الرواة العـــارفين بالآثـــار ، أو عن الشعراء اذا لقيهم ، او عن اقـــاربهم اذا لم يدركهم (٤) ·

فمن العلمـــاء الرواة الشهاب القوصى صـــاحب « تاج

---

(١) الغصون اليانعة ٨٩ ·
(٢) الغصون اليانعة ٨٧ وانظر ايضا : ٨٥ ، ١١٧ ومواضع اخرى ·
(٣) المغرب ١٦/١ والشاعر هو أبو اسحاق ابراهيم بن المنـــاصف (ت ٦٢٧ هـ) ·
(٤) وانظر الغصـــون اليانعة ص ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ١٢ ، ١٧ ومواضـــع اخـــرى ·

المعــاجم » (١) ، ومن الشـــعراء ابن الجـــزار المصرى (ت ٦٧٩ هـ) (٢) ٠

ولقد كان ابن ســعيد فى كثير من الاحيان لا يقنع برواية واحد يأخذ عنه أثار الشاعر وأخباره ، بل كان يأخذ عن اكثر من راوية حتى يضمن المزيد ، كثرة وتوثيقا (٣) ٠

كما تأتى بعض أثار الغصون اليانعة معتمدة اعتمادا تامــا على الرواية الشـفوية ، قائعة بهــا دون المـدونات والكتب (٤) ٠

وتأتى عبارات ابن سعيد دالة على ذلك ، شــاهده به ، كقوله (٥) ، لم أجد ذكره فى تاريخ وأنما أخذت ترجمته من الحافظ أبى المحاسن الدمشقى ٠

هذا ٠ ويبقى أن نقرر بأن ابن سعيد كان يتحرى فى مظان روايته ، فعبــاراته فى الرواية تدل على أخذه من الاثبــات الثقات من الرواة ٠ كقوله :

« ما أخبرنى به أبوبيان الاسرائيلى (٦) حكيم الديار المصرية وبقية المعمرين من أشياخها » (٧) ٠

---

(١) الغصون اليانعة ص ٦٦
(٢) نفســـه ٠
(٣) الغصون اليانعة ص ١٥
(٤) الغصون اليانعة ص ١١١
(٥) وذلك فى ترجمته للبغيديدى = حسن بن احمد المتوفى ٦٠٤ هـ ٠
(٦) وكان يهوديا من طائفة القرائن ، طبيبا حاذقا ، خدم الخلـــاء الفاطميين ثم صلاح الدين وتوفى سنة ٥٨٠ هـ (عيون الانباء ٢/١١٥)
(٧) الغصون اليانعة ص ٢١

«« ذكر لى ابن عبد العظيم صاحب تاريخ مصر » (١)
« وجدت الشريف يعقوب ملآن بأخباره وأشعاره » (٢)
« وجدت الآسعد بن يعقرب شيخ علماء الاسكندرية مليئا بأخبـــاره » (٣) ٠

(٢) الكتب والمدونات

واكثرها فى التاريخ والسير ودواوين الأشعار ٠

ونذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ تاريخ بغداد ، فسبق بذلك الخطيب البغدادى ٠

٢ ـ معجم أبى الوليد الشقندى الذى عنه نقل ابن سعيد كثيرا فى كتابه المغرب وكان الشقندى أحد القضاة العلماء الذين يحضرون مجالس الكبراء ومنهم والد ابن سعيد ، وقد كان ابن ســعيد رآه فى اشبيلية (٤) وترجم له فى المغرب ، وذكر وفــاته فى ســـنة ٦٢٧ هـ ـ وعــدا هــذا رجـــع ابن سعيد الى الكامل لابن الأثير (وتاج المعاجم) للشهاب القوصى و (تاج حلب) لابن العديم ودواوين الشعراء ٠

كما لم يكتف ابن سعيد بالكتب وانما رجــع الى بعض التعاليق والمدونات الخاصة ٠ وبعضها لم يسمح أصحابها

---

(١) الغصون اليانعة ص ص ٦٦
(٢) فى ترجمة الكفر عزى من شعراء العراق توفى ســنة ٦٠٣ هـ وانظر ص ٧٨ ٠
(٣) فى ترجمة ابن المنعم الاسكندرانى المصرى المتوفى ســـنة ٦٠٣ وانظر ص ٨٩ ٠
(٤) المغرب ١/١٨ ، ٢١٩ وانظر نقوله عنه فى : ١/٧٧ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٨٣ وغيرها من المواضع ٠

باعاراتها او مطالعتها ، فاضطر الى حفظ القليل النادر من محتواها ، ثم كتابته من الذاكرة (١) ٠

وبعد : فـان تقاليد الرواية الأدبية قد ضـعفت فى بلاد المشرق بعد القرن السابع الهجرى ، وان ظلت فى الأندلس قائمة ، فانه بعد القرن السـابع الهجرى أهمل العلمـاء تقاليد الرواية ، وتحولت خلال القرنين التاسع والعاشر الى نهايته الى مجرد سلوك تعليمى يقوم على الحفظ والاستظهار للحواشى والمتـون والمنظـومات ، أو يستجيز الشـيوخ والعلماء ، وعمت شكوى العلماء ـ كالسيوطى مثلا ـ من انقطاع رسوم الرواية وتقاليدها ٠ ونرجو ان يوفقنا الله تعالى الى استكمال ذلك كله فى بحث مستقل ٠

---

(١) الغصون اليانعة : ٢٦ ٠

المراجع

١ — المقرى :

نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة)

٢ — الأصفهانى = أبو الفرج :

الأغانى ، (ط بولاق) ، (ط دار الكتب) ، (ط ساسى)

٣ — ابن خلكان :

وفيات الأعيان ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، (ط التجارية بالقاهرة)

٤ — ياقوت الحموى :

(ا) معجم الأدباء ، (ب) معجم البلدان

٥ — آدم ميتز :

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)

٦ — زكى مبارك = الدكتور :

النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، (ط دار الكتب)

٧ — القفطى = جمال الدين :

أنباه الرواة فى أنباه النحاة ، بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط دار الكتب المصرية)

٨ — ابن بسام = أبو الحسن على بن بسام الشنترينى :

الذخيرة فى محاسن الجزيرة (ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة)

٩ — ابن شاكر الكتبي :

فوات الوفيات، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط التجارية بالقاهرة)

١٠ — زيدان = جورجي :

تاريخ آداب اللغة العربية ، (ط دار الهلال)

١١ — ابن العماد = الحنبلي :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ط بيروت)

١٢ - عماد الدين الأصفهاني الكاتب :

خريدة القصر وجريدة العصر ، (أ) قسم شعراء العراق ، بتحقيق محمد بهجت الأثري ، (ط بغداد) . (ب) قسم شعراء المغرب والأندلس ، بتحقيق محمد المرزوقي وآخرين (ط تونس)

١٣ — أمبرتو ريزيتانو :

أخبار عن بعض مسلمي صقلية ، فصلت من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس عدد ٣ سنة ١٩٥٥

١٤ — أبو فراس الحمداني :

ديوان شعره ، برواية ابن خالويه ، (ط بيروت)

١٥ — عامر بن الطفيل :

ديوان شعره ، برواية ابن الأنباري . (ط بيروت)

١٦ — الأعشى :

ديوان شعره ، برواية ابن الأنباري ، بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين (ط الآداب بالجاميز بالقاهرة)

١٧ — البديعي = يوسف :

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (ط دار المعارف بالقاهرة)

١٨ — العميدي :

الإبانة عن سرقات المتنبي (ط دار المعارف بالقاهرة)

١٩ — برجستراسر :
أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، بعناية الدكتور محمد حمدى البكرى (ط دار الكتب المصرية)

٢٠ — أبو عبيدة :
النقائض ، بتحقيق المستشرق بيفان (ط ليدن ١٩٠٢ م)

٢١ — التبريزى = أبو زكريا :
شرح القصائد العشر ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط الحلبى بالقاهرة)

٢٢ — الجاحظ :
(ا) التاج ، (ط بولاق بالقاهرة) ، (ب) التبيان والتبيين (بتحقيق عبد السلام هارون) (ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة)

٢٣ — ابن فارس :
فقه اللغة ، بتحقيق عبد السلام هارون (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)

٢٤ — الأصمعى :
فحولة الشعراء ، بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجى (ط المنيرية بالقاهرة)

٢٥ — ابن دقيق العيد :
ديوان شعره ، جمعه وحققه وقدم له الدكتور على صافى حسين (ط دار المعارف)

٢٦ — ابن حجر العسقلانى :
أنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق الدكتور حسن حبشى ، (ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة)

٢٧ — ابن شاكر الكتبى :
فوات الوفيات ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة)

٢٨ — القلقشندى :

صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، (ط دار الكتب المصرية)

٢٩ — السخاوى :

الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ، (ط بيروت)

٣٠ — الأصفهانى = حمزة :

(ا) التنبيه على حدوث التصحيف ، بتحقيق محمد أسعد طلس ، (ط مجمع اللغة العربية بدمشق) ، (ب) الدرة الفاخرة فى الأمثال ، بتحقيق عبدالمجيد قطامش ، (ط دار المعارف بالقاهرة) ، (ح) تاريخ سنى ملوك الأرض وأنبياء (ط بيروت)

٣١ — ابن قتيبة :

الشعر والشعراء ، بتحقيق أحمد شاكر (ط دار المعارف بالقاهرة)

٣٢ — ابن الأبار :

(ا) التكملة لكتاب الصلة (ط بيروت) (ب) الحلة السيراء ، بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، (ط الشركة العربية ببيروت)

٣٣ — عبد الله الحونى :

أمية بن أبى الصلت الدانى الأندلسى ، رسالة ماجستير ، بإشراف الدكتور أحمد هيكل

٣٤ — السيوطى = جلال الدين :

(ا) بغية الوعاة ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط الحلبى بالقاهرة) (ب) حسن المحاضرة ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط مكتبة النهضة المصرية) ، (ح) المزهر فى اللغة (ط صبيح)

٣٥ — ابن النديم :

الفهرست ، (ط التجارية بالقاهرة)

٣٦ - الآمدى :
المؤتلف والمختلف ، بتحقيق عبد الستار فراج (ط عيسى الحلبى بالقاهرة)

٣٧ - المرزبانى :
الموشح ، بتحقيق على محمد البجاوى (ط الحلبى بالقاهرة)

٣٨ - ابن الانبارى = الكمال :
(ا) نزهة الالبا فى طبقات الادبا ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط نهضة مصر بالقاهرة) ، (ب) الإنصاف فى مسائل الخلاف بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة) ، (ﺟ) لمع الأدلة فى علم النحو (ط بيروت)

٣٩ - بروكلمان = كارل :
تاريخ الادب العربى ، بتحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، (ط دار المعارف بالقاهرة)

٤٠ - ابن عبد البر :
رسالة جامع بيان العلم وفضله ، (ط الرحمانية بالقاهرة)

٤١ - الدكتور الأسد = ناصر الدين :
مصادر الشعر الجاهلى (ط دار المعارف بالقاهرة)

٤٢ - القالى = أبو على :
(ا) الامالى ، (ط دار الكتب المصرية) ، (ب) ذيل الأمالى (ط دار الكتب المصرية)

٤٣ - الرافعى = مصطفى صادق :
تاريخ آداب العرب ، بتحقيق محمد سعيد العريان (ط التجارية بالقاهرة)

٤٤ - المقدسى :
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، (ط ليدن سنة ١٨٧٧ م)

٤٥ — ابن سلام :

طبقات فحول الشعراء ، بتحقيق محمود شاكر (ط دار المعارف بالقاهرة)

٤٦ — ابن المزرع = مهلهل بن يموت :

سرقات أبي نواس ، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى هداية (ط دار الفكر العربي بالقاهرة)

٤٧ — ابن أبي الحديد :

شرح نهج البلاغة (ط الحلبي بالقاهرة)

٤٨ — التنوخي = علي بن المحسن :

نشوار المحاضرة ، بتحقيق عبود الشالجي (ط بغداد)

٤٩ — الذهبي :

العبر في أخبار من غبر ، (ط الكويت)

٥٠ — ابن خير الأشبيلي :

فهرست ما رواه عن شيوخه ، (ط بيروت)

٥١ — المرتضى = علي بن الطاهر :

أمالي المرتضى ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط عيسى الحلبي)

٥٢ — روزنتال = الدكتور فرانتز :

مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة راجعه الدكتور وليد عرفات (ط بيروت)

٥٣ — السكري = أبو سعيد :

شرح أشعار الهذليين ، بتحقيق عبد الستار فراج ، (ط دار الكاتب العربي بالقاهرة)

٥٤ — المعري :

رسالة الغفران ، بتحقيق الدكتوره عائشة عبد الرحمن (ط دار المعارف بالقاهرة)

٥٥ كيلانى = محمد سيد :
الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى (ط نهضة مصر بالقاهرة)

٥٦ – الشعرانى = عبد الوهاب :
الطبقات الكبرى (ط صبيح)

٥٧ – ابن عربى :
محاضرات الأبرار ومسامرات الأخبار (ط بيروت)

٥٨ – ابن منظور :
لسان العرب ، (ط دار الكاتب العربى بالقاهرة)

٥٩ – القاضى الجرجانى = على عبد العزيز :
الوساطة بين المتنبى وخصومه (ط صبيح)

٦٠ – الأدفوى :
الطالع السعيد فى تاريخ فضلاء ورواة الصعيد ، (ط الجمالية بالقاهرة)

٦١ – الزمخشرى = جار الله محمود بن عمر :
أساس البلاغة ، (ط النديم بالقاهرة)

٦٢ – البغدادى = الخطيب :
تقييد العلم ، بتحقيق الدكتور فاروق العش ، (ط دمشق)

٦٣ – الضبى = أحمد بن يحيى :
بغية الملتمس (ط دار الكاتب العربى بالقاهرة)

٦٤ – المرصفى = سيد بن على :
رغبة الآمل فى شرح كتاب الكامل ، (ط التجارية بالقاهرة)

٦٥ – الصولى = أبو بكر :
(ا) الأوراق ، بتحقيق هيورث دن (ط الصاوى بالقاهرة) (ب) أخبار أبى تمام ، بتحقيق عبده عزام ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)

٦٦ — الزبيدى = السيد المرتضى :
تابع العروس فى شرح القاموس (ط المطبعة الخيرية بالقاهرة)

٦٧ — الميدانى :
مجمع الأمثال ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط التجارية بالقاهرة)

٦٨ — الخضرى = محمد :
محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية ، (الدولة العباسية) (ط التجارية بالقاهرة)

٦٩ — ابن سعيد = على بن موسى الأندلسى :
(ا) المغرب فى حلى المغرب ، بتحقيق الدكتور شوقى ضيف ، (ط دار المعارف بالقاهرة) ، (ب) الغصون اليانعة فى شعراء المائة التاسعة بتحقيق إبراهيم الابيارى (ط دار المعارف)

٧٠ الثعالبى = أبو منصور :
(ا) يتيمة الدهر ، (ط الصاوى بالقاهرة) ، (ب) التمثيل والمحاضرة ، بتحقيق عبد الفتاح الحلو (ط الحلبى) .

٧١ — العسكرى = أبو أحمد :
(ا) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، بتحقيق عبد العزيز أحمد ، (ب) المصون فى الأدب ، بتحقيق عبد السلام هارون (ط الكويت)

٧٢ — ابن خلدون :
المقدمة ، بتحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى (ط لجنة البيان العربى)

٧٣ - ابن الخطيب :
لسان الدين ، الاحاطة فى أخبار غرناطة (ط دار المعارف)

٧٤ — الحريرى :
بتحقيق المستشرق سلوسترى دى ساس (ط باريس)

فهرس

تصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٣	١٨	يلتنا	يلينا
٤	٥	الرواية	الراوية
٤	١٠	تتصرف	تنصرف
٥	١٩	الرواية	الرواية
٦	١	الدرية	الدربة
٦	٦	ابدائها	لبنائها
١١	١١	يقول وسارتون	يقول سارتون
١٢	١٥	القديمة	(يحذف القوس)
١٣	١١	(حقيقة	(يحذف القوس)
١٣	١٢	هانه	عامة
١٤	٣	وغير	غير
١٥	١٢	وتقليدها	وتقاليدها
١٦	١٠	رواية	الراوية
١٧	١٦	ونحن	ونحى
١٨	٣	التألف	التأليف
٢٨	٢	الأربه	الدربة
٢٨	٦	ساحاتا	ساحاته
٢٨	١٠	بالرواية	بالراوية
٣٠	٦	غيرى) كما	غيرى)[١] كما
٣١	٣	فأبدن	فابن
٣١	١٠	بالاعمى	بالاعمى التطيلى

ص	س	الخطأ	الصواب
٢١	٢١	الأحبار	الأخيار
٣٢	١	واستشهد	واستشهدت
٣٤	١٦	يتعلق . بالإسناد	يتعلق بالإسناد .
٣٥	٢١	أليه	أنه
٣٧	٧	باستفاضت	استفاضت
٤١	١٨	وأبطرابهم	وأحزابهم
٤٣	٧	(٦)	(٥)
٤٦	١٠	رواية	راوية
٤٦	١٢	راوية	رواية
٤٧	١٨	مسحاق	سحان
٥٣	٧	نواهى	دواهى
٥٣	١١	قال : ابن	قال ابن
٥٤	٩	اكتفى	واكتفى
٥٥	١٣	الظريق	الطريق (٢)
٥٥	٢٢	الطالب	إليه الطلاب
٥٦	٧	والفيروزبادى - يفى	والفيروزابادى - فى
٥٧	٤	(٥)	(٢)
٥٧	٢٠	أبى العلا	أبى العلاء
٥٩	١	الوافدين	الوافدين
٥٩	١	(٣)	(١)
٥٩	٣	(٥)	(٣)
٦٠	١	الحاة	الحياة
٦٠	١٢	لفضل	نفصل
٦٠	١٤	(٤)	(٣)

س	ص	الخطأ	الصواب
٦٠	٢٢	لشأها	ألشأها
٦٣	١١	(٢)	(٣)
٦٤	٣	فايختص	فيختص
٧٦	٥	القائل في	القائل قبل في
٧٧	١٥	والمسيب كان	والمسيب أن
٦٩	٥	عمرو ، غير	عمرو ، أبي غير
٩٥	١	قول الحموى	قول ياقوت الحموى
٩٦	٩	بسمات	بسماعات
٩٧	١	الحدب	الكتب
٩٧	١	توفيق	توثيق
٩٧	١٥	الفالمين اه (١)	العالمين) (١)
٩٩	٣	رصان	رمضان
١٠٤	١٠	النقولش	النقوش
١١٣	١	والاشفال	والاشتغال
١١٩	١٤	موضوع يلق	موضوع لم يلق
١٢١	٤	كان	كانا
١٢١	٢٠	والخواص	والخوض
١٢٦	٧	وكفو	وكفوا
١٢٦	٨	لماحاولة	المحاولة
١٣٦	٩	ملم	مسلم
١٤٥	١٣	اللغة	للغة
١٤٨	١٥	والشعراء)	(يحذف القوس)
١٤٨	١٦	ابن الديم	ابن النديم
١٥٨	٣	أولا —	(تحذف)
١٦٢	٣	حجم	الحجم
١٦٤	١٦	(٢)	(تحذف)
١٧٧	١٣	قدماء	ندماء

س	ص	الخطأ	الصواب
١٨١	١٣	ابن	إل
١٨٢	١٥	وأبى	وأبو
١٨٣	١١	ان خرداذبة	إن ابن خرداذبة
١٨٧	١٤	الانتمحال	الانتحال
١٩١	٧	عبده	عبد
٢٠٦	٦	فالويهيون	قالبويهيون
٢٠٦	٢٥	أسسر	أسر
٢٠٧	٨	٤٥٨ به	٤٥٨ ﻫ
٢٠٨	٢٤	حطى	حتى
٢١٣	٤	قصدة موجه	قصيدة مدحه
٢١٦	١٣	الفضلاء ومن	الفضلاء (٥) ومن
٢١٧	١	(٥٢١ ﻫ)	(ت ٥٢١ ﻫ)
٢ ٧	٤	رأينا	لرأينا
٢١٧	٥	المعرى	المعرة
٢١٧	٥	بلشعر	بالشعر
٢٢٢	٤	(٢)	(١)
٢٢٢	٩	(باسم	(يحذف القوس)
٢٢٢	١٠	(٠)	(٣)
٢٢٩	٧	(١)	(٢)
٢٣١	٣	(٢)	(١)
٢٣١	٣	( )	(١)
٢٣١	١١	٢ -	٣ —
٢٣٣	١٢	عند	عضد
٢٣٦	١٥	(١)	(٢)
٢٤٥	١٣	والتخايص	والتلخيص
٣٤٨	٢٠	ديوانيه : الوند	ديوانيه : سقط الزند
٣٤٩	١٠	ثيار	تيار

س	ص	الخطأ	الصواب
٢٥١	٢٠	ذكريا	زكريا
٢٥٣	١٧	واثار	وآثار
٢٦٧	الهامش ١	(٢)	(١)
٢٦٧	الهامش ٣	(١)	(٢)
٢٦٧	الهامش ٣	غبون	غليون
٢٧١	٩	نسبه	نسبة
٢٧٢	٧	الدعاوى التواتر	الدعاوى أن التواتر
٢٧٢	١٢	سقنند	اسقند
٢٧٧	٧	رتبه	يرتبه
٢٨٧	٧	وأضاق	وأضاف
٢٧٧	١٦	القرانى	القوانى
٢٧٨	٢	(٣)	(١)
٢٧٩	٣	الشراح	الشرح
٢٧٩	٥	المتبى	المتنبي
٢٨٠	١	والحفاظ	الحفاظ
٢٨٠	٢	دأبو	دأبوا
٢٨٠	٤	التقدمين :	التقدمين ، شعر
٢٨٠	١٨	العباس)	(يحذف القوس)
٢٨٠	١٩	التومانى	التوماتى
٢٨٥	٣	ما وبق	الغافقى
٢٨٦	١٠	اضا	أيضا
٢٩٧	١٨	الاضافة	الافاضة
٢٩٩	٢٠	(٦)	(تحذف)
٣٠٥	١	(٢)	(١)
٣٠٥	٦	(١)	(٢)

س	ص	الخطأ	الصواب
٣٠٥	١٣	زهرة	زهر
٣٠٦	١	منسع	متسع
٣٠٧	٥	استحازة	استجازه
٣١٣	٢	دق العبد	دقيق العيد
٣١٥	١٩	مسوعة	موسوعة
٣١٣	١٣	وهو	وهى
٣٢٥	١١	فى	تحذف
٣٢٦	١٤	سسبق	سبق
٣٢٧	١٧	واصمعى	والاصمعى
٣٣٠	٨	(١)	(٢)
٣٣٠	١٢	بالعلماء .	بالعلماء (٣)
٣٣٠	الهامش ١	نضى	مضى
٣٣٠	الهامش ٣	ه	(تحذف)
٣٣٠	الهامش ٤	٥	(تحذف)
٣٢٧	٧	يضف	يصف
٣٣٩	٢	الاعتمان	الاعيان
٣٤٠	١١	(١)	(٢)
٣٤٠	١٤	(٢)	(٣)
٣٤٥	٣	الثماليق	٢ ـ الثماليق
٣٤٧	١	وكا	وكان
٣٤٨	٣	لسب	لسبه
٣٤٨	١٢	(١)	(٢)
٣٤٨	١٣	(٢)	(٣)
٣٤٨	١٦	(٣)	(٤)

س	ص	الخطأ	الصواب
٣٤٨	١٩	(٤)	(٥)
٣٤٩	١١	: ٤	(يحذف)
٣٥٠	٣	..... تخرجه	وقد كان لتخرجه
٣٥٠	١١	شهرة	شيخه
٣٥٠	١٢	(١)	(٦)
٤٧٦	١٣	وكادوا	وكانوا
٣٧١	٨	١ - تاريخ بغداذ ... فسبق ...	١ - تاريخ بغداد لابن الساعى (ت ٤٦٣) فكان ابن الساعى أول من كتب تاريخ بغداد ، فسبق بذلك الخطيب البغدادى
٣٨١	١٥	(تاج حلب)	(تاريخ حلب)

رقم الإيداع ٣٥٣٧ / ٧٨
الترقيم الدولي ٥ — ٢٦٨ — ٢٥٦